

جامعة القاهرة  
كلية الآداب



# المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية

٢

يوليو ١٩٨٨

يصدرها قسم التاريخ

## محتوى العدد

٧	<p style="text-align: right;">افتتاحية العدد</p> <p style="text-align: right;">رئيس التحرير</p> <p style="text-align: right;"><u>البحوث والدراسات</u></p> <p>• تصفية المقاومة الأموية في العراق ومصر والشام</p> <p>١١ د. راضى عبد الله عبد الحليم</p> <p>• أضواء على تاريخ العمارة الدينية في عصر</p> <p>بنى رسول باليمن .</p> <p>٢٧ د. مصطفى عيد الله شيحة</p> <p>• دينار فاطمي نادر ضرب في زبيد عام ٤٤٧ هـ</p> <p>٦٣ د. سهام محمد المهدي</p> <p>• الارشيف الألماني وكتابة تاريخ مصر المعاصر</p> <p>٦٩ د. وجيه عبد الصادق عتيق</p> <p>• الرقيق الافريقي بالحجاز خلال النصف الأول من</p> <p>القرن العشرين</p> <p>٩٣ د. عبد العليم ابو هيكل</p> <p>• محمد مندور وفكره السياسى والاجتماعى</p> <p>١١٩ د. اسماعيل زين الدين</p> <p>• مديرية دنقلة في ظل الحكم المصرى</p> <p>١٥٣ د. الهام محمد ذهنى</p> <p style="text-align: right;"><u>التقارير والمراجعات وعرض الكتب</u></p> <p>• دار الوثائق المصرية في ثلاثين عاما</p> <p>٢٠١ د. زين العابدين شمس الدين نجم</p> <p>• اضافات جديدة لدراسة تاريخ المستوطنات</p> <p>٢٢٥ د. محمود ابراهيم حسين</p> <p>• العرب في افريقيا</p> <p>٢٣١ عبد الكريم مدون</p> <p style="text-align: right;"><u>دليل الرسائل الجامعية</u></p> <p>• رسائل الآثار</p> <p>٢٤٥ اعداد : محمد حمزة اسماعيل</p> <p>• رسائل التاريخ</p> <p>٢٥٩ اعداد : محمد نجيب الوسىمى</p>
---	---



# الموقف العربي

يوليو ١٩٣٨

العدد الثاني

أ. د. / رؤوف عباس حامد

رئيس التحرير

د. / محمود عرفه محمود

مدير التحرير

## هيئة التحرير

أ. د. / حسن الباشا

أ. د. / محمد جمال الدين سرور

أ. د. / رؤوف عباس حامد

أ. د. / عبد اللطيف أحمد على

أ. د. / محمد جمال الدين المسدي

أ. د. / سعيد عبد الفتاح عاشور

## المراسلات :

ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور /

رؤوف عباس حامد، رئيس التحرير، على العنوان التالي :

كلية الآداب - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية

## افتتاحية العدد

واكب صدور العدد الاول من " المؤرخ المصرى " اهتمام  
الرأى العام العربى بقضية كتابة تاريخ الامة العربية،  
فحظلت الصحف والمجلات بالمقالات والتحقيقات حول قيمة بعض  
ما سمي بالمذكرات الشخصية وموقعها بين مصادر تاريخ مصر  
والعالم العربى الحديث والمعاصر .

ورغم انشغال الرأى العام بهذه القضية، حظيت "المؤرخ  
المصرى " باهتمام خاص ، فرحبت بها الدوائر الاعلامية  
والثقافية والاكاديمية لا فى مصر وحدها ، وانما فى خارجها  
ايضا . واتخذ هذا الترحيب مظهرين : اولهما ، حرص الزملاء  
الباحثون فى التاريخ على ان يزودوا المجلة بدراساتهم  
وان يتحملوا - برحابة صدر - جانبا من نفقات طباعة العدد  
الثانى ، وثانيهما ، ماتلقته أسرة التحرير من خطابات  
من بعض القراء ذوى الاهتمام بالدراسات التاريخية يبدى  
اصحابها رغبتهم فى الاشتراك فى المجلة .

واسرة تحرير " المؤرخ المصرى " تشكر القراء الكرام  
على اهتمامهم ، وتعددهم بوضع نظام للاشتراك فى المجلة  
يتيح للأفراد والهيئات العلمية الحصول على اعدادها بانتظام .

واخيرا ترحب أسرة تحرير " المؤرخ المصرى " بنشر  
المساهمات العلمية للزملاء فى مصر والوطن العربى ، قـدـر  
ترحيبها بكل نقد تتلقاه من القراء الكرام .

والله والوطن العزيز من وراء القصد ،،،

{ رئيس التحرير





## **البحوث والدراسات**





## تمفية المقاومة الأموية

فى العراق ومصر والشام

د. راضى عبد الله عبد الحليم

كلية التربية بالفيوم - جامعة القاهرة

لقد بدت بوادر الضعف واضحة فى الدولة الأموية ، منذ ان تولى الخلافة يزيد بن مروان عام ( ١٢٥هـ - ٧٤٢ م ) ، هذا الخليفة السدى يقال انه استخف بأمر دينه (١) ، قبل خلافته وبعدها ، وانشغل باللهو والركوب والصيد ، وشرب الخمر وسفك الدماء (٢) سائرا على نهج أبيه ، يزيد بن معاوية ، الذى مال الى اللهو والمجون والصيد والشغف بالجوارى (٣) .

وكان الوليد قد اشتد على بنى هاشم ، ف ضرب سليمان بن هشام مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وغربه الى عمان فحبسه بها ، فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد ، كما عقد البيعة لولديه الحكم وعصمان أحدهما بعد الآخر ، مما أغضب بنى هاشم ، وبنى الوليد ، فرموه بالكفر والزندقة ، وغشان أمهات اولاد أبيه ، وأدى ذلك فى النهاية الى الفتك به (٤) ، على يد يزيد بن الوليد فى جمادى الآخرة عام ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م ) بعد خلافة دامت سنة وثلاثة أشهر ، وكان مصرعه بداية لمصرع أهل بيته ، حيث ظهرت الاحقاد والمطامع بين أفراد تلك الأسرة علاوة على المنازعات الحادة بين شيوخ القبائل العربية من أجل السيطرة على ولاية خراسان ، التى لعبت دورا أساسيا فى سقوط دولتهم وقيام

- (١) يحكى عن الوليد انه استفتح فألا فى المصحف الشريف ، فخرج ( استفتحوا وخاب كل جبار عنيد ) فالحاه ورماه بالسهم وقال : تهددنى بجبار عنيد . نعم أنا ذاك جبار عنيد اذا ما جئت ربك يوم بعث . فقل : يارب خرقتى الوليد - ابن طباطبا ، محمد بن على بن طباطبا ، تاريخ الدولة الاسلامية ص ١٣٤ .
- (٢) ابن قتيبة الدينورى ، ابى محمد عبد الله بن مسلم ، الامامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .
- (٣) قيل انه كان يلبس كلاب الصيد الاساور من الذهب ، والجلال المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبدا بخدمه ، وكان شديد الولع بجاريتين احدهما تسمى سلامة ، والاخرى حباة .
- (٤) الطبرى، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢١٨ ، ٢٣٢ .

الدولة العباسية • فيها هو سليمان بن هشام قد خرج من سجنه بعمسان فاخذ ما بها من الاموال ، واقبل الى دمشق ، وجعل يلعن الوليد ويسبه بالكفر ، وها هم اهل حمص يقومون بهدم دار العباس بن عبد الملك<sup>(٥)</sup> ، مطالبين بدم الوليد بن يزيد وكتبوا فيما بينهم كتابا : ألا يدخلوا في طاعة يزيد بن الوليد<sup>(٦)</sup> ، اما اهل فلسطين ، فقاموا بطرد واليهم سعيد بن عبد الملك ، ولما بلغ امرهم اهل الأردن ، ولوا عليهم محمدا بن عبد الملك<sup>(٧)</sup> .

أما في الجزيرة ، فوثب عبد الملك بن مروان بن محمد ، على عاملها من قبل الوليد فاخرجه منها ، وقدم اليه والده مروان بن محمد قادما من ارمينية مظهرا مطالبة بدم الوليد بن يزيد ، الا أنه عندما صار بحران ، بايع يزيد بن الوليد<sup>(٨)</sup> ، الذي آلت اليه الخلافة ، بعد وعده اياه بتولته ما كان قد تولاه أبوه محمد بن مروان من الجزيرة و ارمينية والموصل واذربجان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان • وما أن توفي زيد بن الوليد ، حتى انتهز مروان بن محمد تلك الفرصة فسار الى الشام ، خالعا ابا اسحاق ابراهيم بن الوليد ، الذي لم يدم حكمه سوى ستة أشهر ، وصفت له الامور ويوقع بدمشق عام ( ١٢٧ هـ - ٧٤٤ م ) وبايع له اهل العراق والحجاز ، وهابته الناس وخافوه<sup>(٩)</sup> الا أنه لم يهنأ بهذا التأييد حيث اندلعت الثورات والفتن

(٥) تنبأ العباس بن الوليد بقرب نهاية الدولة عندما عنف اخاه يزيد وحذره من آثار الفتن حين رآه متطلعا الى الخلافة ، راغبا في الانتفاض على الوليد ، واغلظ له القول ، ثم تمثل قائلا :

اني اعيذك بالله من فتن •• مثل الجبال ، تسامي ثم تندفع  
ان البرية قد ملت سياستك •• فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا  
لاتبقرن بايديكم بطونكم •• فثم لا حيرة تغنى ولا جـزرع  
- كامل كيلاني ، مصارع الخلفاء ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٦) الظبیری ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٧) نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .

(٨) سمى يزيد بن الوليد بالناقص ، لانه نقص من اعطيات اهل الحجاز وقيل ان الذي اطلق عليه هذا الاسم ، هو مروان بن محمد ، عندما شتمه وقال : الناقص بن الوليد ، فسماه الناس الناقص .

- ابن طاطبا ، ص ١٣٦ .

- الظبیری ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .

(٩) ابن قتيبة الدينوري ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

بخراسان وخرج على واليها نصر بن سيار كل من الحارث بن سريج، وجديع ابن الكرمانى<sup>(١٠)</sup> ، وما ان استطاع نصر بن سيار الخلاص من الحسارث والاستعداد لمجابهة ابن الكرمانى ، حتى كانت دعوة أبى مسلم الخراسانى لابراهيم بن محمد ، قد اتسع نطاقها ، وبات نجاحها وشيك الوقوع ، لكثرة من معه ومن تبعه ، مما ارغم نصر بن سيار على أن يرسل التحذير تلو التحذير الى مروان بن محمد ، طالباً منه النجدة والمساعدة ، ولعل احداً لا يجهل ابياته الصادقة التى ختم بها احدى كتبه الى الخليفة<sup>(١١)</sup> الا أن رد الخليفة كان مخيباً للآمال<sup>(١٢)</sup> ، فحاول الاستعانة بوالى العراق يزيد بن غمر بن هبيرة ، فكان رده لا بقل سلبية عن رد الخليفة<sup>(١٣)</sup> .

واستطاع ابو مسلم الخراسانى دخول مرو عام ( ١٣٠ هـ - ٧٤٧ هـ ) ونزل دار الامارة فى وقت كان نصر بن سيار ، قد غادرها هارباً الى أن مات بساوة بالقرب من همدان فى ربيع الاول عام ( ١٣١ هـ - ٧٤٨ م )<sup>(١٤)</sup> . اما ابراهيم بن محمد فقد سارع بإرسال قحطبة بن شبيب<sup>(١٥)</sup> ، بعد ان عقد له اللواء للحاق بابى مسلم ، فما أن قدم اليه حتى ضم اليه

(١٠) يوليوس فلهورن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة د. حسين مؤنس ، ص ٤٤٢ ، ٤٥٩ .

(١١) ارى خلل الرماد وميض نار .. ويوشك ان يكون لها ضرام فان النار بالعودين تذكى .. وان الحرب اولها الكـلام اقول من التعجب ليت شعبرى .. ايقاظ امية أم نـيـسام - كامل كيلانى ، ص ٧٥ ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٣٨ - ابن طابطا ، ص ١٤٤ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٢) كان رد الخليفة على كتاب مروان ( ان الشاهد يرى مالا يسرى الغائب ، فاحسم الثلول قبلك .

الطبرى ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ، ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .  
(١٣) كان رد يزيد بن عمر بن هبيرة ( لا غلبة الا بكثرة ، وليس عندى رجل ) . المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين ، مروج الذهب ج ٣ ، ص ٢٥٥ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٤) رزق الله منقريوس ، تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(١٥) قحطبة بن شبيب الطائى ، قائد شجاع من ذوى الرأى والشأن ، صاحب ابا مسلم الخراسانى ، واشترك معه فى اقامة الدعوة الاسلامية فى خراسان ، وكان احد النقباء الاثنى عشر ، الذين اختارهم محمد بن على ، ممن استجاب له فى خراسان عام ( ١٠٣ هـ - ٧٢١ م ) ، غرق فى الغرات ، على اثر وقعة له مع ابن هبيرة .  
- خير الدين الزركلى ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٧٩١ .

الجيش ، وجعل له العزل والاستعمال ، وكتب الى الجنود بالسمع والطاعة  
ثم ان فحطية بن شبيب وجه أبا عون عند الملك بن يزيد الخراساني .  
ومالك بن طريف (١٧) ، في أربعة آلاف الى شهر زور ، وبها عثمان بن  
سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد ، فنزلا على مقربة من  
المدينة ، واستطاعا قتل عثمان بن سفيان في ذي الحجة عام ( ١٣٢ هـ -  
٧٤٩ م ) ، بعد أن قتل العديد من اصحابه ، وغنم عسكره ، ولما علم  
قحطه بهذا النصر ارسل اليهم مددا ، حتى بلغ تعداد جيشه ، ثلاثون  
ألف مقاتل ، وما أن علم مروان بن محمد بذلك وهو بحران ، تجهز  
لقتال أبي عون وقواته (١٨) .

.....

### هزيمة مروان بن محمد في معركة الزاب الكبرى ( ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م )

أقبل مروان بن محمد من حران في مائة وعشرون ألفا من أهل  
الشام والجزيرة ونزل في مكان يدعى بلوى ، ثم أتى رأس العين ، ثم  
أتى الموصل ، فنزل في موقع حصين قرب الزاب (١٩) ، وحفر خندقا ،  
وسار أبو عون عبد الملك الى الزاب ، في وقت كان ابو سلمة قد وجه  
اليه ، عيينة بن موسى ، والمنهال ابن قتان ، واسحاق بن طلحة في  
تسعة آلاف ، وارسل ابو العباس عند ظهوره سلمة بن محمد ، وعبدالله  
الطائي ، وعبد الحميد بن ربيع الطائي ، ووداس بن نضلة ، في ستة  
آلاف أخرى ثم سير العباس عمه عبد الله بن علي للحاق بتلك القوات ،

(١٦) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ ، ابن قتيبة الدينورى ، ج ٢ ، ص ١٤١ ،

(١٧) يذكر ابن الاثير ان اسمه مالك بن طريف .

- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن ، الكامل في التاريخ ، ج ٥  
ص ١٦٢ .

(١٨) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٠٩ ، ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٦٩ .

(١٩) الزاب الاعلى : بين الموصل واربيل ، وهو حد ما بين اذربيجان  
وباغيس ، وهو ما بين قطينا والموصل ، من عين في رأس جيسل  
ينحدر الى واد ، وهو شديد الحرارة ، ويجرى في جبال واودية ،  
ويسمى بالزاب المجنون لشدة جريه .

- ياقوت الحموى ، شهاب الدين بن عبد الله ، معجم البلدان ،

ج ٤ ، ص ٣٦٤ .

وعند وصوله ترك له أبو عون القيادة ، ودارت معركة طاحنة بين الطرفين ، حاول في اشائها مروان بن محمد مواءمة عبد الله بن علي ، الا أنه أبى ذلك ، واشتد القتال ، فصار مروان اذا امر طائفة من جنده بشيء ، قالوا : قل للطائفة الاخرى ، ولما رأى مروان تخاذل اصحابه ، حاول اغراءهم بالمال فانكبوا اليه ، ولم يعيروا القتال اهتماما ، حتى ان صاحب شرطته رفض تنفيذ اوامره ، بل واغلظ له القول (٢٠) .

وخسر مروان بن محمد المعركة التي استمرت حوالي عشرة ايام بعد ان ارتكب خطأ كبيرا (٢١) ، بعبوره إلى الساحل الايسر من الزاب الكبير ، ففقد سيطرته وموقعه الحصين (٢٢) ، وانسحب باتجاه الموصل التي اغلقت ابوابها في وجهه (٢٣) ، واضطر للانسحاب نحو الشام ، وكتب عبد الله بن علي الى الخليفة ابي العباس بالفتح ، فلما اتاه الكتاب على ركعتين ثم قال : ( فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر ) الى قوله تعالى ( وعلمه مما يشاء ) (٢٤) .

ثم امر بمنح كل مقاتل اشترك في المعركة خمسمائة درهم ، وزاد راتبه الى ثمانين درهما (٢٥) .

وكانت هزيمة مروان تلك في صبيحة السبت ١١ جمادى الآخرة عام ( ١٣٢ هـ - ٢٥ يناير ٧٤٩ م ) في معركة شبيهة بالقادسية في شدتها ، وكان الظفر للخراسانيين على العرب ، وبهذا الظفر استرد الفرس مكانتهم كمحاربين أشداء ، وبالفعل بعضهم فقالوا ، ان وقعة الزاب ، كانت ردا على القادسية (٢٦) .

- 
- (٢٠) ابن طباطبا ، ص ٤٧ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣٤ .  
 (٢١) د. فاروق عمر فوزى ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢١١ .  
 (٢٢) كان من غرق يومئذ اكثر ممن قتل ، فكان من بين الفرقى ابراهيم ابن الوليد بن عبد الملك ، علاوة على ثلثمائة آخرين ، ومن القتل سعيدي بن هشام بن عبد الملك وتلا عبد الله بن علي اشد ذلك ( واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ) سورة البقرة ، آية ٥٥ .  
 - ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٠ ، الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣٤ ، المسعودى ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .  
 (٢٣) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧١ ، المسعودى ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .  
 (٢٤) سورة البقرة ، آية ٢٤٩ .  
 (٢٥) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣٥ .  
 (٢٦) د. حسن احمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٦٦ .

## قتل مروان بن محمد بن مروان

ابن الحكم

( ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م )

وما أن ايقن مروان رفض أهل الموصل استقباله ومعايرتهم ايسر بالفرار (٢٧) ، سار فعبّر دجلة عائدا الى حران وعليها ابن أخيه أبـ ابن يزيد بن محمد بن مروان ، فاقام بها نيفا وعشرين يوما (٢٨) فلم دنا منه عبد الله بن علي ، مضى بأسرته منهزما ، تباركا حران لابـ اخيه أبا ن الذي كان خاتنا لابنته أم عثمان ، وما أن وصل عبد الله ابن علي اليها ، حتى تلقاه أبا ن مبايعا داخلا في طاعته ، فامنه وم كان بحران والجزيرة (٢٩) ومضى مروان الى قنسرين وحمص فتلقيه اهله في بادئ الامر بالسمع والطاعة ، الا انهم وجدوه في صحبة قليـ فقالوا : مرعوب منهزم (٣٠) ، فهاجموه بغية سلب مؤنه وارزاقه (٣١) فسار الى دمشق (٣٢) وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ، وهو خـ لمروان على ابنته أم الوليد ، ولما كان عبد الله بن علي في اثـ لم يستطع السقاء في دمشق كثيرا (٣٣) ، حيث انقسم الناس الى قسمين بين مؤيد للامويين ، ومعارض لهم ، حيث اقسمت بعض القبائل اليمانية بين الولاء لبني هاشم (٣٤) ، وما أن قدم عبد الله بن مروان بن علي دمشق ، حتى حاصرها اباما ، ثم فتحت المدينة عنوة ، وقتل الوليد بن معاوية واليها فيمن قتل (٣٥) وسار مروان الى الاردن ، وعليه عامله شعلة بن سلامة العاملي فشخص بصحبته تاركا المدينة بلا و عليها ، وقدا الى فلسطين ، وعليها من قبله الرماح بن عبد العزيز فشخص به معه ، ومضى حتى قدم مصر (٣٦) ، اما عبد الله بن علي السـ

- 
- (٢٧) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧١ .
  - (٢٨) الطبري : ج ٧ ، ص ٤٣٨ .
  - (٢٩) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .
  - (٣٠) الطبري : ج ٧ ، ص ٤٣٨ .
  - (٣١) د . فاروق عمر ، ص ٢١٢ .
  - (٣٢) ابن طباطبا ، ص ١٤٨ .
  - (٣٣) ابن قتيبة الدينوري ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
  - (٣٤) المسعودي : ج ٣ ، ص ٢٦١ .
  - (٣٥) الطبري : ج ٣ ، ص ٢٦١ .
  - (٣٦) ابن طباطبا ، ص ١٤٨ .

اقام في دمشق خمسة عشر يوما ، فقد سار باتجاه فلسطين والاردن ، فلقبه  
اهلها بالترحاب والمبايعة ، ثم أتى نهر أبي فطرس (٣٧) فجاءهم  
هناك كتاب ابي العباس ، يأمره بإرسال صالح بن علي في طلب مروان  
فسار صالح الى مصر برفقته ابو عون الازدي ، وابن فتان ، وعامر بن  
اسماعيل الحارثي وما ان وصلوا العريش ، وبلغ امرهم الى مروان  
حتى سارع بحرق ما كان حوله ، من علف وطعام ، وعبر النيل وقطع  
الجسر وحرق ما حوله ، ومضى صالح يتبعه حتى وجدوا خيلا لمروان  
فهمزموهم ، واسروا منهم رجالا ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوا البعض  
الآخر (٤٠) ، فسألوهم عن موضع مروان فاخبروهم بمكانه ، على ان  
ويؤمنوهم (٤١) ، فساروا حتى وجدوه نازلا في كنيسة بومير (٤٢) ، وما  
ان احس مروان بذلك ، حتى عبا اصحابه واهل بيته ، ثم حضهم على  
القتال ، مبينا لهم ان الجزع لا يزيد في الاجل ، وان النصر لا ينقص  
الاجل ، وما ان هاجمته قوات صالح بن علي حتى فر جنده ، ولم يبق  
حوله من اصحابه الا قدر الثلاثين (٤٣) فلم يقدروا على مقاومة مهاجميهم  
بالرغم من قلة عددهم .

وقتل مروان بن محمد ، وقضى على العديد من اصحابه في آخر

- 
- (٣٧) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .  
(٣٨) ابن قتيبة الدينوري ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .  
(٣٩) ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد ، العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٩٨  
- فلهوزن ، ص ٥٢ .  
(٤٠) الطبري ، ج ٧ ، ص ٤٤١ .  
(٤١) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .  
(٤٢) بومير قوريدس : من كور البوصيرية ، ينسب اليها ابو القاسم  
هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن غالب بن هاشم الخزرجي ،  
يرجع نسبه واصله الى المغرب من موضع يسمى المنستير (٥٩٨ هـ)  
وهي اليوم ابو صير الملق مركز الواسطي - بني سويف ،  
- ياقوت الحموي ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .  
(٤٣) لما رأى مروان بن محمد قلة من بقي معه من جنوده قال :  
ذل الحياة وهول الممصات . وكلا اراه وخيما وبيلا  
فان كان لاند من ميتة . فسيرى الى الموت سيراجميلا  
ابن قتيبة الدينوري ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

ذى الحجة عام ( ١٣٢ هـ - اغسطس ٧٤٩ م ) (٤٤) ، وارسل برأسه وشارات الخلافة الى ابي العباس (٤٥) ، بصحبة يزيد بن هاني (٤٦) ، ورجع صالح ابن علي الى القسطنطينية ، ثم انصرف الى الشام ، ودفع الغنائم التي اتي بها من ابي عون ، والسلاح والاموال والرقيق الى الفضل بن دينار ، وخلف ابا عون على مصر ، حيث كان هو القائد للحملة (٤٧) ، وكان ملك مروان الى ان بويج ابو العباس السفاح ، خمس سنين وشهرين وعشرة ايام ، ومن وقت ان بويج ابو العباس السفاح الى ان قتل ببوصير ، ثمانية اشهر ، فكانت مدة ايامه الى ان قتل خمس سنين وعشرة اشهر ، وعشرة ايام (٤٨)

• • • • •

### حصار واسط ومقتل ابي هبيرة

( ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م )

كان يزيد بن عمر بن هبيرة ، قد لجأ الى واسط ، فارا امام قوات قحطبة بن شبيب وابنه الحسن ، مصطحبا فلولا جنده من أهـلـ الشام (٤٩) ، ورفض النصيحة التي وجهت اليه ، بالهجوم على الكوفة أو اللحاق بمروان بن محمد ، وكان ابن قحطبة قائدا للجيش الخراساني في ذلك الميدان ، الا أن الخليفة ، رأى انه من الافضل ارسال عباسي لقادة الجيش ، مع حرمه في الدانة ان يفهم القواد ، أن اشراك أهله ، نوع من الاشتراك التشريفي ، فنراه قد كتب الى الحسن بن قحطبة حين وجه اخاه ابا جعفر اليه (٥٠) ( ان العسكر عسكرك ولكن

(٤٤) قتله رجل من اهل الكوفة ، يقال له محمد بن شهاب المازني حيث طعنه في خاصرته ، ثم نزل اليه غلام محمد بن شهاب فاحتز رأسه ويقال ان قاتله هذا كان يبيع الرمان في الكوفة .  
- الكوفي ، ابو محمد احمد بن اعثم ، الفتوح ، ج ٨ ، ص ١٩٩ .  
(٤٥) لما حمل مروان الى الكوفة ، ورآه ابو العباس ، رفع رأسه وقال : " الحمد لله الذي اظهرني عليك ، واظفرني بك ، ولسم يبق شأري قبلك . وتمثل :

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم . . . ولا دماؤهم للغيط تروينسي

- ابن طاطا ، ص ١٤٨ ، ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

(٤٦) الطبري ، ج ٧ ، ص ٤٤٢ ، رزق الله منقريوس ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٤٧) ابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

(٤٨) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٤٩) ابن عبد ربه ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .

(٥٠) الكوفي ، ج ٨ ، ص ٢٠٢ ، د. حسن احمد محمود ، ص ٦٥ .



أحببت أن يكون أخي حاضرا ، فاسمع له وأطع ، واحسن مؤازرته ) .

وكتب الى ابى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك ، وكان قد قدم من سجستان للانضمام الى قواد الحسن (٥١) ، وما ان قدم ابو جعفر واسطا حتى تخلى له الحسن عن القيادة ، اما جيش ابن هبيرة ، فكان كبيرا ومكونا من جند الشام الموجود بالعراق ، ومن أهل خراسان المواليين لبني امية من أهل العراق اليمانيين والقيسيين ، وكان من بيـــــن قياداته ، قواد على كفاءة عالية مثل : معن بن زائدة الشيباني (٥٢) ، وحوشرة بن سهل (٥٣) ، وزيد بن صالح الحارثي وغيرهم (٥٤) ، على ان ضعف ابن هبيرة كان بارزا ، يتمثل في العصبة القبلية التي ثارت في وجهه فشلت حركته ، ولذلك لم يصمد معه على القتال الا الصعاليك والفتيان (٥٥) .

(٥١) الطبري ، ج ٧ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٧ .

- ابن قتيبة الدينوري ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٥٢) معن بن زائدة : كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج . قيل انه اتاه رجلا يسأله ان يحمله ، فقال يا غلام : اعطه فرسا وبرذونا ونعلا وبعيرا وجارية ، وقال لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لاعطيتك .

- ابن عبد ربه ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٥٣) حوشرة بن سهل الباهلي ، ولي مصر في عهد مروان بن محمد عام ( ١٢٨ هـ - ٧٤٥ م ) واصله من قنسرين ، كان فصيح اللسان ، سفاكا للدماء ، وفي عام ( ١٣١ هـ - ٧٤٨ م ) ارسله مروان مددا ليزيد ابن المهلب بالعراق فجعله يزيد على مقدمة جيشه ، فقاتل اشيع العباسيين ، الى ان استسلم ابن هبيرة بعد مقتل مروان بن محمد فاستسلم حوشرة معه ، فقتلهما الخليفة السفاح العباسي .

- الزركلي ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(٥٤) زيد بن صالح الحارثي : من امراء آل مروان ، كان واليا على الكوفة عند ظهور العباسيين في خراسان والعراق ، ولما عظم امرهم خرج برجاله الى الشام عام ( ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م ) فاقام حتى انتظم الامر لبني العباس فخرج عليهم فيما وراء النهر ، وتبعه جمع كبير من انصار الامويين ، فلما جد ابو مسلم في طلبه ، لجأ الى دهقان ، فقتله الدهقان وحمل رأسه الى ابى مسلم .

- الزركلي ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

- الطبري ، ج ٧ ، ص ٤٥٤ .

(٥٥) ابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

وضرب الحصار حول واسط التي قاومت احد عشر شهرا ، لم يفكر فيها ابن هبيرة في الاستسلام ، حتى سمع نبأ نهاية مروان ، فلم يكن هناك مبررا للمقاومة ، فجرت محادثات للصلح ، اعطى فيها ابو جعفر امانا لابن هبيرة (٥٦) ، شاور فيه الفقهاء والعلماء اربعين يوما ، حتى يرى نقاط القوة والضعف فيه ثم انفذه الى ابي جعفر ، فانفذه ابو جعفر الى ابي العباس ، فأمره بتوقيعه ، وكان رأى ابو جعفر الوفاء له بما أعطاه (٥٧) ، وكان ابو العباس لا يقطع امرا دون ابي مسلم ، وكان ابو الجهم بن عطية ، عين ابي مسلم على ابي العباس ، فكان يكتب اليه الاخبار (٥٨) ، فكتب ابو مسلم الى ابي العباس :

(٥٦) بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي بن جعفر ، اخي أمير المؤمنين ابي العباس ، الى يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومن معه من اهل الشام والعراق ، وغيرهم في مدينة واسط وارضها ، من المسلمين والمعاهدين ، ومن معهم من نسائهم واولادهم ومواليهم وعبيدهم ، اني قد آمنتكم على انفسكم أمان الله الذي لا اله الا هو ، الذي يعلم من سرائر العباد ما يعلم من علانيتهم ، امانا صادقا لا يضيئه غش ، ولا يخالطه باطل وقد اعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، عهدا خالصا مؤكدا وذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة انبيائه المرسلين وملائكته المقربين ، وهذا الامان لك يا يزيد ولاصحابك ولمن نحا اليك من قوادك ووزرائك وشيعتك ، فانت وهم آمنون بامان الله ، لا يوءخون بذنب ولا زلة ، ولا بجريرة ولا بجرم ، ولا بجنابة في سفك دم تعمدوا ولا خطأ ، ولا بامر سلف منكم ، يا زيد بن عمر ، وقد اذنت لك بالمقام في مدينة واسط ان شئت ، ثم سر عنها اذا شئت ، انت ومن معك بدواب وسلاح ، ولا تخاف عدوا سهلا ويرا ويحرا ، ولا ينالك امرا تخافه في ساعة من ليل او نهار ، ولا ادخل في أمانى هذا غشا ولا خديعة ولا مكرا ، ولا يكون من اليك ومن ذلك دسيمة مما تخاف ، من مطعم ومشرب أو لباس ، وقد اذنت لك ولاصحابك يا زيد بالدخول الى عسكري من أي وقت احبته الى وقت رحيلكم من مدينة واسط ، فان نقض عبد الله بن محمد بن علي ، فاجعل لك ولاصحابك ولشيعتك من امنتكم هذه ، فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وعليه من المبرجات الايمان المقلظة والله شاهد عليه بما اكد على نفسه من هذه الايمان ، وكفسي بالله وكيفا وشاهدا وكفيلة والسلام .

- الكوفي ، ج ٨ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

- ابن قتيبة الدينوري ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٥٧) الطبري ، ج ٧ ، ص ٤٥٤ .

- فلهوزن ، ص ٥٢١ .

(٥٨) ابن قتيبة الدينوري ، ج ٧ ، ص ١٥٥ .

( ان الطريق السهل اذا القيت فيه الحجارة فسد ، لا والله لا يملح طريق فيه ابن هبيرة ) (٥٩) .

ويظهر ان الخليفة رأى في ابن هبيرة ، خطرا على الدولة الجديدة ووافقه على ذلك ابو مسلم ، ولذلك كان الخلاص منه ، فاختراروا لتلك المهمة رجلا من قومه من مضر ، حتى تتفرق كلمتهم عند ذلك ، ففرضه الهيثم بن شعبة في مقتل فصرعه (٦٠) وقتل معه ابنه داود ، وكاتبه عمرو بن ايوب ، وحاجبه ، وعدة من مواليه ، وقتل من قواده محمد ابن نباتة ، وحوشة بن سهيل (٦١) ، وامر ابو العباس ، برأس ابن هبيرة ، فوضع في الحيرة على خشبة ومعه غيره من اعوانه ومن عمال مروان (٦٢) ، وبمقتلهم قضى العباسيون على جيب آخر من الجيوش الاموية في العراق ، وسقطت مدينة واسط ، كما افل نجم أهل الشام ، الذين كانوا قبل ذلك ، قد قادوا مروان بن محمد الذي كان مكروها لديهم الى مصيره المحتوم ، وهم الذين لم يهبوا لمقاتلة بني العباس قبل فوات الوقت المناسب ، ولم يستطيعوا تغيير الموقف ، فانتمصر السواد ، وفقد البياض ملكه ، وانتقل مقر الحكومة من دمشق الى الكوفة ثم انتقل بعد ذلك الى بغداد ، واستعادت العراق سيادتها التي كانت لها ايام على بن ابي طالب ، وفقدت بلاد الشام سيادتها .

وهكذا كان مصير بني أمية ، لم ينج منهم الا رضيع او هارب حتى موتاهم لم ينجوا من نبش قبورهم ، فنبتت قبور الخلفاء وغيرهم من بني أمية ، في دمشق ودابق والرافقة وقنسرين وغيرها من الاماكن ، واحرقت جثثهم بالنار ، وقد ص بنو العباس جام غضبهم ، على هشام ابن عبد الملك ، حيث ان هشاما (٦٣) ، كان قد ضرب على بن عبد الله ابن العباس ستين سوطا ، فلما جاء ابنه عبد الله بن علي ، شاعر لبيه ، فنبتش قبر هشام ، ولم يكن قد مضى على وفاته وقت طويل ،

- 
- (٥٩) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٤ .  
 (٦٠) ابو الفدا ، الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٨ .  
 (٦١) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٦ .  
 (٦٢) ابن قتيبة ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .  
 (٦٣) فلهورن ، ص ٥٢٣ .

فأخرج جثته ، وضربها بالسوط وأمر بملئها ، ثم حرقت بعد ذلك ، واذرى رمادها فى الريح ، وكذلك استصفى عبد الله بن على أموالهم ، وكذلك فعل أقارب أبى العباس الذين ولاهم على الولايات الكبرى (٦٤) .

\*\*\*

## المصادر :

### القرآن الكريم .

- (١) ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن بن أبى الكرم ( ت ٦٣٠هـ )  
الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م
- (٢) ابن طباطبا ، محمد بن على ( ت ٧٠٥هـ )  
تاريخ الدولة الاسلامية بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
- (٣) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ )  
تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف القاهرة  
١٣٤٤هـ - ١٩٦٤م .
- (٤) ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد ( ت ٣٢٨هـ )  
العقد الفريد ، القاهرة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م .
- (٥) ابو الفدا ، الحافظ بن كثير ( ت ٧٧٤هـ )  
البداية والنهاية ، القاهرة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م
- (٦) ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ( ت ٢٧٦هـ )  
الامامة والسياسة ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٧م
- (٧) الكونسي ، احمد بن اعثم الكوفى ( ت ٣٦٤هـ )  
الفتوح ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .
- (٨) المسعودى ، ابو الحسن على بن الحسين ( ت ٣٤٦هـ )  
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٤٠٣هـ -  
١٩٨٣م .
- (٩) ياقوت الحموى ، شهاب الدين بى عبد الله ياقوت  
معجم البلدان ، القاهرة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م .

## المراجع :

- (١) ده حسن احمد محمود :  
العالم الاسلامى فى العصر العباس ، القاهرة  
١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- (٢) خير الدين الزركلى :  
الاعلام ، القاهرة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م .
- (٣) رزق الله متقريوس المرفى :  
تاريخ دول الاسلام ، القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- (٤) د. فاروق عمر فوزى :  
طبعة الدعوة العباسية ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- (٥) كامل كيــــــــــــلانى :  
معارف الخلفاء ، القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٤ م .
- (٦) يوليوس فلـــــــــهـوزن :  
تاريخ الدولة العربية ، ترجمة د. محمد عبد  
الهادى ابو ريذة و د. حسين موءنس ، القاهرة  
١٣٩٢ هـ / ١٩٧٤ م .



" رسم على طي المطبق لقوات الأموية والعباسية قبل موقعة الزاب الخامسة "





## أضواء على تاريخ العمارة

الدينية فى عصر بنى رسول باليمن

د. مصطفى عبد الله شـيـحـة

كلية الآثار - جامعة القاهرة

يعد عصر دولة بنى رسول<sup>(١)</sup> فى اليمن ( ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م ) من أزهى عصور العمارة والفنون الزخرفية فى اليمن ، نظرا لما ساد عصر هذه الدولة من استقرار سياسى و رخاء اقتصادى انعكست آثاره خاصة فى مجال العمارة الدينية فى جنوب اليمن . كذلك ساعدت عوامل عديدة أخرى على كثرة العماثر الدينية فى عصر هذه الدولة ، نذكر منها ما كان عليه سلاطينها وملوكها من فكر وثقافة ودراسة كبيرة بالعلوم الدينية وكثير من فروع العلوم الأخرى ، يشهد بذلك ما خلفه الكثير منهم من مصنفات دينية وعلمية ، كما شهد هذا العصر علاقات ودية طيبة سادت بين سلاطين هذه الدولة وبين خلفاء الدولة العباسية وأغلب سلاطين دولة المماليك فى مصر مما كان له أثر كبير فى وجود صلات فنية متبادلة ، وضع أثرها على العماثر الدينية فى جنوب اليمن ، كما كان أيضا لكثرة التحف المهداة من سلاطين المماليك فى مصر الى سلاطين دولة بنى رسول<sup>(٢)</sup> ، أثرها الواضح على المنتجات الفنية التى تنسب الى عصر هذه الدولة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) ورث بنو رسول ملك اليمن عن الايوبيين ، اذ كان نوابهم عليها ، فى عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل ، وقد سميت بالدولة الرسولية ، نسبة الى محمد بن هارون الملقب برسول الخليفة العباسى ، وذلك لحمله الرسائل من الخليفة الى الشام ومصر لشقته فيه . هذا وقد اختلف فى اصل نسبهم بين الاصل اليمنى والتركمانى والغسانى .

انظر : عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الاصحاب فى معرفة الانساب ، تحقيق بك م.و. سترستين ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٢٩-٣١ ، وجيه الدين الحبشى : تاريخ وصاب : الاعتبار فى التواريخ والاثار ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، الطبعة الاولى ١٩٧٩ ، ص ١١٢ ، محمد عبد العال احمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فى عهديهما ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٩ - ٥٦ .

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ الدولة الرسولية فى اليمن ، تحقيق عيسى الله محمد الحبشى ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ٩٣ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨٦ .

(٣) مصطفى عبد الله شـيـحـة : مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية فى الجمهورية اليمنية ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٢٧ - ١٣٤ .

ولقد كان من بين اسباب ازدهار العمارة الدينية فى عصر هذه الدولة التى تمركزت فى جنوب اليمن طبيعة مذهبها السنى ، خاصة مذهب الامام الشافعى ، بينما انتشر المذهب الزيدى فى شمال اليمن اعتبارا من قدوم الامام الهادى يحيى بن الحسين الى مدينة صعدة عام ٢٨٤ هـ ، حيث أسس دولة الاثمة الزيدية (٤) والتى ظلت فى صراع مستمر طوال العصور الاسلامية المتتالية فى اليمن مع الدويلات الاخمسرى ذات المذهب السنى وهذا ما يجعلنا نعتقد فى غلبة نظام المدرسة كمنشأة تعليمية فى جنوب بلاد اليمن عن نظام المسجد فى شمال بلاد اليمن ، وان كان لكل منهما نفس الخصائص الدينية التى جرى اتباعها فى شمال وجنوب اليمن . ومن ثم فقد ازدادت مدينة تعز (٥) حاضرة هذه الدولة الجديدة بالعمائر الدينية على نطاق واسع ، بينما اكتظت مدينته زبيد (٦) بتلك العمائر حيث فاق عددها عمائر مدينة تعز ، وهو أمر طبيعى بالنسبة لزبيد التى است فى بداية القرن الثالث الهجرى منذ عصر الدولة الزيادية ، حيث كان للمذاهب السنية تأثيرها الواضح منذ البداية على هذه المدينة بالذات .

على أن العمائر الدينية فى عصر دولة بنى رسول لم يقتصر وجودها فى المدينتين السابقتين ، بل انتشرت فى كل ربوع مدن وقرى الجنوب ، بل وامتدت ايضا الى خارج بلاد اليمن ، خاصة مكة المشرفة .

- 
- (٤) على بن محمد بن العباسى العلوى : سيرة يحيى بن الحسين، تحقيق سهيل ذكار ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٧ - ١٨ .
- (٥) تقع مدينة تعز على مسافة ٢٥٦ كم الى الجنوب من صنعاء ، وقد عرفت قديما باسم العدنية وسكنها الصليحيون ، ثم اتخذها بنى رسول حاضرة لدولتهم ، وكان يحيط بها سور قديم به اربع بوابات وتضم هذه المدينة اثار متنوعة كثيرة ترجع الى العصر الاسلامى .
- المحققى : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمسة صنعاء ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ ، ص ١٠٧ .
- (٦) مدينة زبيد من امهات المدن اليمنية عامة وفى جنوب اليمن خاصة ، ولا زالت تحتفظ بعدد كبير جدا من العمائر الدينية التى تسجل تاريخ هذه المدينة الدينى على مر العصور الاسلامية فقد كان قائما بها حوالى ( ٢٣٦ ) منشأة دينية ، اصبح بها حوالى (٨٠) منشأة دينية . انظر : الحجرى : مجموع بلدان اليمن وقبائله ، تحقيق اسماعيل الاكوع ، الطبعة الاولى ١٩٨٤ ، ج ١ ، ص ١٤٥ - ١٥٥ .

كذلك لم يقتصر الامر في هذا العصر على ما قام به السلاطين—من  
والامراء من تشييد العمائر الدينية ، وانما كان لاهل بيت السلاطين  
وامراء هذا العصر ، دورهم الآخر في حركة البناء ، كما كان لخدمهم  
ايضا دورهم الملحوظ في هذا الشأن ، فضلا عما قام به وجوه القسوم  
واثرياء المجتمع الرسولي بانشاء وتجديد كثير من المنشآت الدينية  
الاخرى في مدن جنوب اليمن .

على ان العديد من منشآت الدولة الرسولية قد اندثر ، منها ما  
كان بفعل الزمن من تقادم واهمال بحيث دب الخراب الى البعض منها ،  
فتساقطت المباني وتداعت ولم تملأ يد التجديد والرعاية حتى الان ،  
وان كان ما بقى من عمائرهم الدينية يعطى صورة واضحة لطراز عمائر  
هذا العصر ، فضلا عن الاسلوب الزخرفي المتبع عليها .

والواقع ان هذا البحث يتعرض الى الجانب التاريخي للمنشآت  
الدينية في عصر هذه الدولة ، من خلال دور السلاطين واهل بيتهم وافراد  
المجتمع الرسولي من ذوى اليسار في المنشآت الدينية ، وفق ما ورد  
عنها في بعض المصادر التاريخية التى تتعلق بعصر دولة بنى رسول ،  
مع الاشارة الى جانب من نظام الوقف الذى صاحب هذه العمائر الدينية ،  
وادى الى استمرار رعاية الكثير منها خلال العصور المتلاحقة ، وذلك  
من خلال الاشارة الى بعض نصوص الوثائق بايجاز ، ثم استخلاص بعض  
السمات المتعلقة بطبيعة منشآت هذا العصر من الناحية المعمارية من  
حيث تعدد المباني داخل المنشأة الواحدة وعلاقة ذلك بالتخطيط  
المعماري ، مع مقارنة المدرسة اليمنية غيرها من المدارس الاسلامية  
خارج بلاد اليمن ، وذلك بايجاز ايضا .

#### أولا - دور السلاطين وافراد المجتمع الرسولى فى العمائر الدينية :

لقد كان للسلطان الملك عمر بن على بن رسول اول ملوك هذه  
الدولة ( ٦٢٦ - ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩ - ١٢٤٩ م ) اول دور هام فى تأسيس  
المنشآت الدينية فى بدء قيام دولته ، رغم ما كان له من جهد كبير  
فى تثبيت نفوذ الدولة الجدد فى جوب اليمن ، بقصد ندعم المذهب  
السنى ، بل ونشره فى ارجاء اليمن ، وقد انحد الملك عمر بن رسول  
مدينة عنز حاضرة لدولته الجديدة ، وبدأ عصره بالتركيز على

بناء المدارس (٧) فبنى في مدينة زبيد مدرستان : المنصورية العليا  
 لأصحاب المذهب الشافعى ، والمنصورية السفلى التى جعلها على قسمين :  
 أحدهما لأصحاب أبى حنيفة والقسم الآخر لأصحاب الحديث ، ومما تجسدر  
 الإشارة إليه ان هذا الملك كان فى بداية امره على مذهب الامام أبى  
 حنيفة ، ثم انتقل بعد ذلك الى مذهب الامام الشافعى ، كما انشأ  
 ايضا المدرسة الوزيرية قرب حصن مدينة تعز ، ودرس هو بنفسه فيها  
 على احد علماء عصره ، كما يعزى اليه ايضا بناء المدرسة الغرابية  
 فى مدينة تعز ايضا على اسم مؤذنها عبد الله بن غراب (٨) ، وكذلك  
 المدرسة المنصورية بمدينة الجند (٩) وايضا المنصورية فى وادى  
 سهام بشمال مدينة زبيد ومدرسة اخرى بعدين ، اضافة الى انشاء  
 مدرسة بمكة المشرفة ، تمت عمارتها على يد الامير اياس فى عام ١٤١٠هـ .

ويتضح من هذا العدد الكبير الذى قام بإنشائه الملك المنصور  
 عمر ، جهده الكبير فى بناء المدارس الاسلامية فى مدن جنوب اليمن  
 وهى منطقة نفوذ الدولة الرسولية ، وقد بدأ باستخدام نظام المدرسة  
 كمنشأة تعليمية جديدة فى اليمن ، وكان قد عرف طرازها من قبيل  
 بوقت قليل خلال فترة حكم الدولة الايوبية فى اليمن ، ولا غربة فى  
 ذلك فقد كان الرسوليون هم ورثة بنى ايوب فى حكمهم لليمن فساروا  
 على نفس الشىء ، بل والمذهب السنى الشافعى .

- (٧) انظر عن نشأة المدارس وتخطيطها :  
 عباس حلمى كامل : المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتهما  
 الاشريه ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة  
 السنة الثالثة ، العدد الثالث ، ١٣٩٨هـ . الطراز المعماري للمدرسة  
 وحسن البناء : دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعماري للمدرسة  
 المصرية ذات التخطيط المتعامد ، تونس ١٩٨٧ .  
 - Creswell, K.A. The origin of the cruciform plan of  
 Cairene Madararas.  
 (٨) عبد الرحمن بن الديبغ : الفضل المزيّد على بغيّة المستفيد فى  
 اخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٩٠ .  
 الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ،  
 تحقيق محمد الاكوع ، الطبعة الاولى ، ج ١ ، ص ٥٦ .  
 (٩) تقع مدينة الجند الى الشمال الشرقى من مدينة تعز بحوالى  
 (٢٢ كم ) وبها جامع الجند من المساجد الاولى فى بلاد اليمن .  
 (١٠) محمد بن اسماعيل الكبسى : اللطائف السنية فى اخبار الممالك  
 اليمنية ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ، ص ٨٠ .

ونعتقد بأن ما اتبعه أول سلاطين هذه الدولة ، ثم ما سار عليه بعد ذلك ملوكها في ارساء نظام المدارس وغلبيته على نظام المساجد ، كان من شأنه الاستفادة من تجربة الايوبيين في مصر والشام من حيث تثبيت قوتهم والقضاء على الأقل في مواجهة مذاهب الشيعة الاخرى والتي كان من بسنها المذهب الزيدى الرئيسى فى اليمن .

ورغم ذلك فان نفس هذا الملك لم يغفل في الوقت نفسه انشاء المساجد ستخطيطها المعماري المعروف ، فقد انشأ المسجد النورى (١١) بل وكان له دوره الآخر في مجال المنشآت الدفاعية والمدنية ، على اعتبار انه قد وضع الاساس المعماري في عصر هذه الدولة ، التي استمر حكمها بعده لكثر من قرنين من الزمان .

على أن الامر لم يقتصر في عهده على ما أمر به وحده من منشآت دينية على الاخص ، وانما امتد الامر ليشمل اهل سته ووزرائه وحاشيته في تشييد العمائر الدينية ، ومن ذلك على سبيل المثال ما اشار اليه المؤرخ ابن الديبع من ان ام ولده السلطان الملك المظفر انشأت المدرسة السيفية بزيد ، كما انشأت اخته الملقبة بالدارالنجمى (١٢) المدرسة النجمية في مدينة جبلة (١٣) ، على اسم زوجها الامير نجم الدين بن ابي بكر ، واقامت ايضا المدرسة الشهابية على اسم اخيها شرف الدين موسى ، فضلا عما كان لبعض وصفاتها من افراد حاشيتها من نور آخر في سناء المدارس في جنوب اليمن (١٤) .

لقد وضع الملك المنصور عمر بن على بن رسول اساس النهضة المعمارية الدينية في جنوب بلاد اليمن ، وواصل من بعده ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر ما ارساه والده في هذا المجال ، خاصة وان

- 
- (١١) يقع هذا المسجد بين مدينتى زبيد وحيس ، وجعل فيه اماما وموعظا وقد سمي بالمسجد النورى نسبة اليه . انظر : ابن الديبع الفضل المزيدي ، ص ٩٠ .
- (١٢) الدار من القاب النساء ، دلالة على عدم التصريح باسمها ومونا لملازمتها الدار ، وقد لقب به اميرات البيت المالك . انظر : حسن الباشا : اللقب الاسلامي في التاريخ والوثائق والاشار ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
- (١٣) تقع مدينة جبلة جنوب غرب مدينة اب اليمينية بحوالى ٧ كم ، وكانت هذه المدينة عاصمة الدولة الصليحية باليمن .
- (١٤) ابن الديبع : الفضل المزيدي ، ص ٩٠ .

حكم فترة طويلة من عصر هذه الدولة ، بلغت ما يقارب سبعة واربعين عاما ( ٦٤٧ - ٦٩٤ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٩٥ م ) حفلت بالعديد من المنشآت الدينية التي انتشرت في مدن وقرى عديدة ، تمكن من الاستيلاء عليها وخضعت بالتالي لسلطانه (١٥) حتى وصف هذا الملك بأنه كان اعظم ملوك بني رسول مملكة ولقب بالتبع الاكبر (١٦) .

قام هذا الملك ببناء العديد من العماثر الدينية التي بقى بعضها واندثر الآخر ومن امثلة منشآته جامع المظفرية بمدينة تعز والذي يطلق عليه ايضا المدرسة المظفرية وانشأ مسجدا آخر في غرب مدينة تعز وجامعا كبيرا في مدينة ذي عدينة والحق به دار الضيف ، اضافة الى خاتناه في قرية حيس والجامع المظفرى بمدينة المهجم (١٧) وجمع المحالب (١٨) . ويلاحظ ان هذا الملك كان دوره واضحا في بنائه للمساجد او الجوامع ، اكثر من بناء والده ، وربما كان الغرض من ذلك احداثه لنوع من التوازن في المنشآت الدينية المتمثلة في عمارة المدارس والمساجد ، خاصة وان هذه الدولة كانت لا تزال حديثة العهد في انشاء المدارس ، كما يعزى اليه ايضا انشاء منبر الحديث بجامع الاشاعر بزبيد (١٩) ، على اعتبار انه احد العناصر المعمارية الهامة في عمارة المسجد ، كما انه نصب ايضا منبرا في مسجد الرسول (ص) في عام ٦٥٦ هـ ، يذكر عنه المؤرخ الحبشي قوله : " عمل منبرا لمسجد الرسول ( ص ) رمنته من الصندل وارسل به الى هناك سنة ٦٥٦ هـ ، فنصب في موضع منبر النبي ( ص ) وبقي عشر سنين يخطب عليه ، وهو موجود الى الآن في جانب الحرم الشريف (٢٠) " .

- 
- (١٥) تارج الدين عبد الباقي اليماني : تاريخ اليمن المسمى بهجسة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ، صنعاء ، ص ٨٩ .
- (١٦) وجه الدين الحبشي : تاريخ وصاب ، ص ١١٦ - ١١٧ - الكبسى : اللطائف السنية ص ٩٢ .
- (١٧) المهجم : مدينة اثرية قديمة ، قريبة من مدينة زبيد ، تهدمت في القرن الثاني عشر / ١٨ م .
- (١٨) ابن الديبغ : الغفل المزيد ، ص ٩١ .
- (١٩) المقداد : جامع الاشاعر المسمى قرّة العيون وانشراح الخواطر ، تحقيق عبد الرحمن الحضرمي ، مجلة الاكليل ، العددان ٣ ، ٤ ، ١٩٨١ ، ص ١١٨ ، مصطفى شيحة مدخل ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، لوحة ٨١ ، أ ، ب .
- (٢٠) الحبشي : تاريخ وصاب ، ص ١١٧ .

و الواقع ان فترة حكم الملك المظفر ، كانت من ازهى عصور الانشاء الدينى المعمارى فى اليمن ، ساعد عليها ايضا ، ما تمتع هو به من علم ، حتى انه اشتهر بالتفوق فى العلوم الدينية من اقامة وعلم وفقه وقد خلف العديد من المصنفات الدينية وغيرها فى فروع العلوم الاخرى ، وكان يوءثر عنه قوله " لبارك الله فى وال فى رعيته من هو اعلم منه " (٢١) .

ومثلما كان له من دور كبير فى اقامة المنشآت الدينية فى عصره ، كان ايضا لاهل بيته وحاشيته ووجوه القوم ، دورهم الآخر فى البناء ، فعلى سبيل المثال اقامت زوجته وام ولده الملك الواثق المدرسة الاسدية فى تعز وانشأت ابنته نبيلة المدرسة الاشرفية بزبيد . وابنتت اخته الملقبة بالدار الشمسية مدرسة فى ذى عدنية والمدرسة الشمسية ايضا فى مدينة زبيد وعمرت ابنته ماء السماء المدرسة الواثقية فى مدينة زبيد ( المدرسة النورية ) ، كما اقامت زوجته الحرة مريم مدرستان احدهما بمدينة تعز والاخرى بمدينة زبيد (٢٢) ، وشد خادمه المعروف بتاج الدين المظفرى ثلاث مدارس ، كانت احدهما للمذهب الشافعى والثانية للقراءات السبع والثالثة للحديث الشريف . (٢٣)

وحين ولى الحكم الملك الاشرف الاول عمر بن يوسف بن رسول ( ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ - ١٢٩٧ م ) ، بنى له مدرسة فى مدينة تعز ، عرفت بالمدرسة الاشرفية ، وان كان قد بدأ فى انشاءها فى عهد والده الملك المظفر ، واجرى لها الماء من جبل صر ، وجعل فيها بركة ومطاهير ، ورتب فيها اساتذة ودرسة يتعلمون (٢٤) .

كذلك قام الملك الموميد داود بن يوسف ( ٦٩٦ - ٧٢١ هـ / ١٢٩٧ - ١٣٣١ م ) بانشاء وتجديد بعض المدارس اليمنية ، فاليه تنسب عمارة المدرسة الموميدية بتعز وتجديد بعض المنشآت الاخرى ،

- 
- (٢١) المصدر السابق ، ص ١١٧ .  
 (٢٢) الاكوع : المدارس ، ص ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٢ .  
 (٢٣) ابن الديبغ : الفضل المزيدي ، ص ٩١ .  
 (٢٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية تحقيق محمد الاكوع ، ١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

وان تركز جهده في مجال العماثر المدنية في اليمن (٢٥) .

هذا وبعد عصر الملك المجاهد علي بن الموءيد ( ٧٢١ - ٧٦٤ هـ / ١٣٣١ - ١٣٦٣ م ) من اهم الفترات المزدهرة في انشاء العماثر الدينية في عصر الدولة الرسولية فقد انشأ المدرسة المجاهدية بشرق مدسنة تعز في عام ٧٣١ هـ ، وقد جعلها جامعا ومدرسة وخانقاة ، ودفن فيها عقب وفاته عام ٧٦٤ هـ ، ومدرسة اخرى عرفت بمدرسة العدل وجعل فيها خانقاة ، اضافة الى دوره الكبير في عمارة المساجد بالسليم ، فقد بنى مسجدا في مدينة شعبات وآخر بقرية النويدرة ، جهة باب سهام احد ابواب مدينة زبيد ومسجدا ثالثا جهة شرق سور مدينة زبيد وحدث زيادة في جامع ذي عدينة كما عمر عدة مساجد اخرى بالسليم (٢٧) . وامتدت يد البناء في عصره الى خارج اليمن ، اذ انشأ المدرسة المجاهدية في مكة المكرمة عام ٧٤٠ هـ ووقف عليها وقفا جيدا من املكه (٢٨) . وفي مجال العماثر الدينية بالنسبة لاهل بيته كما هو متبع بالنسبة للملوك السابقين من هذه الدولة ، اقامت والدته السيدة آمنة في عام ٧٣٠ هـ المدرسة الصلاحية

(٢٥) من هذه العماثر ، عمارة القصر المعقلى بمدينة شعبات ، وقصر اخر خلف باب الشبارق احد ابواب مدينة زبيد ، كان يتقدمه ايوان هائل مستطيل الشكل بصفه الموءرخ ابن الديبغ بقوله : " وفي صدره مقعد كبير له دهليز متسع وفوق الدهليز قصر باربعة اواوين "

انظر : ابن الديبغ : الفضل المزيد ، ص ٩٤ - ٩٥ ، تاج الدين عبد الباقي : تاريخ اليمن ، ص ١٢٨ .

(٢٦) اندثرت حاليا هذه المدرسة ويشغل مكانها مستشفى من بنى العثمانيين في اليمن ، وانظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٢٧) الخزرجي / العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥٧ - ٦٤ ، ابن الديبغ : الفضل المزيد ، ص ٩٧ .

(٢٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦٤ : كذلك كان له دور كبير في مجال العمارة المدنية خاصة اسوار المدن كما فعل في مدينة شعبات وزبيد وغيرها ، هذا ومن المعروف ان هذا الملك استعان بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون ليعاونه في اقرار الاوضاع الداخلية في اليمن . مقابل الولاء لمصر وذكر اسم السلطان الناصر في الخطبة على منابر اليمن ، فبعث له السلطان الناصر بقوة عسكرية كبيرة ، كذلك قبض عليه في عام ٧٥١ هـ اثناء حجة في مكة واوفد الى مصر ثم عاد الى اليمن عام ٧٥٢ هـ ، انظر : الخزرجي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٦ وما بعدها ، محمد عبد العال : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .



فى مدينة زبيد ، وهى المدرسة المعروفة بمدرسة ام السلطان المجاهد وجعلت فيها مدرسا للفقهاء على مذهب الامام الشافعى وغيره فى فروع العلوم الدينية ، كما شيدت خانقاة فى مواجهة هذه المدرسة ، وابتنى مدرسة اخرى فى قرية المسلب بوادى زبيد واخرى فى قرية السلامة ، اضافة الى المسجد فى قرية التريبة شرق مدينة زبيد ، وآخر فى المجلية من تعز ومسجدا ثالثا فى قرية المملح (٢٩) .

على ان ما قامت به السيدة آمنة والددة الملك المجاهد على من عمائر عديدة فى اليمن ، فانما هو امر يتناسب مع دورها السياسى الكبير فى اليمن خاصة فى الفترة التى اعتقل فيها ولدها الملك المجاهد فى مكة وارسل الى مصر حيث مكث فيها لمدة عام تقريبا ، قامت هى خلال فترة اعتقاله بتدبير امور الدولة بل والتغلب على معارضة حتى عاد لليمن مرة اخرى (٣٠) .

ومن المنشآت الدينية الاخرى فى عصر هذا الملك ما قامت به اخته " جهة فاتن " من انشاء المدرسة الفاتنية بزبيد جنوب باب سهام ، احد ابواب مدينة زبيد ، واقامت امامه سبيلا يعرف بالسبيل الفاتنى ، اضافة الى انشائها المسجد والسبيل فى طريق وادى زبيد ومسجدا صغيرا بنفس المدينة ، كما ابنت ثلاث جوارى من جوارى والددة الملك المجاهد ثلاثة مساجد بمدينة زبيد ، بل قام ايضا بعض طواشى هذه الجوارى ببناء مساجد اخرى (٣١) .

لقد استمرت عمارة المنشآت الدينية فى ازدياد فى عصر هذه الدولة خلال فترة حكم الملك الافضل عباس ( ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م ) ، فاليه يعزى بناء المدرسة الافضية نسبة اليه فى ناحية الجبيل بمدينة تعز عام ٧٦٥ هـ ، كانت على حد قول ابن الديبى " ليس لها فى البلاد نظير " (٣٢) وامر باثناء منارة لهذه المدرسة ،

---

(٢٩) ابن الديبى : الفضل المزيدي ، ص ٩٨ - ١٠٠ ، الخزرجى : العقود

الولوية ، ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧ ، ١٠٠ - ١٠١ .

(٣٠) الخزرجى : المصدر نفسه ، ص ٧٦ وما بعدها .

(٣١) ابن الديبى : الفضل المزيدي ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

يصفها المؤرخ الخزرجي بقوله : " لم يكن في البلاد مثلها ، وذلك انها على ثلاث طبقات ، فالطبقة الاولى مربعة الشكل صحيحة الاركان والطبقة الثانية مثلثة الاركان قائمة الحروف والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر وهي عجيبة من عجائب الزمن (٣٣) .

كما بنى هذا الملك ايضا مدرسة اخرى فى مكة فى مواجهة باب الكعبة ، رتب فيها مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة واماما وموءذنا . وقيما ومعلما وايتاما يتعلمون القرآن وأوقف عليها وقفًا جيدا (٣٤) " هذا فضلا عما كان له ايضا من اضافات فى مجال العمارة المدنية فى اليمن .

وحين ولى الحكم الملك الاشرف الثانى اسماعيل بن العباس ( ٧٧٨ - ٨٠٣ هـ / ١٣٧٦ - ١٤٠٠ م ) نشطت حركة البناء فى مجال العمائر ، خاصة العمائر الدينية من بناء جمد وتجديد وازافة ، حيث يذكر ابن الديبغ فى هذا الشأن قوله " وفى دولته امر بعمارة المساجد والمدارس بزبد ، بعد ان كان اكثرها داثرا ، لا اثر له ، وفيها ما قد اشرف على التلف (٣٥) " وقد عهد بهذا العمل الكبير الى القاضى سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم ، حيث امره بعمارة المساجد و المدارس والاسبلة واسند اليه ايضا شذ الاوقاف المباركة بوادى زبيد حتى يعيدها كما كانت . وقد احصى الخزرجى المؤرخ عدد هذه الاثار التى شملتها العمارة فى عصر الملك الاشرف الثانى بخمس وستون اثرا ، وقد قام القاضى سراج الدين عبد اللطيف بهذا العمل ، ويصفه المؤرخ الخزرجى ايضا بقوله : " فقام فى ذلك قياما كليا واجتهدا واعمالا معالم الوقف عن حقائقها المعتادة ورسومها القديمة واحيا السبل الدائرة ، وقام فى ذلك حق القيام حتى شكره الخاص والعام (٣٦) .

---

(٣٣) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

(٣٤) الاكوع : المدارس ، ص ١٨٥ .

(٣٥) ابن الديبغ : الفضل المزيدي ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ . مؤلف مجهول تاريخ الدولة الرسولية فى اليمن ، تحقيق عبد الحشى ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ٢٧ - ٤٨ .

(٣٦) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ٢٦٠ .  
ونذكر فيما يلى نص الخزرجى المتعلق بهذه الاثار لاهميته :  
فاما الذى عمر بعد ان كان داثرا : المدرسة المنصورية .  
الحنفية وموضع الحديث بها والسيفية الصغيرة والنظامية =

هذا وتعد المدرسة الاشرفية بتعر (٣٧) من اروع العمائر الاسلامية الدينية التى تنسب الى عصر هذه الدولة من حيث ما شملته عمارتها وكذلك اسلوب البناء وتنوع التدريس بها ، فضلا عما اوقف عليها من اوقاف كثير ، كذلك كان لهذا الملك جهد كبير فى مجال العمائر المدنية والحربية فى اليمن ، حتى وصف عصره بعصر قيام الدولة الاشرفية الكبرى فى بلاد اليمن ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان هو على درجة عالية من الثقافة والفكر وخلف العديد من المصنفات فى فروع العلم ، وكان فى عصره ايضا المؤرخ الخزرجى الذى كتب تاريخ الدولة الرسولية وكذلك عدد آخر من المؤرخين والعلماء والفقهاء المشهود لهم بما خلفوه من مصنفات دينية وعلمية مختلفة (٣٨) .

ومن المنشآت الدينية الهامة التى تمت فى عهد الملك المدرسة المعتبية بمدينة تعز (٣٩) التى انشأتها جهة الطواشى جمال الدين معتب ام اولاد الملك الاشرف اضافة الى ما قامت به من انشاء عدة اسبله فى مفترق الطرق (٤٠) .

على اننا نلاحظ فى مجال العمارة الدينية عقب نهاية عصر الملك الاشرف الثانى فى عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م قلة الابنية الدينية اذا ما

- 
- والعقيفية والميكائيلية ومسجد الاتابك ومسجد نجم ومسجد الطواشى فاخر ومسجد الطيرة ومسجد السلطان عباس الظفارى ومسجد ازدمر ومسجد السباط ومسجد ابن الهمام ومسجد الخيرزان ومسجد القريت وسبيله والسبيل الفاتنى على باب سهام ومسجد الرند المنظر وسبيل فثال واحداث السبيل الذى على جامع زبيد . اما الذى معظمه خراب والاقل فيه قائم فالمنصورية العليا والاشرفية والسابقية والسيفية الكبيرة والتاجية والفقيهية ومسجد السابق النظامى ومسجد قنديل ومسجد غصون ومسجد الحاجة سماح ومسجد الامير عباس بن عبد الجليل والخانقا الملاحية زبيد ومدرسة المسلب وسبيل المنصورة ومسجد الجبرتى ولللقنة الفاتنيسية ومسجد الحشا وسبيل مسجد الرب وسبيل التربية وسبيل الملاحية زبيد وسبيل باب النخل ومسجد بستان الراحة والخانقا التاجية وجامع النويدرة وسبيله وسبيل الطنبغاء " .
- (٣٧) مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٨٩ - ٩٢ ، لوحة ٤٩ ، شكل ١٢ .
- (٣٨) الجرافى : المقتطف فى تاريخ اليمن ، طعة بيروت ١٩٨٤ ، ص ٩٢ .
- (٣٩) مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٩٤ - ٩٦ ، لوحة ٥٣ ، شكل ١٣ .
- (٤٠) الخزرجى : العنود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

قورت بالفترات السابقة من عصر هذه الدولة ولعل السبب في ذلك يرجع الى الفترات القبلية في الحكم والتي قضاها بقية ملوك هذه الدولة اذا ما قورت بالفترات الزاهية السابقة ، والى أن المدين الكبيرة كانت قد اكتظت بالعمائر الدينية على نطاق واسع ، واصبح الامر يتسلزم في معظمه تجديد ما يتشعث منها والمحافظة على قيامها بواجباتها الدينية والتعليمية ، وايضا الى طبيعة الاحوال السياسية والاقتصادية التي خيمت على ما تبقى من عمر هذه الدولة ، فعلى سبيل المثال يلاحظ ان الملك الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل ( ٨٠٣ - ٨٢٩ هـ / ١٤٠٥ - ١٤٢٦ م ) قد ركز جهده في مجال العمائر المدنية (٤١) الا ان في ايامه انشأت جهة الطواشي جمال الدين فرحان المدرسية الفرحانية بزبيد ، كما انشأت ايضا بركة مسجد الاشاعر بزبيد فلى عام ٨١٥ هـ أو ٨١٦ هـ .

كذلك يلاحظ ايضا ازدهار خرقة البناء الى حد ما ، خلال فترة حكم الملك الاشرف الثالث اسماعيل ( ٨٣٠ - ٨٤٢ هـ / ١٤٢٧ - ١٤٣٨ م ) . فقد انشأ المدرسة الظاهرية بمدينة تعز عام ٨٣٥ هـ وامر بعمل مئذنتين بها ، كما انشأ مدرسة اخرى بعدن وامر بعمل ترميم فلى مئذنة جامع الجند قريبا من مدينة تعز من ماله الخاص ، بعد ان كانت قد تهدمت ، كما عمرت زوجته جهة الطواشي باقوت المدرسية الياقوتية بزبيد (٤٢) ، وبنى الامير برقوق الظاهري في ايامه مسجد الاشاعرة بمدينة زبيد (٤٣) عام ٨١٥ هـ . هذا وقد أمر الملك الظاهر يحيى بن الاشرف ( ٨٤٢ - ٨٥٠ هـ / ١٤٣٨ - ١٤٤٦ م ) بعمارة كبيرة اجريت في الجامع الكبير بمدينة ذمار ، اذ جدد سقفه واصلاح ما تشعث منه واقام فيه بركة كبيرة للامياه .

(٤١) من ذلك انشائه لمرسى بساحل زبيد وعمارة دار النعيم بالمقرانة من اعمال مدينة رداع حاليا وانشأ الدور الناصري بزبيد وكذلك كان له دور في انشاء المجارى والبساتين في جنوب اليمن .

انظر : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص ١٠٨ ، تاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول ص ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٨٧ ، ١٩١ .

(٤٢) مصدق في شيعة : مدخل : ص ٩٧ - ٩٩ ، لوحة ٥٥ ، ٥٦ .

(٤٣) عبد الرحمن الحفزي : زبيد واثارها الاسلامية ، كتاب الاثار الاسلامية في الوطن العربي ، تونس ، ١٩٨٥ ، ص ٧٣ .

## ثانيا - بعض الامثلة من وقفيات المنشآت وكذلك بعض مظاهر عمارة منشآت هذا العصر :

كان لدور نظام الوقف في العصر الاسلامي اهمية واضحة انعكس اثره على الاهتمام بعناصر السلاطين والامراء في هذا العصر ، تمشيا مع ما كان عليه الوضع في البلاد الاسلامية الاخرى ، خاصة في مصر زمن الايوبيين والمماليك (٤٥) . ويتضح هذا الامر من خلال ما نشره القاضي اسماعيل الاكوع من نصوص بعض وقفات عمائر هذا العصر ، حيث تشير بعض نصوصها الى الوصف المعماري والى ترتيب الوظائف الدينية والادارية داخل المنشأة ، كما توضح اسلوب الصرف ونظام التدريس ، فضلا عما يرد في بعض هذه الوثائق من مصطلحات هامة تشير في كثير من الاحيان الى الوظيفة الخاصة بالمنشأة .

لقد كان حجم ما اوقف على المنشآت الدينية في عصر دولة بنى رسول في اليمن وخارجها كبيرا ، وقد ساهمت هذه الاوقاف في الابقاء والحفاظ على كثير من منشآتهم الدينية والتي تتابعت العناية بها بعد زوال عصر هذه الدولة ، وقد اشارت الوقفية الفسانية التي شملت

---

(٤٤) ارتبطت حركة التعليم في مصر زمن الدولة الايوبية بنظام المدرسة . كمنشأة تعليمية ذات تخطيط معين معماري ، يسوده الايوان ، بدلا من الرواق في المسجد خاصة وان صلاح الدين الايوبي كان قد شرع في انشاء المدارس للمذاهب السنية المناهضة للمذهب الشيعي ، ورتب بعض الاراضي والعقارات للصرف من ريعها على مصاريف مدارس ودفع رواتب المدرسين والطلبة .

انظر : عبد الغني محمود عبد العاطي : التعليم في مصر زمن الايوبيين والمماليك ، دار المعارف ، مصر ، ص ٦٦ - ٧٨ .  
(٤٥) استمر نظام الوقف على نطاق واسع في مصر خلال العصر المملوكي ، بحيث يعتبر عصر سلاطين المماليك هو العصر الذهبي لنظام الاوقاف ، وفق جوانب متعددة اقتضتها ظروف هذا العصر من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، وكان ديوان الاحباس في مصر من اهم الدواوين التي كان يشرف عليها السلطان او نائبه او الدواير . لذلك ارتبطت الاوقاف بالحياة الاجتماعية والثقافية في مصر وساعدت على الحفاظ على المنشآت الدينية والى استمرار حركة التعليم بها الى حد كبير ، كما امتد تاثيرها الى الرعاية الصحية ايضا المتمثلة في البيمارستانات في مصر .

انظر : محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٥ .

العديد من وثائق الوقف التي تتعلق بعمائر هذا العصر الى الوصف الاخرى لمنشآت هذه الدولة وذكر ما جرى عليها من اوقاف متنوعة ، كما اشارت ايضا الى الوظائف الدينية والاساتذة والطلاب ، وكذلك بالنسبة للقائمين على احياء الشعائر الدينية وكذلك بعض الوظائف الاخرى ، ونورد فيما يلي بعض النصوص المختارة من هذه الوقفيات والتي تتعلق بترتيب الدراسة بها واحياء الشعائر الدينية والاشارة الى بعض ما ورد فيها من مراسيم الوقف :

(أ) المدرسة المنصورية بالجند : نسبة الى الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول :

" رتب فيها مدرسا ومعيدا واماما وموءدنا وابطاما يتعلمون القرآن ووقف عليها وعلى سائر مدارسه الاخرى اوقافا بعيده تحملهم وتقوم بكفائتهم جميعا (٤٦) " .

(ب) جامع المظفرية في تعز : نسبة الى الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول :

" رتب فيها مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة ، ورتب منها اماما وموءدنا ومعلما وعشرة ايتام يتعلمون القرآن وقيما (٤٧) واوقف عليهم ما يقوم بكفاية الجميع منهم (٤٨) " .

(ج) المدرسة الاشرفية بتعز : نسبة الى الملك الاشرف الاول عمر بن يوسف :

---

(٤٦) اسماعيل الاكوع : المدارس ، ص ٣٧ .  
(٤٧) تشير الوقفيات الى اهمية وظيفة " القيم " في المنشآت الدينية في عصر دولة بني رسول حيث كان من عمله وفق ماورد في وثيقة ابي الدر جوهر عبد الله المجاهدي : " قيم يتولى تنظيف المسجد وجناحيه وموءخره وسائر اماكنه وفرش ما يحتاج الى فرش وتنظيف البركة والحيطان ومواقع الماء .. واشغال المصاييح للمسجد .. ويتولى حفظ آلة المدرسة المعدة لها من الفرش " كما يرد عن وظيفته بوثيقة وقف مدرسة طلامة ، نفس الاعمال السابقة ، اضافة الى غيرها من الاعمال الدائمة بالمدرسة ويرد ايضا في بعض وثائق الوقف الاخرى وجود " قيمين " بالمنشأة كما في وثيقة وقف المدرسة العباسية التي تنسب عمارتها للسي الملك الافضل . انظر اسماعيل الاكوع : المدارس ، ص ١٨٥ -

(١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٨٥ .

" رتب فيها اماما وموءذنا وقيما ومعلما وايتاما يتعلمون القرآن ومدرسا للفقهاء على مذهب الامام الشافعي وجماعة من الطلبة يقرءون عليه وواقف على الجميع ما يقوم بكفايتهم<sup>(٤٩)</sup> .

(د) المدرسة الموءيدية بتعز : نسبة الى الملك الموءيد داود :

" رتب فيها مدرسا ودرسة ومعيدا واماما وموءذنا ومعلما . وايتاما يتعلمون القرآن ومقرشا يقرأ القرآن الكريم ووقف عليها من احسن الاراضي والبساتين اضافة على وضعه خزانة كتب بها<sup>(٥٠)</sup> " .

(هـ) المدرسة الصلاحية في زبيد : مدرسة ام السلطان المجاهد :  
" رتبت فيها اماما وموءذنا وقيما ونازحا التي الماء للمطاهير ومدرسا للشرع على مذهب الامام الشافعي ومعيدا وعشرة من الطلاب ومدرسا في النحو ومعلما وعشرة ايتام يتعلمون القرآن وواقفت على الجميع وقفا يقوم بكفاية الجميع من خيار ما تملكه<sup>(٥١)</sup> " .

" وقد ابنت امام هذه المدرسة خانقاة رتبت فيها شيئا ونقيا وفقراء واقفت لهم وقفا كثيرا<sup>(٥٢)</sup> " .

على انه يتضح لنا من خلال نصوص الوثائق المتعلقة باوقاف المدارس والمنشآت الدينية في عصر هذه الدولة عدلا ملاحظات نجلها فيما يلي :

١ - الخلط بين تسمية المنشآت الدينية المتمثلة خاصة في المدرسة والمسجد بالنسبة للتخطيط المعماري المتعارف عليه ، اذ ان التسميتين ترد معا في الوثيقة الواحدة حيث يرد ذكر المدرسة والمسجد بين ثنايا سطور الوقفيات ، والارجح ان ذكر المسجد في الوثيقة يحتمل ان يكون المراد به هو بيت الصلاة ( البنية ) داخل المدرسة نفسها ، كما في وثيقتي مدرسة سلامة في تعز ،

---

(٤٩) الاكوع : المدارس ، ص ١٩٧

(٥٠) المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

(٥١) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٥٢) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

التي استنتجها جهة مرشد سلامة ابنة الملك المجاهد على - سن  
المؤيد والمتوفية عام ٨٠٤ هـ ، وكان بها ايوان اعتبر من  
ملحقات المسجد (٥٣) . وفي وثيقة وقف المدرسة المعتبية بتعز ،  
كذلك الجامع المظفرى بتعز ايضا ، اضافة الى بعض الامثلة  
الاخرى كما فى المدرسة الجبرية والمدرسة الياقوتية بزبيد .  
والمدرسة الظاهرية بتعز (٥٤) .

والواقع ان المتتبع لما ورد فى نصوص الوثائق المتعلقة  
باوقاف المنشآت الدينية فى عصر دولة بنى رسول باليمن يلاحظ  
عدم ارتباط التخطيط المعمارى بالوظيفة التى تروءديها المنشأة  
الدينية فى احيان كثيرة ، وهو امر يتضح فى منشآت دينية اخرى  
خارج بلاد اليمن ، منها على سبيل المثال ما يرد فى وثائق  
الوقف فى مصر التى ترجع الى العصر المملوكى ، وفى منشآت  
الصحراء التى يتخذ تخطيطها نظام المدارس قد نصت الوثائق  
عليها نصا صريحا على انها مساجد جامعة لجمعية المسلمين كـ  
فى منشأة اينال وقايتباي (٥٥) .

٢ - لقد كان انشاء المساجد والمدارس جاريا فى هذا العصر ، وفق  
التخطيط المعمارى المتعارف عليه ، الا انه يلاحظ على المنشآت  
الدينية الرسولية الباقية ، غلبة وجود الايوان على الرواق ،  
وهو الامر المتمثل فى بناء المدارس الكبيرة والصغيرة ، وربما  
يرجع السبب فى ذلك الى قلة التكاليف المادية بالنسبة لبناء  
المدرسة عن المسجد ، اذ يغلب استخدام المدرسة وفق تخطيطها  
المعمارى المعروف ، وفى مساحات صغيرة نسبيا ، وذلك باستثناء  
المدارس الكبيرة التى انشأها سلاطين هذه الدولة ، اضافة الى  
ان المدارس الصغيرة كانت تخدم الغرضين معا : اقامة الشعائر  
والتدريس فى وقت واحد ، فكان مكان الصلاة فى " البنية " كما  
سقت الاشارة والتدريس فى الايوان المقابل ، لذلك وبسبب قلة

(٥٣) الاكوع : المدارس ، ص ١٩١ .

(٥٤) المصدر السابق ، ص ٢١٩ - ٢٢١ .

(٥٥) انظر / محمد حمزة الحداد : قراقة القاهرة فى عصر سلاطين  
المماليك ، دراسة حضارية اثرية ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، ٤٢٢ (رسالة  
ماجستير تحت الطبع ) .



التكاليف ، كان الاكثار من بناء المدارس الصغرى وقد اطلسق  
عليهما نفس التسمية المدرسة والمسجد ومن المعروف ان نظام  
التدريس فى المساجد كان معروفا منذ بداية العصر الاسلامى<sup>(٥٦)</sup> .  
كذلك نجد فى عصر هذه الدولة ، على سبيل المثال يرتب السلطان  
الملك الاشرف عند سناثه لجامع المملوح بظاهر مدينة زبيد مدرسا  
بالجامع على مذهب الامام الشافعى بالاضافة الى مدرس آخر على  
مذهب الامام ابى حنيفة .

٣ - كان يلحق فى بعض الاحيان بالمدارس التى يكون تخطيطها المعمارى  
وفق بنية الصلاة والايوان ، مساجد صغيرة ، ويرد ذلك فى بعض  
نصوص وثائق الوقف فقد الحق على سبيل المثال مسجدا صغيرا  
بالمدرسة النجمية فى جيلة<sup>(٥٧)</sup> ، وكذلك بالمدرسة الشرفية فى  
نفس المدينة<sup>(٥٨)</sup> . كذلك حولت بعض الدور الى مدارس كمدرسة  
جلل برأس وادى غلان<sup>(٥٩)</sup> .

٤ - يرد ايضا ضمن الوصف الوثائقى لبعض منشآت هذا العصر ذكر  
لوجود الخانقاة كمكان دينى لرجال الصوفية فى اليمن ، خاصة  
وان تاريخ رجال الصوفية فى اليمن يرتبط الى حد كبير ، بعصر  
هذه الدولة منذ بدايتها ، فقد شهد القرن السابع الهجرى  
جماعة منهم ، ثم زاد عددهم بعد ذلك خاصة فى فترة حكم الملك  
المظفر يوسف بن عمر ، الذى ولى احدهم القضاء فى عام (٦٩٦ هـ)  
ثم اصبح لهم شأن كبير بعد ذلك فى عصر الملك المجاهد على  
ابن المؤيد ( ٧٢١ - ٧٦٤ هـ ) الذى انشأ المدرسة المجاهدية  
وجعلها جامعا ومدرسة و خانقاة<sup>(٦٠)</sup> . كما انشأ مدرسة العدل  
وجعل فيها ايضا خانقاة للصوفية ، كما شيدت امه ايضا خانقاة  
لصوفية مستقلة بذاتها كانت فى مواجهة مدرستها المعروفة باسم

---

٥٦) سعد ماهر محمد : مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، ج ١ ،

ص ١٤٧ .

٥٧) الاكوع : المدارس ، ص ٥٩ .

٥٨) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

٥٩) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

٦٠) الخزرجى : العقود اللوئية ، ج ٢ ص ٥٧ .

ام السلطان الملك المجاهد<sup>(٦١)</sup> ، وقد كان رجال الصوفية فسى هذا العصر ، كثيرا ما يعقدون مجالسهم فى مساجد مدينة زبيد ، وان كانت مكانتهم تقلصت عقب وفاة الملك الناصر احمد بسن الاشرف اسماعيل ( ٨٠٣ - ٨٢٩ هـ ) وغلب عليهم الفقهاء فسى اليمن<sup>(٦٢)</sup> .

على ان عمائر الخنقوات تندو قليلة فى اليمن ، اذ ما قورنت بغيرها من المنشآت الدينية فى عصر هذه الدولة رغم ازدهار الصوفية فى هذا العصر ، وتظهر كعنصر معمارى صغير ضمن عمائر المدارس الباقية. كما فى المدرسة الاشرفية الكبرى بتعز حيث تكون على هيئة قاعة ذات ايوانين متقابلين شرقى وغربى بينهما دور قاعة بسقف كل مسن الايوانين قبو مدب وتعلو الدور قاعة قبة ، وكانت تتوسطها فسقية<sup>(٦٣)</sup> كما كان ايضا بالمدرسة العباسية بتعز خانقاة للصوفية ، وقد نصت وثيقة وقفها على وجود شيخ لها " من مشايخ الطريقة السالكية المحققين وعلى عشرة من المريدين<sup>(٦٤)</sup> كذلك تشير نصوص بعض الوثائق الى استخدام دار الضيافة التى كانت تلحق فى ابنية بعض المدارس ، بمثابة خانقاة ، مثال ذلك ما ورد فى نص وثيقة دار المضيف التى انشأها تاج الدين بدر بن عبد الله المظفرى اذ يذكر النص عن ذلك الامر " لها مشيخ ونقيب وقيم لاطعام الواردين وامام وموذن للقيام بالصلوات الخمس فى اوقاتها "<sup>(٦٥)</sup> وعلى هذا الاساس فاننا نرجح ان دار الضيافة التى اقامتها الحرة مريم زوج السلطان الملك المظفر فى مدرستها فى جلة كانت بمثابة خانقاة .

لقد تكاملت العناصر المعمارية فى نظام المدرسة كمنشأة تعليمية بالدرجة الاولى ، فضلا عن استخدامها فى اداء الشعائر الدينية التى تفى بغرض المسجد وذلك من قاعات للدرس ومساكن للطلبة

(٦١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ابن الديبغ : الفضل المزيدي ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٦٢) عبد الله الحبشى : الصوفية والفقهاء فى اليمن ، صنعاء ، ١٩٧٦ ، ص ٤٦ - ٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٦٣) محمد سيف النصر ، المدارس اليمنية : تخطيطها وعناصرها المعمارية ، مجلة الاكليل صنعاء ، ١٩٨٥ ، العدد الاول ، ص ١١٠ - ١١١ ، شكل ٣ .

(٦٤) الاكوع : المدارس ، ص ١٨٧ .

(٦٥) الاكوع ، ص ١٣٥ .

ومأذنة او اكثر وان كان فى احيان اخرى لا يوجد بها مأذن . هذا وقد الحق فى بعض هذه العمائر بعض الحمامات ومن ذلك على سبيل المثال ما تشير اليه وثيقة وقف مدرسة جوهر فى تعز ، التى بناها ابي الدر جوهر عبد الله المجاهدى ، " حيث جعل على بابها حماما " (٦٦) كما ضمت ايضا المنشآت الدينية فى هذا العصر مكتبات اوقفها اصحابها على منشآتهم ، لتكون عوناً للمدرسين والطلبة فى البحث والدراسة ، وقد شملت هذه الكتب بالدرجة الاولى العلوم الدينية ، لاسيما فى منشآت السلاطين الكبرى ، والذين كانوا على قدر كبير من العلم والثقافة ، فعلى سبيل المثال اوقف الملك المؤيد على مدرسته خزانة نفيسة ، احتوت على مائة الف مجلد (٦٧) . وقد كان بعض الامراء فى هذا العصر يقوم هو بنفسه بنسخ الكتب والمصاحف ويوقفها على مدرسته او منشآته ، مثال ذلك ما فعله الامير أسد الدين محمد بن رسول (٦٨) .

على أنه يتضح مما سبق عرضه ان المنشأة الدينية فى عصر دولة بنى رسول فى اليمن خاصة تلك المنشآت الكبيرة ، قد ضمت عدة وحدات معمارية ، تخدم كل منها غرضاً دينياً معيناً ، وصدق مثال لذلك المدرسة الاشرفية بمدينة تعز التى بنيت عام ( ٨٠٠ هـ ) بأمر السلطان الملك الاشرف اسماعيل بن العباس ، فهى تضم بنية الصلاة ، حيث تكون مساحتها اكثر من مساحات الوحدات الاخرى ( حوالى ٢٥ م x ٧٥ م عمقا ) اضافة الى قاعات للدرس وخانقاة للمتصوفة وساحة للدفن ومئذنتين وحمامات ومطاهير ومداخل ودهاليز (٦٩) .

ويستلقت النظر فى هذه المنشأة الكبيرة ، صغر حجم الخانقاة المكونة من دور قاعة صغيرة يكتنفها من الناحيتين الشرقية والغربية ايوانان متقابلان ، ويرجع ذلك الامر ربما الى قلة المتصوفة بوجه عام فى اليمن ، غن غيرهم فى البلاد الاسلامية الاخرى ، خاصة و ان

---

(٦٦) الكرع : ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٦٧) المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٦٨) المصدر السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٦٩) مصطفى شيحة ، مدخل ، ص ٩٢ - ٩٤ ، لوحة ٥١ ، ٥٢ شكل ١٢ .

تاريخهم يرتبط تماما بعصر الدولة الرسولية كما سبقت الاشارة الى ذلك ، ومع ذلك فان وحدات هذه المنشأة الكبيرة قد روعي فيها الانسجام المعماري الذي نفي بالاغراض الدينية المتعددة من عبادات وتدريس ودفن بها . ونعتقد بأن نظام المنشأة الدينية ذات الاغراض المتعددة والذي ظهرت ملامحه في عصر دولة المماليك الجراكسة في مصر كان له تأثيره على هذا النوع من المنشآت في اليمن ، نظرا لطبيعة العلاقات السياسية الطيبة والتي كانت قائمة بينهم في اليمن ومصر ، ذلك ان عمارة عصر المماليك الجراكسة قد تميزت بصغر مساحتها ، لاسيما تلك التي بنيت داخل اسوار مدينة القاهرة القديمة ، فصغرت مساحة المدرسة ( قاعات الدرس ) والخانقاة وغيرها من الوحدات المعمارية الاخرى (٧٠) .

لقد بدأت بوادر هذا النظام المعماري الديني الخاص في مدرسة وخانقاة الظاهر برفوق ( ٧٨٤ - ٨٠١ هـ ) ثم اخذ يزدهر هذا النظام بعد ذلك في المنشآت الدينية في عصر الاشرف برسباي ( ٨٢٥ - ٨٤١ هـ ) ثم عصر اينال ( ٨٥٧ - ٨٦٥ هـ ) وبلغ قمة ازدهاره في عصر السلطان الاشرف قاستاي ( ٨٧٢ - ٩٠١ هـ ) (٧١) .

واذا كانت عمائر المنشآت الكبرى ذات الاغراض المتعددة ، والتي اقامها سلاطين هذه الدولة ، كانت في حقيقة الامر تعبر عن جانب الشراء المادي ، فانه على الجانب الآخر كان للمدارس الصغرى دورها الواضح ، وهي كثيرة جدا في هذا العصر ، وقد انشأها الرجال والنساء من ذوى اليسار في المجتمع الرسولى ، وكانت تستخدم ايضا في اداء الشعائر والتدريس بها وكذلك في كثير منها ، كانت تضم مساكن للمدرسين والطلبة ، ونعتقد بأن المدارس الصغرى في اليمن قسدا تميزت بقلّة مساحتها الى حد ما ، وكان لصغر هذه المساحة اثره في انتشارها بكثرة ، حيث يسهل البناء وتقل التكاليف ، وقد ساعد على انتشار هذه المدارس بكثرة ايضا انها كانت قاصرة في معظم الاحيان

---

(٧٠) سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، ج ٤ ، ص ٢١ - ٢١ ،

(٧١) مصطفى نجيب : نظرة جديدة على المدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي ، مجلة كلية الاثار ، الكتاب الذهبي ، ج ٢ ، للقاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢١ حاشية (١) ،

على تدريس مذهب واحد هو المذهب الشافعى ، وفى احبان قليلية كان يدرس بها مذهب الامام الشافعى ومذهب الامام أبى حنيفة ، ومن ثم لم تكن هذه المدارس بحاجة الى وجود التخطيط المتعامد المكون من اربعة اواوين ، وهو الامر نفسه الذى كان قائما فى عمارة المدارس فـسـى كثير من البلاد الاسلامية الاخرى ، والتي كانت مخصصة لتدريس مذهب واحد او اثنين فقط ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها مدرسة خان آتون فى حلب (٧٢) ( ٥٦٤ هـ ) والتي كانت مخصصة لتدريس المذهب الحنفى ، وكذلك المدرسة النورية (٧٣) ، التي كانت مخصصة ايضا لتدريس المذهب الحنفى ( ٥٦٧ هـ ) ، والمدرسة الشاذليية (٧٤) (٥٨٩هـ) التي كانت وقفا على فقهاء المذهب الحنفى ومدرسة معرة النعمان (٧٥) التي انشئت عام ( ٥٩٥ هـ ) . على أن تاريخ بناء المدارس فى دمشق يرجع الى ما قبل ذلك بحوالى قرن من الزمان (٧٦) .

واذا كان تدريس المذهب السنن الواحد ، هو السمة الغالبة فى انشاء المدارس الاسلامية فى بلاد اليمن فان تدريس المذهب الواحد ايضا كان هو الغالب فى بعض البلاد الاسلامية الاخرى ، خاصة فى المدارس الاسلامية فى بلاد المغرب على سبيل المثال ، حيث كان يسود فيها المذهب المالكي (٧٧) . وكانت المدرسة المغربية ايضا فى الوقت

(٧٢) -Creswell, Op.Cit. P. 8,F,I.

وابضا : -Creswell, Muslim Architecture of Egypt. Vol.II, P. 109.

(٧٣) احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، طعة دار المعارف بمصر ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٧٤) - Creswell , Muslim Architecture, Vol.II,P.109.

(٧٥) احمد فكرى : مساجد القاهرة ، شكل ٣٩ .

(٧٦) حسين شمسانى : مدارس دمشق فى العصر الايوبى ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٤ .

(٧٧) انتقل نظام المدارس السننية من مصر الى المغرب الادنى ، ثم انتشر فى كل انحاء المغرب ، وكانت تشتمل على مساكن للطلبة تنتشر حول فناء المدرسة ، وغالبا ما كانت المدرسة تضم مئذنة ، هذا ويعتبر بنو مرين اول من توسع فى بناء المدرسة فى المغرب ، انظر : السيد عبد العزيز سالم : مساجد ومعاهد ، مدارس فاس ، ج ٢ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

عبد الهادى التازى : جامع القرويين : المسجد والحامدة بمدينة فاس ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .  
سعاد ماهر : العمارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٢٨ .

نفسه ، صدى للاتجاهات الجديدة لدولة بنى مريم فى القرن السابع الهجرى (٧٨) . وتعتبر مدرسة الحفاويين بفاس من اقدم المصادر التى ترجع الى القرن السابع الهجرى ، اذ كانت هى المدرسة الاولى التى اسسها بنو مريم ( ٦٧٠ هـ ) (٧٩) ، ثم مدرسة الصغارين ومدرسة الصهرج ومدرسة العطارين ، ثم مدرسة بوغانانية ، التى تعد من اهم مدارس دولة بنى مريم وقد انجزت عام ٧٥٦ / ١٣٥٥ م (٨٠) . هذا وقد تميزت المدرسة المغربية عامة بوفرة زخارفها ونقوشها (٨١) .

لقد كان لفترة حكم الدولة الايوبية فى اليمن اكبر الاثر فى انتقال المدرسة بتخطيطها المعمارى الى بلاد اليمن خاصة ذات المذهب الواحد (٨٢) حيث كان المذهب الشافعى هو ايضا نفس المذهب السنى الاول فى جنوب بلاد اليمن كما تقدم .

هذا وتعتبر المعزية ( مدرسة الميلىن ) التى انشأها الملك الايوبى اسماعيل بن طغتكين عام ٥٩٤ هـ بمدينة زبيد ، جنوب اليمن ،

(٧٨) تعددت الآراء حول اشتقاق تخطيط المدرسة المغربية ، فبعض هذه الآراء يذهب الى اشتقاق التخطيط من مصر وبعضها يرجع تخطيط المدرسة المغربية الى نظام الاربطة نظرا لما كان لهذا النظام المعمارى من اهمية فى بلاد المغرب وكان يتكون من صحن مركزى يحيط به غرف فى النواحي الشمالية والغربية والشمالية وملحق به مسجد صغير اما المدرسة المغربية فهى عبارة عن صحن مركزى يتوسطه حوض ويحيط به من الشمال والشرق والغرب غرف ضيقة لاقامة الطلبة ، وكان يشغل الجهة القبلية - قبالة المدخل الرئيسى عادة بيت للصلاة ، ولم يلحق بالمدرسة المغربية فريخ . كما يذكر البعض ايضا ان تخطيط عمارة المدرسة المغربية مشتق اساسا من نظام المدرسة السورية المعمارى :

but it was the Syrian type which appeared in North Africa.

انظر : Hoag, J.D. Western Islamic Architecture, P. 26.

وايضا : السيد عبد العزيز سالم ، مدارس فاس ، ص ٢٠٢ .

(٧٩) عبد الهادى التازى : جامع القرويين ، ص ٣٥٧ .

(٨٠) السيد عبد العزيز سالم : مدارس فاس ، ص ٢٠٢ - ٢٠٧ .

- Hoag: Op.Cit., P. 26, Pl. 63.

(٨١) سعاد ماهر : العمارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٢٨ .

(٨٢) حسن الباشا : دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد ، ص ١٧ .

هي اول مدرسة اسلامية تبنى في اليمن وكانت لفقهاء الشافعية (٨٣) ، ثم تتابع بناء المدارس بعد ذلك في بلاد اليمن خاصة الجنوب خلال فترة الدولة الرسولية ثم الدولة الطاهرية التي اعقبتها في الحكم .

ولاشك ان نظام المدارس الاسلامية في اليمن ، كان له اهمية كبيرة في تقوية الناحية السياسية وتدعيمها بالنسبة لدولة بنى رسول ، وكان لدور الفقهاء فيها اهمية كبيرة في تعضيد الدولة وتقوية مركزها خاصة في مواجهة دولة الائمة الزيدية في شمال اليمن . على انه يلاحظ مما سبق عرضه تاريخيا بالنسبة لمنشآت السلاطين ، اهتمامهم ايضا بعمارة المساجد الى حد كبير والى التدريس بها ايضا وفق الانظمة القديمة في استخدام المسجد في الدراسة (٨٤) ، حسب تخطيطه المعماري المتعارف عليه ، وهو الامر الذى يظهر واضحا في جامع المظفرية (٨٥) ، او ما يطلق عليه حاليا المدرسة المظفرية فضلا عن دورهم الكبير في تجديد ما تشعث من عمارة المساجد التي كانت قائمة قبل عصرهم خاصة في فترة حكم الملك الاشرف الثانى اسماعيل بن العباس ( ٧٧٨ - ٨٠٣ هـ ) . ومن امثلة ذلك استمرار التدريس بالجامع الكبير في مدينة زبيد (٨٦) حيث كان ملحقا بهذا المسجد حجرات للطلبة ، اطلق عليها اسم المقاصير ، لا تزال قائمة الى اليوم جهة الرواق الشرقى بالمسجد ، حيث يتم الصعود اليها من خلال درجات عديدة من السلالم ، اضافة الى التدريس بجامع الاشاعر بنفس المدينة ، حيث خصص به كرسيًا كان يجلس عليه علماء الحديث للشرح والدراسة فى علم الحديث (٨٧) فى عصر هذه الدولة .

(٨٣) الاكوع : المدارس ، ص ١٨ - ١٩ .  
(٨٤) كان هناك من فقهاء هذا العصر من يفضل الدراسة بالمسجد عن المدرسة وهو ما نفهم من ابيات الشعر التى ذكرها الفقيه بن عاصم ، الذى كان رئيسا للغة والفتوى في مدينة زبيد ، فى عصر الملك المظفر بعد اختلافه مع قاضى القضاء وتعرضه للمضايقة فيقول :  
بيع المدراس لو علمت بدارس غال واخسر صفقة للمشتري  
دعها ولازم للمساجد دلتما ان شئت تظفر بالثواب الاوفر  
الخرزجى : العقود الزلزلية ، ج١ ، ص ٢٣٩ ، الاكوع : المدارس ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٨٥) مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٩٢ - ٩٤ ، لوحة ٥١ ، ٥٢ .  
(٨٦) المرجع السابق : ص ٤٩ ، شكل ٢٢٤ .  
(٨٧) المقداد : المصدر نفسه ، ص ١١٨ ، ابن الديبع : الفصل المربد ، ص ٩١ - ٩٢ .

ويتضح من التخطيطات المعمارية الملحقة بهذا البحث ( الاشكال ١ - ٤ ) ( ٨٨ ) بساطة التخطيط المعماري للمدرسة اليمنية ، حيث يكون التركيز فيها على بنية الصلاة فى الناحية الشمالية ، ويتقدم مكان الصلاة فناء صغير مكشوف وفى الناحية الجنوبية فى مواجهة مكان الصلاة ايوان صغير ، يفتح على الفناء أيضا ، وقد تضم المدرسة مئذنة وفى احيان اخرى لا يوجد بها مئذنة ، اما المدارس الكبرى فى اليمن والتي انشأها السلاطين ، فقد حفلت عمارتها بعناية كبيرة وضمت ملحقات عديدة لاجراض متعددة كمكان الصلاة وقاعات الدرس والخانقاة والسبيل ومآذن وغيرها .

اما بالنسبة لمواد البناء فقد كان يغلب استخدام الحجر والمشهر ( ٨٩ ) معا فى عملية البناء ، وقد استخدم الحجر على الاخص فى عمل القباب والاقبية ، التى كانت من العناصر المعمارية المميزة لانواع المدارس اليمنية من حيث تقسيماتها المعمارية المتعارف عليها .

اما بالنسبة لطابع زخارف منشآت هذا العصر ، فقد غلب استخدام الزخارف الجصية الملونة وغير الملونة فى تزيين القباب وملاحات كثيرة من الجدران والقباب والعناصر المعمارية الاخرى داخل وخارج هذه المنشآت ، ويبدو من خلال ما ازدانت به ابنية هذا العصر من زخارف جصية مدى اقبال الفنان اليمنى بدرجة لافتة للنظر على هذا النوع من الزخارف بالذات ، والذي استطاع من خلال استخدامه لهذه المادة ان يحقق تفوقا كبيرا فى التنفيذ الدقيق لضروب الزخارف النباتية والهندسية ، فضلا عن استخدام الكتابات بخطى الثلث والنسخ على نطاق واسع ،

وتبدو الامثلة على ذلك كثيرة للغاية خاصة ، فى بواطن القباب فى المدرسة الاشرفية وجامع المظفرية والمدرسة المعتبية بمدينة تعز ،

---

( ٨٨ ) انظر عن المدارس اليمنية : مصطفى شيحة : مدخل ، ص ٨٣ - ١٠٧ ، والاشكال : ١١ - ١٦ .

( ٨٩ ) الحجر المشهر : مصطلح يعنى القطع الحجرية المقفولة ذات الالوان الطبيعية المختلفة والتي تتألف من مجموع صفوفها المختلفة زخرقة تناوب الالوان .

انظر : سامى احمد عبد الحليم : الحجر المشهر ، حلية معمارية بمنشآت المعالم فى القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ .



وقد شملت هذه الزخارف آيات من القرآن الكريم واسماء السلاطين والمنشئين والقابهم وتاريخ البناء والتجديد والاضافة ، وقد تجلست بصورة كبيرة على بواطن القباب فى المنشآت الثلاثة السابقة ؛ ( اللوحات ١ - ٤ ) واختتمت مدينة زبيد بوفرة استخدام الزخارف الجميلة غير الملونة عامة فى زخارف اعلى الجدران لعناصر نباتية وهندسية متنوعة من الداخل والخارج .

وبعد فانه يتضح بعد هذا العرض الموجز ، والذي كان بمثابة اللقاء الضوء على تاريخ عمارة عصر نبى رسول فى اليمن ، مدى ازدهار العمارة فيه لفترة زادت عن قرنين من الزمان وخلفت وراءها عمائر عديدة متنوعة ، واكبت كثير من العمائر المماثلة فى غير اليمن من البلاد الاسلامية ، وقد خلدت هذه العمائر موعسها ، وفى الوقت نفسه لازالت هذه العمائر رهن الدراسات الاثرية الاخرى الجديدة التى لو تمت فانها ستضيف الجديد عن العمائر الاسلامية عامة واليمنية خاصة .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ..

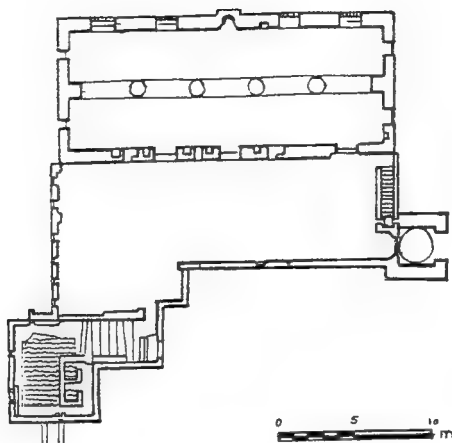
\* \* \* \*

## المصادر والمراجع

- ابراهيم المحققي : معجم البلدان والقبائل اليمنية  
( دار الكلمة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ،  
١٩٨٥ ) •
- احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ •  
( طبعة دار المعارف ، مصر ) •
- اسماعيل الاكوع : المدارس الاسلامية في اليمن  
( منشورات جامعة صنعاء ، دمشق ١٩٨٠ ) •
- حسن الباشا : الالتقاء الاسلامي في التاريخ والوثائق والاثار  
( دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ) •
- دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة  
المصرية ذات التخطيط المتعامد " بحث القري  
في الندوة العلمية الاسلامية في مجال العمارة  
والعمران بتونس ، ١٩٨٧ م •
- حسين شمساني : مدارس دمشق في العصر الايوبي  
( بيروت ١٩٨٣ ) •
- الخزرجي : ( ابو الحسن علي بن الحسين )  
العقود اللولوية في تاريخ الدولة الرسولية  
( تحقيق محمد الاكوع ، جزءان ، الطبعة الاولى  
١٩٨٢ ) •
- سامي احمد عبد الحليم : الحجر المشهر ، حلية معمارية بمنشآت  
المماليك في القاهرة ( الطبعة الاولى ١٩٨٤ ) •
- سعاد ماهر محمد : أ - مساجد مصر واولياؤها الصالحون  
ج ١ ، ج ٢ ( طبعة المجلس الاعلى للشؤون  
الاسلامية ) •
- ب - العمارة الاسلامية عبر العصور • جزءان  
( دار البيان العربي للطباعة ، جدة ١٤٠٥هـ )
- السيد عبد العزيز سالم : مدارس فاس ( مساجد ومعاهد ) •  
ج ٢ ( طبعة دار الشعب ) •

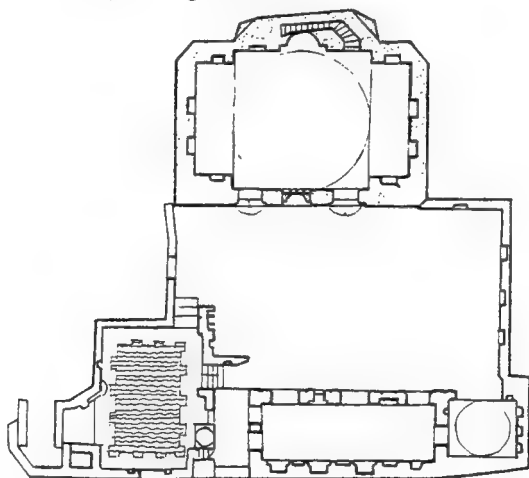
- عباس حلمي كامل : المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتها الاثرية  
مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة  
المكرمة ، السنة الثالثة ، العدد الثالث  
١٣٩٨ هـ .
- عبد الساقى اليماني : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ  
اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ( دار العودة ،  
بيروت ) .
- عبد الرحمن بن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد في تاريخ  
مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، دار العودة  
بيروت .
- عبد الرحمن الحضرمي : زبيد وآثارها الاسلامية واطرافها الراهنة  
كتاب الاثار الاسلامية في الوطن العربي ، تونس  
١٩٨٥ .
- عبد الغني محمود عبد العاطي : التعليم في مصر زمن الايوبيين  
والمماليك ، دار المعارف ، مصر .
- عبدالله الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ( الطبعة الثانية  
١٩٨٤ ) .
- عبد الله الحبشي : الصوفية والفقهاء في اليمن  
( صنعاء ١٩٧٦ ) .
- عبد الهادي التازي : جامع القرويين ( المسجد والجامعة بمدينة  
فاس ) دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- علي بن محمد العباس العلوي : سيرة يحيى بن الحسين  
تحقيق سهيل ذكار ( بيروت ١٩٨١ ) .
- عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الاصحاب في معرفة الانساب  
تحقيق لهوه سترستين ، ( الطبعة الثانية ،  
القاهرة ١٩٨٥ ) .
- محمد بن احمد الحجري : مجموع بلدان اليمن وقائمه : اجزاء ،  
( الطبعة الاولى ١٩٨٤ ) .
- محمد بن اسماعيل الكبسي : اللطائف السنية في احوال المماليك  
اليمنية ( مطبعة دار السعادة ، القاهرة .

- محمد حمزة الحداد : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك  
" دراسة حضارية أثرية "
  - رسالة مساجير لم تطبع ( ١٩٨٦ ) .
  - محمد سيف النصر : المدارس اليمنية ، تخطيطها وعناصرها المعمارية  
مجلة الاكليل ، صنعاء ١٩٨٥ ، العدد الاول .
  - محمد عبد العال محمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية  
في عهدهما ( القاهرة ١٩٨٥ ) .
  - محمد عبد الوهاب المقداد : جامع الاشاعر المسمى قرة العيون وانشرح  
الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد  
الاشاعر ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الحزمي .  
مجلة الاكليل ، صنعاء ، العددان ٣ ، ٤ ، ١٩٨١ .
  - محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ /  
١٢٥٠ - ١٥١٧ م ، دراسة تاريخية وثائقية  
القاهرة ١٩٨٠ .
  - مصطفى عبد الله شيهه : مدخل الى العمارة والفنون الاسلامية فسي  
الجمهورية العربية اليمنية . القاهرة ١٩٨٧ .
  - مصطفى حبب : نظرة جديدة على المدارس المتعامدة وتطوره خلال  
العصر المملوكي الجركسي ، مجلة كلية الآثار ،  
الكتاب الذهبي ، ج ٢ ، الشاهرة ١٩٧٨ ) .
  - مؤلف مجهول . تاريخ الدولة الرسولية في اليمن  
تحقيق عبد الله الحبشي ، دمشق ١٩٨٤ .
  - وحيد الدين الحبشي : تاريخ وصاف ، الاعتبار في التواريخ والاثار  
تحقيق عبد الله الحبشي ، الطبعة الاولى
- ١٩٧٩
- Creswell, K.A.C.: The origin of the cruciform plan of  
carine Madrasas, P. 8, F, I, ( Bulletin de L'Institut  
Francais D'Archeologie oriental, T, XXI.
  - The Muslim Architecture of Egypt Vol. II.
  - Hoag, J. D.: Western Islamic Architecture.



شكل (١)

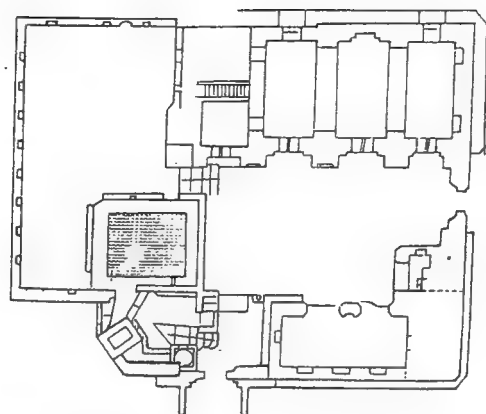
المدرسة الياقوتية بـرسيد  
"نقلا عن هيئة الآثار اليمنية"



شكل (٢)

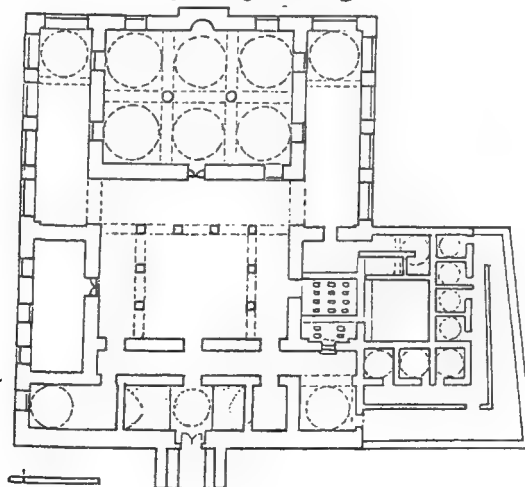
المدرسة الوهابية  
"نقلا عن هيئة الآثار اليمنية"





شكل (٣)

المدرسة الجبرتية بزييد



شكل (٤)

المدرسة المعتبية بتعمر

" نقلا عن هيئة الآثار اليمنية "

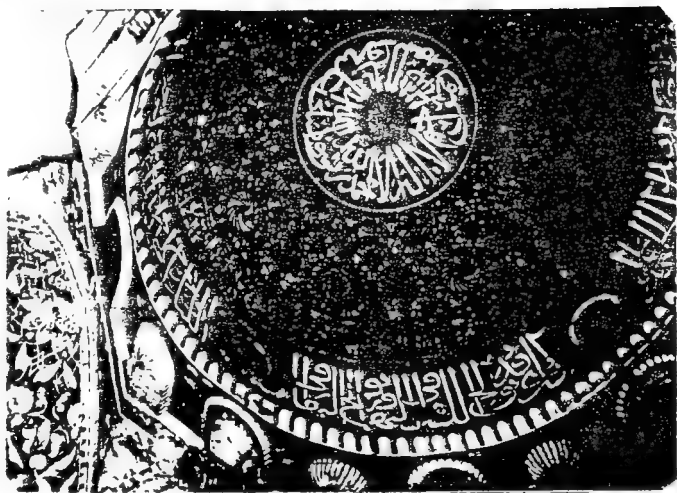






اللوحة (١)

جامع المظفرية بتعـز

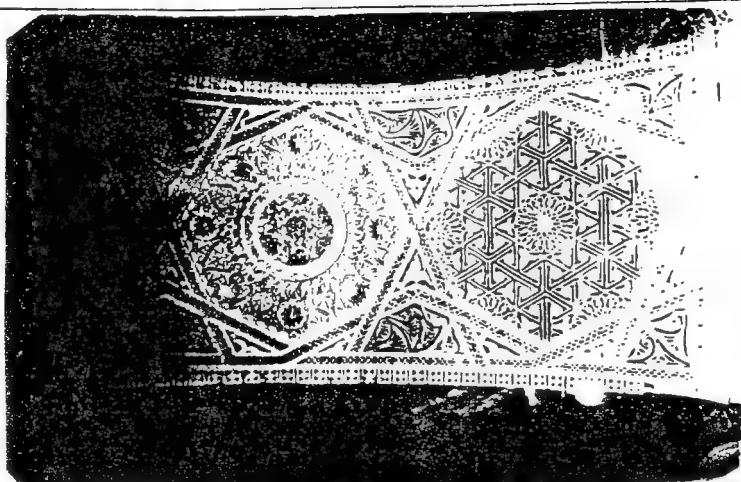


اللوحة (٢)

زخارف جصية ملونة من قبة المدرسة

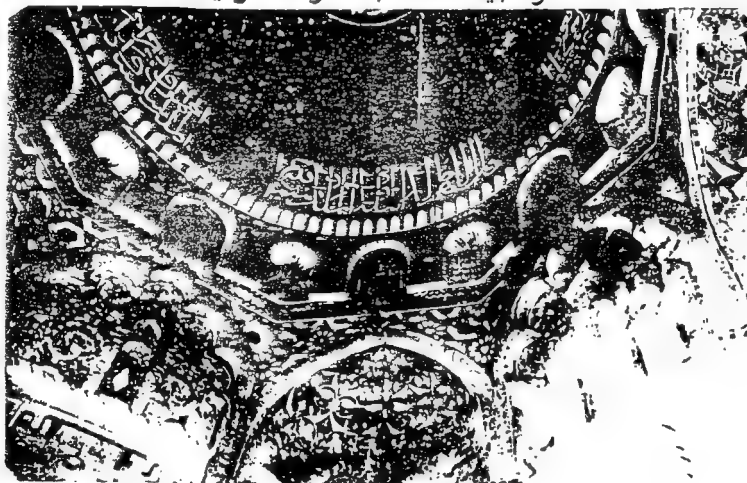
الاشرفية بتعـز





اللوحة (٣)

جانب من الزخارف الجصية في أحد  
مقود بيت الصلاة بالمدرسة الأشرفية



اللوحة (٤)

الزخارف الجصية على باطن القبة  
الرئيسية بالمدرسة الأشرفية بتعمر



### دينار فاطمي سادس

ضرب في زبيد عام ٤٤٧هـ

د. سهام محمد المهسدي

وكيل أول متحف الفن الاسلامي بالقاهرة

ضرب هذا الدينار مماثلاً لآخر طرز الدينار الفاطمي في عصر الخليفة ابي تميم معد المستنصر بالله ذي كتابات دائرية متوالية في ثلاثة اسطر حول دائرة مركزية خالية من الكتابة (١) .

وقراءته كالتالي :

### الوجه

١ - الهامش الخارجي :

محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٢) .

٢ - الهامش الاوسط :

وعلى افضل الوصيين ووزير خير المرسلين

٣ - الهامش الداخلي :

لا اله الا الله محمد رسول الله

### الظهر

١ - الهامش الخارجي :

بسم الله ضرب هذا الدينر بزبيد سنة سبع واربعمائة .

٢ - الهامش الاوسط :

دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد

٣ - الهامش الداخلي :

المستنصر بالله امير المؤمنين ( لوحة رقم ١ أ ، ب ) .

---

(١) رقم تسجيله ٢٦٠٦٥ - ووزنه ٤١٥٠ جم - وقطره ٢٢ مم .  
(٢) القرآن الكريم سورة التوبة آية رقم ٣١ .

وزبيد مدينة تقع جنوبى غرب صنعاء باليمن على ساحل البحر الاحمر اختطها محمد بن رباد عام ٢٠٤ هـ ( ٨١٩ م ) فى عصر الخليفة المأمون واتخذها حاضرة ملكه (٣) . وصارت فى يد " نجاح " احد عبيد بنى زياد الذى دخلها فى سنة ٤١٢ هـ ( ١٠٢١ م ) وضرب السكة باسمه وكاتب الخليفة العباسى ودخل فى طاعته فنعتة " بالمؤيد " ولقبه " نصر الدين " . وظلت زبيد فى يده حتى توفى عام ٤٥٢ هـ ( ١٠٦٠ م ) (٤) .

ويشير التساؤل بشأن هذا الدينار عدة أمور :

أولا : تاريخ ضربه عام ٤٤٧ هـ بمدينة زبيد وهى المدينة السنبة شانيا : أنه دينار فاطمى باسم الخليفة أبى تميم معد المستنصر بالله مصحوبا بالقباه ورموزه الشيعية المريحة . كما أنه مماثل لشخصية الدنانير الفاطمية المصرية المضروبة فى تاريخ معاصر .

فكيف ضرب مثل هذا الدينار الشيعى باسم الخليفة الفاطمى بمصر فى تلك المدينة السنبة الموالية للدولة العباسية ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نبدأ بتتبع سريع لتاريخ الدعوة .

الشيعية فى بلاد اليمن :

كانت بلاد اليمن مهدا للدعوة الاسماعيلية السرية منذ عام ٢٦٨ هـ ( ٨٨٢ م ) والتي تزعمها الداعيان رستم بن حوشب وعلى بن الفضل ولما قوى امرهما اعلنا الثورة ونجحا فى الاستيلاء على صنعاء وزبيد من ايدي اليعفرىين ثم توفى ابن حوشب عام ٣٠٢ هـ ( ٩١٥ م ) ، وبعده توفى ابن الفضل عام ٣٠٣ هـ ( ٩١٦ م ) ومن ثم عادت الدولة اليعفرية الى الظهور فى صنعاء من جديد الا ان الدعوة الاسماعيلية ظلت مستمرة فى الخفاء وخاصة فى ناحية جبل مسور جنوبى صنعاء . وكان الفاطميون يخذون هذه الدعوة سرا من المغرب ثم من مصر .

وفى عصر الخليفة أبى تميم المستنصر تمخض عن هذه الدعوة ثورة

---

(٣) عمارة اليمى : تاريخ اليمن - تحقيق محمد بن على الاكسوع - المكتبة اليمنية ( ١٩٧٩ م ) ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) عبدالرحمن بن على الديبخ : الفضل المريد على بغية المستفيد فى اخبار مدينة زبيد . تحقق يوسف شلحد ، صنعاء ، ص ٥٥ - ٥٦ .

على بن محمد الصليحي في حصن مسور ونجح في الاستيلاء على صنعاء ومعظم أنحاء اليمن منذ سنة ٤٢٩ هـ ( ١٠٣٨ م ) ( ٥ ) أو ٤٣٩ هـ ( ١٠٤٩ م ) ( ٦ ) .

ألا أن مدينة زبيد استعصت عليه وبقيت في يد " نجاح " وكان الصليحي يدعو المستنصر سرا ويخاف نجاحا ( ٧ ) ويكن لامره في الظاهر وهو في الباطن يعمل الحيلة في قتله ( ٨ ) .

ولم تذكر المصادر التاريخية أية صلة للفاطميين بمدينة زبيد إلا في عام ٤٥٣ هـ ( ١٠٦١ م ) بعد أن نجح الصليحي في قتل نجاح بالسم في عام ٤٥٢ هـ فكتب إلى الخليفة الفاطمي المستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة ووجه إليه بهدية جلييلة منها سبعون سيفاً قوائمها من العقيق ( ٩ ) .

ولما وصلت هديته إلى الخليفة الفاطمي قبلها وأمر له بإيادات وكتب له الألقاب وعقد له الولاية وأذن له في نشر الدعوة هناك ( ١٠ ) .

ومما سبق ذكره نلاحظ أن زبيد في سنة ٤٤٧ هـ تاريخ ضرب الدينار المذكور لم تكن في طاعة الصليحي ، بل كانت تحت راية دولة نجاح السنية .

فكيف نفسر ضرب مثل هذا الدينار الشيعي في دولة سنية ؟

- 
- ( ٥ ) د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٨٠ - أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٣٣٤ - ٣٤٥ .
- ( ٦ ) اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ قيام الصليحي بثورته ، فبعضهم ذكرها سنة ٤٢٩ هـ .
- انظر : أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ص ٥٦ وكذلك عبد الرحمن بن عيسى الديب ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ص ٥٥ .
- ( ٧ ) وذكر عمارة اليمن تاريخ هذه الثورة عام ٤٣٩ انظر : المرجع السابق ص ١٠٣ .
- ( ٨ ) د . جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ٨١ ( عن بامخرمة : المختار في تاريخ شجر عدن ورقة ١٢٧ ) .
- ( ٩ ) أبو الحسن علي الخزرجي : المرجع السابق ص ٥٧ .
- ( ١٠ ) أبو الحسن علي الخزرجي : المرجع السابق ص ٥٧ ، المرجع نفسه ص ٥٧ ، عبد الرحمن بن علي الديب : المرجع السابق ص ٥٥ - ٥٦ .

من المعروف ان الفاطميين حققوا دعوتهم بوسائل شتى بالدعاية حارة وبقوة السيف وبذل المال واستغلال مطامع الافراد تارة اخرى (١١) . وعلى سبيل المثال واصلتنا دنانير فاطمية سجل عليها انها ضربت في مصر قبل دخولهم اليها بسنوات عديدة (١٢) .

ومن المؤكد ان مثل هذه الدنانير لم تضرب في مصر وكذلك هذا الدينار محل البحث لم يضرب في زبد فكلنا يعرف الرقابة الصارمة على دار الضرب في أى بلد بصفتها من المسؤوليات السياسية والاقتصادية الرئيسية فيها حيث يختص بها الحاكم نفسه او من ينوب عنه في الحكم (١٣) . وحت كانت زبيد في دولة نجاح السنية ولم يكن الصليحي مسيطرا عليها فان من المرجح ان ذلك الدينار هو من تلك النقود التي استخدمها الفاطميون للدعاية لمذهبهم وان نقشهم لمكان الضرب " زبد " هو من قبيل الحرب النفسية لذلك الحاكم السنى نجاح ومن ثم فمن المرجح انه ضرب في احدى دور الضرب الفاطمية في مصر او الشام ولانه من نقود الدعاية فقد جاء وزنه قريبا من الوزن الشرعى للدينار لكون وسيلة جيدة للعامة للنقود الشيعى في المدينة المذكورة .

\*\*\*

---

(١١) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة - تقديم وتعقيب اندريه فريه المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقية القاهرة ( ١٩٧٢ ) ص ٢٢ ،

٢٧ ، ٢٨ ، د . حسن ابراهيم : الفاطميون في مصر ص ٣٩٥ .  
(١٢) منها دينار محفوظ بدار الكتب المصرية ضرب في عام ٣٥٣ هـ انظر:

Lane-Poole (stanly): Catalogue of the Collection of the Arabic coins preserved in the Kh.lib.in Cairo, N. 956.

ونشر الدكتور باقر الحسينى دنانيرمؤرخة عام ٣٥٣/٣٤٢/٣٥٣ هـ  
٣٥٤ هـ انظر : دراسة تحليلية اسلامية عن نقود الدعاية والاعلام والمناسبات ، مجلة المسكوكات العدد ٦ (١٩٧٥) ص ٩ - ١١ .

(١٣) د . سهام محمد المهدي : دار ضرب الاسكندرية ونقودها الاسلاميية - رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الاثار جامعة القاهرة ( ١٩٨٦ )





لوحة رقم: ١(أ)

دينار فاطمي ضرب في زبيد



لوحة رقم: ١(ب)



## الأرشيف الألماني وكتابة تاريخ مصر المعاصر

د. وجيه عتيق \*

كلية الآداب - جامعة القاهرة

لا نجافى الحقيقة إذا سلمنا في بادئ الأمر بأنه كلما ازداد فاعلية الدور السياسي والاقتصادي والعسكري لأمة من الأمم في التأثير على حركة التاريخ ، توجهت الأنظار الى هذه الأمة لتتبع هذا الدور بالبحث والتحليل سواء للاستفادة من تجربتها أو للتصدي لها . والأرشيف في هذه الحالة هو المكان الطبيعي والوحيد الذي منه نتعرف على الدور التاريخي لكل أمة وعلاقتها بالأمم الأخرى . وبناءً على ذلك فان قيمة المجموعات الوثائقية لأمة ما تزداد وتقل أهميتها تبعاً لموقع هذه الأمة من الأحداث التاريخية .

وبشكل عام يستمد الأرشيف الألماني أهميته من ذلك الدور الخطير الذي لعبته الأمة الألمانية في صنع أحداث تاريخ العالم الحديث والمعاصر . فالأمة الألمانية على المستوى القاري كانت طرفاً أساسياً في الصراعات السياسية والعسكرية التي نشبت في قارة أوروبا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الأقل . ثم أصبحت طرفاً في الصراع العالمي منذ بداية القرن العشرين والمحرك الأول للأحداث الكبرى التي أشعلت كلا من الحرب العالمية الأولى والثانية ، وامتلكت زمام المبادرة أحياناً ، فكانت حركة الدول الأخرى بمثابة رد فعل للسياسة الألمانية حتى عام ١٩٤٥ .

ولذلك لا يستطيع مؤرخ مدقق يتعرض لكتابة تاريخ العالم المعاصر أن يتجاهل المجموعات الوثائقية التي يحتويها الأرشيف الألماني ، هذا من ناحية . من ناحية أخرى لا يمكن لمن يبحث في تاريخ دولة من الدول ، تأثرت بدرجة أو بأخرى بالأحداث العالمية الكبرى ، أن يغض الطرف عن الأرشيف الألماني لما يحتويه من وثائق قيمة تساعد على كشف الكثير من الحقائق .

---

\* شارك الباحث بهذا البحث في ندوة "وثائق تاريخ مصر الحديث" ، التي عقدها سمنار قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة عين شمس في أبريل ١٩٨٨ .

وبشكل خاص يزيد من قيمة المجموعات الوثائقية الألمانية تلك القدرة التنظيمية الهائلة التي يتمتع بها الشعب الألماني ، والتي يترتب عليها عناية الفرد والدولة معا بالوثيقة الخاصة والعامة . كما تنعكس هذه العناية والاهتمام بالوثيقة على سير العمل داخل مباني الأرشيف الألماني حيث تتبع الأساليب العلمية في تنظيم عالي المستوى للمجموعات الوثائقية مما يسهل للباحث الوصول الى هدفه في وقت وجيز .

تأثرت مصر في تطورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالاحداث العالمية طوال القرن التاسع عشر ، وزاد الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ من جذب مصر الى حلبة التنافس الدولي . واذا نظرنا الى تطور تاريخ مصر منذ بداية القرن الحالي نجد أنه ارتبط الى حد كبير بالتنافس الانجليزي الألماني من أجل السيطرة .

فبالنسبة للحرب العالمية الأولى اضطرت انجلترا الى فرض حمايتها على مصر مع نهاية عام ١٩١٤ وتبع ذلك عدة اجراءات من جانب بريطانيا كان لها أثر ساعد على مصر من كل الجوانب حتى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى . وكل ذلك انما كان من أجل مقاومة المنافس الألماني .

وبالنسبة للحرب العالمية الثانية فقد سبقتها انجلترا بتوقيع المعاهدة الانجليزية المصرية لعام ١٩٣٦ التي ترتب عليها تغييرات سياسية واجتماعية خطيرة في مصر أدت في النهاية الى قيام الجيش بشورة ١٩٥٢ . وأثناء الحرب العالمية الثانية شهدت أرض مصر واحدة من أعنف المعارك التي وقعت بين الحلفاء ودول المحور ، كانت القاهرة فيها هدفا على وشك المنال للجيش الألماني .

ولكل ذلك بعد الأرشيف الألماني مصدرا هاما على وجه الخصوص لمن يكتب تاريخ مصر في النصف الأول من القرن العشرين ، والوثائق الألمانية لا تقل أهمية عن الوثائق البريطانية بأي حال من الأحوال ، بل أن الوثائق الألمانية تكشف لنا بعض الغموض الذي لا يزال يكتنف العديد من الوقائع التاريخية بالرغم من تعرض الوثائق البريطانية المنشورة لها .

وبالرغم من هذه الأهمية للوثائق الألمانية الخاصة بتاريخ مصر ،

فإن الأرشيف الألماني ما زال يمكن وصفه " بالأرشف المجهول " أمام الباحثين المصريين .

فعلى مستوى الباحث ، هناك العديد من الملاحظات التي أدت فـى بعض الأحيان الى نقص معرفة الباحث المصرى بمحتويات ذلك الأرشيف وبالتالي عدم الاهتمام الكافى به ، وفى أحيان أخرى كثيرة أدت الى تجاهل كامل للوثيقة الألمانية عند كتابة تاريخ مصر فى الحـسـب العالمية الأولى والثانية .

تعد اللغة الألمانية أول عقبة تحول دون اقدام الباحث المصرى على الاطلاع على الوثائق الألمانية . واللغة التى هى من أهم مقومات البحث التاريخى التى يجب أن يتسلح بها الباحث يعتبرها البعض ضرورة فى حالة اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية عند دراسة تاريخ مصر الحديث و المعاصر وذلك لوجود علاقة مباشرة بين مصر وكل من انجلترا وفرنسا ، وهذه العلاقة المباشرة لم تتوافر بنفس القدر بالنسبة للعلاقات المصرية الألمانية . كما ينظر البعض الأخرالى تعلم اللغة الألمانية على أنه أمر لا يجدى من الناحية العملية بسبب انحسار هذه اللغة فى وسط أوروبا ، ولعل هذا أحد أسباب عدم انتشار المعرفة باللغة الألمانية بين المصريين وخاصة الباحثين منهم . كما أن اللغة الألمانية لغة حديثة على التعليم المصرى ، فلم يتم ادخالها فى مراحل التعليم بجانب اللغات الأجنبية الأخرى الا منذ عام ١٩٥٦ (١) ، فى حين أن تاريخ التعليم المصرى منذ عهد محمد على حافل بانفراد اللغة الانجليزية والفرنسية بالمدارس المصرية ، هذا علاوة على البعد الجغرافى الكبير الذى يفصل بين مصر وألمانيا .

من ناحية أخرى فإن التفوق الفكرى والسياسى الذى تميزت به كل من انجلترا وفرنسا على غيرها من الدول الأوروبية والعمق التاريخى للتنافس الانجليزى الفرنسى حول مصر الذى ترتب عليه وقوع مصر تحت الاحتلال ، ثم العلاقة الخاصة للطبقة المصرية المثقفة بكل من انجلترا وفرنسا سواء من خلال محاولة القوى الوطنية منها تحقيق الاستقلال

---

(١) د. مصطفى ماهر : " حوار بين الألمان والعرب " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٧٣ .

تارة بتدويل القضية المصرية وتارة أخرى بشائعية تلك القضية، أو من خلال الاستفادة بقدر المستطاع من الوجود الانجليزي في مصر . فان كل ذلك أدى الى أن يصبح توجه مصر الثقافي منذ بداية القرن التاسع عشر وجهة فرنسية في بعض الفترات ثم وجهة انجليزية في فترات أخرى. وكانت بعثات الحكومة المصرية ، التي ركزت على فرنسا وانجلترا ، أولى خطوات هذه التوجه في تاريخ مصر الحديث ، ثم تلاها ذهاب الدارسين المصريين على نفقتهم الخاصة الى جامعات انجلترا وفرنسا لاستكمال دراساتهم الانسانية هناك حيث تشتهر تلك الجامعات في الدراسات القانونية والدستورية بصفة خاصة ، وذلك في ظل علو شأن دارس العلوم الانسانية في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين . ولهذا السبب كان قادة الفكر والسياسة في مصر بصفة عامة من خريجي الجامعات الفرنسية والانجليزية .

أما على مستوى الدولة ، فلم يتجاوز تطلع الحكومات المصرية الى ألمانيا مرحلة الاعجاب بالقدرة الاقتصادية لألمانيا أو الانبهار بتاريخها العسكري . واذا كانت بعض محاولات الانفتاح على ألمانيا قد بذلت من جانب مصر منذ عام ١٩٥٢ لاسباب سياسية واقتصادية عديدة ، حيث أرسلت بعض البعثات الى الجامعات الألمانية ، فان هذه البعثات في الغالب خصت لدراسة العلوم البحتة والتطبيقية . وكما هو ملموس حتى الآن وبصفة عامة فان الحكومات المصرية قد تهتم بالمناخات الألمانية أو بتجربة بناء الاقتصاد الألماني ، ولكنها بعيدة كسل البعد عن الاهتمام بالدراسات التاريخية ، أو على الأقل بما يخص مصر من وثائق داخل قاعات الأرشيف الألماني .

كما أن دور النشر الحكومية وغير الحكومية في مصر يقتصر اهتمامها واعتمادها على الوثائق البريطانية عند نشر الدراسات الخاصة بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ، كما تولى دور النشر في جميع أنحاء العالم العربي عناية فائقة للحصول على الوثائق البريطانية ودراساتها وتحليلها بالرغم من أن هذه الوثائق تعبر عن وجهة النظر البريطانية وحدها (٢) .

---

(٢) د. رؤوف عباس ، الاهرام الاقتصادي العدد ٨٨٨ ، ص ٣٧ .

وإذا كانت الوثائق البريطانية لا تقدم صورة دقيقة لايقنعها  
الأحداث في مصر يمكن ان يطمئن اليها ضمير المؤرخ (٣) ، فان المنهج  
التاريخي يرفض التجاهل التام لمجموعات وثائقية هامة مثل الوثائق  
الألمانية عند التصدي لكتابة تاريخ مصر في الحرب العالمية الأولى  
والثانية .

كذلك تبتعد بعض المدارس التاريخية المعاصرة عن الدراسات  
التاريخية المحلية أى التي تدور في النطاق المحلى أو تلك التى  
تكتمل بالاعتماد على المصادر المحلية أو بعض مصادر القوى الاستعمارية  
القديمة . فالاتجاه الحديث لدراسة التطور التاريخي المحلى لدولة  
من الدول ، انما يعالج هذا في اطار الرؤية العالمية الشاملة لحركة  
التاريخ ويفرض فصل الدراسة المحلية عن الأحداث العالمية ، حيث  
تتداخل العوامل وتشابك الدوافع وتختلط الوقائق التاريخية (٤) .

ونستطيع أن نرصد موقف المؤرخ المصرى من المصادر والمراجع  
الألمانية في ثلاثة مواقف محددة ، وذلك من خلال أهم الدراسات المنشورة  
التي تتعرض لتاريخ مصر المعاصر .

الموقف الأول : تجاهل شكل تام لتلك المصادر والمراجع فى  
دراساتهم التاريخية ، وهؤلاء أغلبية بين الباحثين المصريين  
المعاصرين (٥) .

الموقف الثانى : تناول بعض المصادر والمراجع ، سواء بالجوء  
لترجمة بعض أجزاءها من الألمانية الى العربية بواسطة طرف ثان أو  
الرجوع لما نشر عن تلك المصادر والمراجع الألمانية باللغة العربية  
وهو قليل . وهؤلاء قلّة بين المؤرخين المصريين . وقد استفادوا  
بالدرجة الأولى من الدراسة القيمة التى خرج بها "لوكاز هيرزوبر"  
من الأرشيف الألماني والتي ترجمها الى العربية الدكتور أحمد عبد  
الرحيم مصطفى بعنوان "ألمانيا والمشرق العربى" والترجمة العربية

---

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) لمعى مطبعى ، "ارنولد توينى" ص ٩٤ ، الدار القومية للطباعة  
والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٥) انظر : د. محمد جمال الدين المسدى وآخرون " مصر والحرب العالمية  
الثانية " الاهرام ، القاهرة ١٩٨١ .

مأخوذة عن النص الانجليزي لتلك الدراسة (٦) . كما يذكر في هذا المجال الجهد الكبير الذى بذله الاستاذ خيرى حماد فى ترجمة ونشر الكتابات الألمانية عن اللغة الانجليزية الى اللغة العربية .

الموقف الثالث : الرجوع بشكل مباشر الى المصادر والمراجع الألمانية ، وهؤلاء أفراد قلائل ، توفرت لديهم امكانية استخدام اللغة الألمانية فى دراساتهم التاريخية . والدكتور محمد كمال الدوسقى بعد واحدا من هؤلاء ، وقد استقى الكثير من مادته التاريخية من خلال المصادر والمراجع الألمانية فى انجاز اطروحته التى تقدم بها الى جامعة برلين الجرة لنيل درجة الدكتوراة عام ١٩٦٣ تحت عنوان " هتلر والشرق الأوسط " (٧) .

واذا كان لنا ان نعتبر الأرشيف الألمانى بصفة عامة بما فيه من مصادر ومراجع - حتى الآن مجهولا للمؤرخ المصرى ، فمن الغريب أن الأرشيف المصرى ليس كذلك بالنسبة للمؤرخين الالمان المهتمين بالدراسات التاريخية حول مصر . فقاعات الاطلاع فى دار الوثائق القومية بالقلعة وفى قاعة الدوريات بمبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب وغيرها من قاعات البحث فى انحاء مصر تشهد من وقت لآخر تواجد باحث أو أكثر من الشرق والغرب ، يعكف على فحص وتحليل المصادر والمراجع المصرية المختلفة التى تعينه على كتابة دراسته ، وخاصة اذا كانت هذه الدراسة تدور حول تاريخ مصر الحديث ، وذلك لتواجد مصادر ومراجع هذه الفترة بحالة طيبة .

أما اذا كانت الدراسة تدور حول موقع مصر من الأحداث التاريخية المعاصرة ، فان المؤرخ الأجنبى بصفة عامة يفضل الاعتماد على المصادر والمراجع غير المصرية ، ذلك أن وثائق تاريخ مصر المعاصر فى الارشيف المصرى تفتقر فعلا الى الحصر والتنظيم علاوة على حظر الاطلاع على جزء كبير من القليل المتوافر فعلا فى دور الوثائق المصرية ، ومن هنا لا تصبح المراجع المصرية دقيقة بشكل كاف .

---

(٦) لوكاز هيرزوير ، " المانياى الهتلرية والشرق العربى " ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ .

(٧) انظر : |



نشرت العديد من الدراسات التي تستقي مادتها العلمية من الوثائق الألمانية في الدرجة الأولى في الشرق والغرب ، ومنه دراسات تبحث في سياسة ألمانيا تجاه بلدان الشرق الأوسط اثناء الحرب العالمية الأولى والثانية ، وقد خرجت بعض هذه الدراسات متأثرة بسياسة الدولة التي ينتمى إليها هذا أو ذاك الباحث .

وللمؤرخ الألماني دور هام في نشر وتحليل المجموعات الوثائقية التي يحتويها الأرشيف الألماني . أما عن أهم الدراسات المنشورة التي تعرضت لتاريخ مصر المعاصر في ضوء وثائق الأرشيف الألماني . فتأتى اثنان منها في المقدمة ، تبرز جهود الباحث عند الرجوع الى المجموعات الوثائقية الألمانية لدراسة تاريخ مصر المعاصر .

الأولى : هي الدراسة التي نشرها " هاينز تلمان " باللغة الألمانية عام ١٩٦٥ في مدينة برلين الشرقية تحت عنوان " السياسة الألمانية تجاه العرب في الحرب العالمية الثانية " (٨) .

وهذه الدراسة المطولة تنصب في الدرجة الأولى على السياسة الألمانية ازاء الدول العربية خلال الحرب العالمية الثانية ، والباحث هنا لم يلجأ الى الربط بين تطور الموقف الدولي اثناء تلك الحرب وموقع الدول العربية منها عند تقسيم دراسته ، بل أنه ربط بين وقائع تلك الحرب في القارة الأوربية وتحديد أبواب هذه الدراسة ، كما ربط بشكل ملفت للنظر الأحداث العسكرية لتلك الحرب وموقع الاتحاد السوفيتي منها عند تحديد بداية ونهاية دراسته ~~هنا~~ ولعل ذلك يرجع الى كون الباحث ينظر الى هذه الحرب من خلال رؤية ماركسية بحكم انتمائه الى دولة ألمانيا الشرقية .

عالج الباحث سياسة ألمانيا تجاه الدول العربية في أربعة أبواب ، بدأها بخلفية تاريخية عن تلك السياسة حتى فترة الاعداد للحرب العالمية الثانية ، ثم تلك السياسة منذ قيام الحرب وحتى تسليم فرنسا ( سبتمبر ١٩٣٩ - يونيه ١٩٤٠ ) ثم منذ توقف الحرب مع فرنسا حتى بداية الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي ( يونيه ١٩٤٠

---

(٨) Heinz. Tillmann, Deutschlands Arabere

politik im Zweiten-Weltkrieg, Berlin 1965.

- يونيه ١٩٤١ ) ، ويتوقف الباحث بدراسته عند الباب الرابع بالمعركة الفاصلة عند نهر الفولجا التي أوقفت الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي ( يونيه ١٩٤١ - يوليه ١٩٤٣ ) ، ويعكس هذا التوقف رؤية الباحث لتطور السياسة الألمانية في المنطقة العربية ، على اعتبار ان عام ١٩٤٣ يمثل بداية انهيار الخطط الألمانية تجاه هذه المنطقة ، بل بداية هزيمة ألمانيا في الحرب .

اعتمد " هاينز تلمان " في اعداد دراسته على العديد من المصادر السوفيتية والانجليزية والامريكية ، ولكن المجموعات الوثائقية الألمانية في شرق وغرب ألمانيا تأتي في مقدمة ما رجع اليه الباحث ، فقد رجع الى مجموعات الأرشيف الألماني المركزي في بوتسدام بألمانيا الشرقية ، ومجموعات أرشيف وزارة الخارجية الألمانية في مدينة بون بألمانيا الغربية التي توافرت عند اعداد الدراسة . وقد أعطت وثائق أرشيف بوتسدام للدراسة قيمة خاصة ، حيث رجع الباحث الى مجموعة مراسلات وتقارير وزارة الخارجية الألمانية اثناء الحرب العالمية الثانية الموجودة بذلك الأرشيف والخاصة بمصر والسودان العربية وأهمها (٩) :

Vol. VII, Arabien, Nr. 61123, Bd 1: Oktober 1940-April 1942.

" " " 61124, Bd 2: April 1942-Dezember 1942.

" " " 61125, Bd 3: ab Dezember 1942.

Wirtschafts politische Abteilung, Agypten, No.68425, b Jun. 1937.

الثانية : الدراسة التي نشرها " بيرند فيليب شرودر " باللغة الألمانية عام ١٩٧٥ في مدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية بعنوان " ألمانيا والشرق الاوسط في الحرب العالمية الثانية " (١٠) . وقد قسم الباحث الأبواب الثلاثة لتلك الدراسة حسب التقسيم الاقليمي لبلدان الشرق الاوسط فخص العراق بجزء كبير منها ، ثم جعل بابا ثانيا لسوريا الكبرى ، ثم عالج السياسة الألمانية تجاه مصر كجزء

(٩) انظر نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٣ .

Bernd Philipp Scheeder, Deutschland und Mittlere Osten im Zweiten Weltkrieg, Frankfurt, 1915.

من الباب الثالث الخاص بدول شمال افريقيا . ويتعرض الباحث فى الجزء الخاص بمصر الى المحاولات الالمانية للاتصال بالضباط الوطنيين داخل الجيش المصرى ، وحادث ٤ فبراير والسياسة الانجليزية خلال هذه الفترة ، ثم يستعرض بشكل سريع وقائع العمليات الحربية الالمانية فى شمال افريقيا . ومن أهم المجموعات الوثائقية والتي رجع اليها الباحث عن مصر فى الأرشيف السياسى لوزارة الخارجية الألمانية فى بون بألمانيا الغربية هي مجموعات التى تتضمن مراسلات القيادة السياسية العليا فى ألمانيا بخصوص الحالة فى مصر :

HA, Rltter: Agypten. 1942

HA, Rltter: Brief wechsel RAM und Ciano mit

Grossmufti und Cailani (1940-1943)

كما رجع الباحث الى مجموعات الأرشيف الحربى فى مدينة فراى بورج بألمانيا الغربية وأهمها :

مجموعة "OKW 208" ومجموعة "OKW 1658" التى تحتوى على الخطط الألمانية الحربية فى شمال أفريقيا .

من الحقائق الجديرة بالتنويه أن الأرشيف الألمانى طوال تاريخه وحتى الآن لم يعرف المركزية حتى فى ظل قيام الدولة الموحدة بـل طالما توزع بين المدن الكبرى . ويرتبط تطور بناء الأرشيف الألمانى الى حد بعيد بالتطور الحربى والنشاط العسكرى والسياسى للألمانية سواء فى أوروبا أو خارجها ، ويمكن لنا من خلال ذلك أن نقسم مراحل تكوين الأرشيف الألمانى الى مراحل خمس رئيسية :

المرحلة الأولى ١٨٠٦ - ١٨٧١ :

وهى التى بدأت بسقوط الامبراطورية الرومانية المقدسة ذات القومية الألمانية وانتهت بقيام الوحدة الألمانية . وقد تميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار سواء بسبب الغزو الخارجى "الحروب النابليونية" أو من خلال التنافس الداخلى بين المقاطعات الألمانية نفسها أو بسبب المحاولات الفاشلة المتكررة لاقامة وحدة ألمانية .

وفى ظل هذا الاضطراب والانقسام لا توجد وثائق هذه المرحلة فى مكان واحد ، بل تنتشر وثائقها بين مكاتب عوام المقاطعات القديمة .

وتعتبر مدينة فيينا ومدينة فرانكفورت من أهم المراكز التي يرجع إليها الباحث للاستعانة بأهم المجموعات الوثائقية عن هذه المرحلة . ويعرف أرشيف فيينا باسم Wiener Kriegsarchiv وفي مدينة فرانكفورت يعرف باسم Die Aussenstelle Frankfurt/Main des Bundesarchivs.

#### المرحلة الثانية ١٨٧١ - ١٩١٨ :

وهي التي شهدت قيام الامبراطورية الألمانية " الرايخ الألماني الأول " ، والحرب العالمية الأولى . أيضا في هذه المرحلة لم يظهر أرشيف مركزي لتجميع وثائق الدولة الألمانية الموحدة ، بل توزعت المجموعات الوثائقية بين عوامم الولايات الألمانية وبين أفرع القوات المسلحة الألمانية وخاصة القوات البحرية . ومع العمليات الحربية في الحرب العالمية الأولى تطلبت الحاجة اقامة مركز ابحاث ودراسات عسكرية ، احتوى على التقارير السياسية والحربية لتلك الحرب . وقد ظهر هذا المركز الى الوجود في عام ١٩١٦ في ادارة سلاح البحرية بمدينة برلين ، وظل المركز قائما كأرشيف هام لحفظ الوثائق حتى عام ١٩١٨ .

والمجموعات الوثائقية الألمانية للرايخ الأول تنتشر في الوقت الحاضر في عدة مدن في شرق وغرب ألمانيا على الباحث أن يرجع اليها عند النعز لهذه الفترة ، حيث يوجد في مدينة ميونخ Kriegsarchiv Munchen ، وفي مدينة كارلسروه بألمانيا الغربية Generallandesarchiv وفي مدينة شتوتجارت بألمانيا الغربية Hauptstaatsarchiv ، وفي مدينة درسدن بألمانيا الشرقية Staatsarchiv Dresden ، وفي مدينة بوتسدام بألمانيا الشرقية Militaerarchiv der DDR Potsdam

#### المرحلة الثالثة ١٩١٩ - ١٩٣٥ :

وهي المرحلة التي شهدت قيام جمهورية فيمار ( الرايخ الألماني الثاني ) وانفراد هتلر بالحكم . وفي اكتوبر ١٩١٩ انشأ أرشيف الرايخ في بوتسدام Reichsarchiv Potsdam بالقرب من برلين ،

واحتوى هذا الأرشيف على أغلب مجموعات وثائق الدولة خلال تلك الفترة ،  
وهي الوثائق السرية الخاصة بوزارة الحربية ، ووزارة الاقتصاد ،  
ووزارة الخارجية ، كما انشئ لهذا الأرشيف افرع فى مدن المانيية  
أخرى اهمها مدينتى شتوتجارت ودرسدن .

والمجموعات الوثائقية الخاصة لتلك المرحلة والتي نجت من  
الحرب العالمية الثانية توجد فى الوقت الحاضر فى أرشيف درسدن  
بألمانيا الشرقية Staatsarchiv Dresden وأرشيف كوبلنز  
بألمانيا الغربية Militaerarchiv Koblenz وفى أرشيف مدينة  
فراى بوج بألمانيا الغربية Forschungsamt Freiburg

#### المرحلة الرابعة ١٩٣٥ - ١٩٤٥ :

وهي تشمل اعادة بناء الجيش الالماني والحرب العالمية الثانية .  
وفى هذه الفترة ظل أرشيف الرايخ فى بوتسدام قائما ، ولكن اقتصر  
دوره على تلقى وحفظ كل ما يرد اليه من وثائق وزارة الخارجية  
الألمانية . وفى عام ١٩٣٦ أصبح أرشيف الرايخ فى بوتسدام تابعاً  
مباشراً لوزارة الخارجية ومكان حفظ وثائقها ، وانفصل منذ هذا التاريخ  
ولاول مرة فى تاريخ ألمانيا الأرشيف السياسى عن الأرشيف العسكرى ،  
وانشئ فى فبراير ١٩٣٧ أرشيف عسكرى خاص بالقيادة العامة ، والبحرية ،  
والطيران والقوات البرية فى نفس مدينة بوتسدام ، وانضم لهذا الأرشيف  
العسكرى الجديد أفرع أرشيف الرايخ القديم فى مدينتى شتوتجارت  
و درسدن ، وكذلك أصبحت مدينة ميونيخ مركز هام من مراكز الأرشيف  
العسكرى خلال هذه الفترة . وتوجد الوثائق العسكرية لهذا المرحلة فى  
الوقت الحاضر والتي نجت من غارات الحلفاء الجوية فى ثلاث مـسـدن  
رئيسية بـجب على الباحث الرجوع اليها للاستفادة مما يحتويه الأرشيف  
فيها من مجموعات وثائقية نادرة عن هذه الحقبة الزمنية . وهذه المدن  
حسب الاهمية هي كوبلنز بألمانيا الغربية وبها الآن Bundesarchiv  
Militaerarchiv Koblenz ومدينة فراى بوج بألمانيا الغربية  
وبها فرع من الأرشيف الفيدرالى Bundesarchiv Militaerarchiv  
Freiburg ومدينة بوتسدام بألمانيا الشرقية حيث يوجد بها  
Militaerarchiv der DDR Potsdam

أما الوثائق الخاصة بوزارة الخارجية الألمانية خلال هذه المرحلة فتوجد في الدرجة الأولى في مدينة بون بألمانيا الغربية حيث يوجد بها الآن Des Politische Archiv des Auswaertigen Amtes وفى مدينة درسدن بألمانيا الشرقية حيث يوجد بها الآن staatsarehir . Dresden

#### المرحلة الخامسة منذ ١٩٥٠ وحتى الآن :

وهي الفترة التي أعقبت اعلان قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية ، فبعد حوالى نصف العام من قيام هذه الدولة الألمانية الجديدة اتخذت حكومتها في مارس ١٩٥٠ قرارا بتأسيس " الأرشيف الفيدرالى Bundesarchiv " في مدينة كوبلنز . وفي البداية احتوى هذا الأرشيف العسكرى على بعض الوثائق الألمانية التي سلمت من التخريب أو التي أهملها الحلفاء . وقد بدأ الأرشيف الفيدرالى نشاطه الرسمى في يونيو ١٩٥٢ ، وبمرور الوقت استطاع هذا الأرشيف أن يجمع كمها هائلا من الوثائق الخاصة بالدولة الألمانية والجيش الألمانى قبل عام ١٩٤٥ ، مما تطلب الامر في أغسطس ١٩٥٥ أن ينشأ " الأرشيف الفيدرالى بمدينة كوبلنز قسما خاصا بالأرشيف العسكرى Militaer archiv . وقد ظل الأرشيف الفيدرالى العسكرى وفرعه بعد ذلك " الأرشيف العسكرى " حتى عام ١٩٦٧ يقع تحت اشراف وزارة الداخلية الفيدرالية وحدها . الا أنه وبعد أن نجحت الحكومة الألمانية منذ أواخر الخمسينات فى استعادة كل الوثائق الألمانية من الحلفاء الغربيين تقريبا ، أصبح الأرشيف العسكرى يخضع أيضا لاشراف وزارة الدفاع الفيدرالية . ولهذا السبب تأسس في عام ١٩٦٧ فرع ثان للأرشيف العسكرى في مدينة فراى بورج Freiburg لحفظ ونشر كل المجموعات الوثائقية الخاصة بالقادة الألمانية والجيش الألمانى في العهد النازى التي أعادها الحلفاء الغربيون الى ألمانيا الغربية ، وكذلك يضم أرشيف فراى بورج ملفات وتقارير الجيش الألمانى في شمال أفريقيا ، والتي كانت قد سقطت في يد الحلفاء في العلمين وغيرها من جبهات القتال . ومنذ عام ١٩٦٨ أصبح أرشيف فراى بورج يتلقى وثائق وزارة الدفاع الفيدرالية الحالية لحفظها . كما أنشأت وزارة الدفاع الفيدرالية في عام ١٩٦٨ بمدينة فراى بورج قسما خاصا للأبحاث العسكرية ويحتوى هذا القسم على

أوراق ومذكرات القادة الألمان في الحرب العالمية الثانية .

تحاول الحكومة الألمانية بصفة مستمرة استعادة الوثائق الألمانية

من الحلفاء وغيرهم من الدول بشتى الطرق ، ونجحت في عام ١٩٧٧ في أن تحصل على تقارير الملحقين العسكريين الألمان في عواصم العالم وعلى أغلب أصول وثائق سلاح السحرة وسلاح الغواصات الألماني التسي كانت لدى بريطانيا وأودعت هذه الوثائق في الارشيف العسكري بمدينة فراي بورج . كما حصل أرشيف فراي بورج في نفس الفترة تقريبا على صور الوثائق التي تحتفظ بها الولايات المتحدة الأمريكية والخاصة بسلاح الطيران الألماني في الحرب العالمية الثانية ، كما تسلم أرشيف فراي بورج في عام ١٩٨٥ شرائط ميكروفيلم لأجزاء من الوثائق الألمانية لدى فرنسا ويوغسلافيا وهولندا .

ما زال حتى الآن هناك الكثير من الوثائق الألمانية شديدة الأهمية تحتفظ بها العديد من دول العالم ، ويعتبر الارشيف القومي الأمريكي في واشنطن من أهم المراكز التي تحتوى على مجموعات وشائقة ألمانية خارج ألمانيا . كما توجد وثائق ألمانية أخرى في أنحاء متفرقة من الدول الأوروبية تركتها الجيوش الألمانية هناك أثناء انسحابها الاطراري من تلك الدول ومنها الاتحاد السوفيتي وبلجيكا والمجر ورومانيا وفنلندا وبولندا .

امتدت الآثار الخطيرة للحرب العالمية الثانية التي أدت إلى

تمزق وانحيار الدولة الألمانية (إلرايخ الثالث) لتشمل أيضا مراكز الارشيف العسكري والسياسي المنتشرة في تلك الدولة . فقد أصابت تلك الحرب محتويات هذه المراكز بضرر بالغ ، سواء بفعل الغارات الجوية المركزة للحلفاء على المدن الألمانية أو بفعل تدمير القيــــــــادة الألمانية نفسها لأوراقها مع اقتراب الهزيمة .

ففي فبراير ١٩٤٢ أصابت قنابل الحلفاء مبنى الارشيف العسكري

في مدينة بوتسدام واشتعل فيه الحريق وفقد من جراء ذلك مجموعات كبيرة من وثائق فرق الجيش الألماني التي كانت تتواجد في بولندا والنرويج وفرنسا أثناء الحرب ، وقد أمكن تعويض بعض المجموعات التي احترقت مما كان في حوزة فرق الجيش من وثائق متشابهة عندما كانت

وفي ربيع عام ١٩٤٥ اغارت طائرات الحلفاء على مدينة برلين وغيرها من المدن الألمانية ، ودمر أرشيف المعلومات والتنظيم والإدارة الملحق بالقيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة برلين في إحدى هذه الغارات ، وفقدت أغلب الوثائق الخاصة بالقيادة العامة التي كانت في هذا الأرشيف وكذلك ملفات تجهيز وتشكيل الجيش الألماني في الحرب . وقد أدى عدم تركيز الأرشيف العسكري الألماني في مدينة واحدة إلى تكرار نفس الوثائق في مدن أخرى وبالتالي تعويض ما دمر في أرشيف المعلومات والتنظيم والإدارة ، حيث بقيت مجموعات وثائق الأرشيف العسكري في مدينة ميونيخ سليمة لتعطي صور دقيقة لما كان يدور في القيادة النازية أثناء الحرب العالمية الثانية .

من ناحية أخرى وبأمر من هتلر نفسه قبيل سقوط برلين في يد الحلفاء تم إحراق العديد من ملفات القادة والأوراق الشخصية الخاصة بكبار ضباط الجيش الألماني . كما صدرت الأوامر إلى قيادة أفـسرغ القوات المسلحة من بحرية وطيران ومشاة لتدمير ما لديها من أوراق قبل أن تسقط في يد الحلفاء . ولكن وبسبب الارتباك العام الذي أصاب قيادات أفرع القوات المسلحة عندما حلت الهزيمة ، لم يتمكن أغلب القادة من تنفيذ تلك الأوامر وبقيت بذلك الكثير من الوثائق العسكرية سليمة .

عندما انتهت الحرب واحتل الحلفاء ألمانيا ركزت القوات المنتصرة على مصادرة الوثائق الألمانية ، وقامت دول الحلفاء كلا على حدة بنقل ما وقع في يدها من وثائق ألمانية وذلك لدراساتها وتحليلها . فنقلت القوات الأمريكية وثائق القيادة الألمانية التي استولت عليها من برلين إلى مدينة واشنطن ومدينة الإسكندرية في ولاية فرجينيا ، وقامت القوات البريطانية بنقل أغلب وثائق البحرية الألمانية إلى لندن ، واقتسمت أمريكا وبريطانيا وثائق سلاح الطيران الألماني . كذلك قام الاتحاد السوفيتي بنقل وثائق أرشيف بوتسدام وغيره من الوثائق إلى مدينة موسكو وغيرها من المدن السوفيتية (١١) .

تذكر بعض المصادر الألمانية المعاصرة أن القيادة النازية

(١١) نشرة الأرشيف العسكري في مدينة فراي بورج .



بذلت عدة محاولات لنقل أهم أوراقها السرية نحو الجنوب بعيداً عن مدينة برلين التي أصبحت هدفاً للغارات الجوية من قبل طائرات الحلفاء بصورة مكثفة . وليس من المعروف على وجه الدقة عدد هذه المحاولات ، ولكن ما وصل إلينا هو أنه هناك محاولتان كللتا بالنجاح امكن فيهما نقل كم كبير من الوثائق الهامة الى مكان أمين ، كما أنه هنالك محاولة أخرى شالسة لم يقدر لها النجاح فقدت فيها قدراً كبيراً من الملفات السرية الخاصة بالزعيم النازي هتلر وبعض قادة الحزب (١٢) .

وحدثت المحاولة الناجحة الأولى في فترة مبكرة من سنوات الحرب العالمية الثانية ، حيث أمكن في عام ١٩٤١ نقل الملفات الخاصة بتنظيم فرق العاصفة التابعة للحزب النازي الى مدينة زاسموكي Zasmuky في إقليم بوهيميا Boechmen أحد أقاليم تشيكوسلوفاكيا الحالية ، وسقطت هذه الملفات في يد القوات السوفيتية بعد ذلك . وحدثت المحاولة الناجحة الثانية في منتصف عام ١٩٤٤ ، حيث أمكن نقل أجزاء من مجموعات وثائق سلاح الغواصات الألمانية الى Coburg في الجنوب الألماني ، واستولت القوات الأمريكية على هذه الوثائق وسلمت لبريطانيا بعضاً منها .

أما المحاولة الثالثة فيذكر عنها أن هتلر قرب نهاية الحرب ، وبعد أن أصبحت الأجواء الألمانية تحت السيطرة الكاملة لقوات الحلفاء الجوية ، أمر في ابريل ١٩٤٥ بنقل أهم ملفات القادة الألمان والحزب النازي في طائرتين حربيتين الى مكان سري في الجنوب ، إلا أن القوات الأمريكية الجوية استطاعت اسقاط هاتين الطائرتين فوق ولاية بايـرن في الجنوب الألماني واحترقت الطائرتان بما فيهما من ملفات .

ثم هناك محاولة أخرى مزعومة ، حيث يقال أن هتلر قد أمكنه بمساعدة شخص مجهول من اخراج مذكراته اليومية من مدينة برلين بعد أن حاصرها الحلفاء ، وقد تمكن هذا الشخص المزعوم من اخفاء هذه المذكرات في مكان ما من أراضي ألمانيا ... وهذه الرواية خيالية ، كما لا يوجد أي دليل مادي حتى الآن يثبت وقوعها ، وقد حاولت مجلة ألمانية كبرى وهي مجلة النجمة الاسبوعية " Stern " في ابريل

١٩٨٣ استغلال هذه الرواية المزعومة وبدأت فى نشر يوميات هتلر منذ مايو من نفس العام ، والتي قيل عنها آنذاك ان المجلة استطاعت الوصول اليها . وقد أحدث ذلك صدى واسع النطاق فى الاوساط السياسية والعلمية ، ولكن سرعان ما قيل أن هذه المذكرات مزورة بعناية بيد تاجر عاديّات ألماني واشترك فى هذا التزوير أحد محرري المجلة نفسها، واشتهرت هذه الغضيفة المصحفة فى النصف الثانى لعام ١٩٨٣ بفضيحة " يوميات هتلر المزورة " (١٣) .

يسهل على الباحث الرجوع الى المجموعات الوثائقية ،الالمانية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية الموجودة فى الأرشيف الألماني الغربى ، فى حين ما زالت هناك صعوبات تواجه الباحث وخاصة الاجنبى فى الاطلاع على مجموعات الأرشيف الألماني الشرقى . ولذا يتوجه أغلب الباحثين الراغبين فى الرجوع الى المصادر الألمانية الى مراكز الأرشيف الألماني الغربى ، حيث أن المجموعات الوثائقية التى تحتويها هذه المراكز يسمح حسب اللوائح السارية بالاطلاع عليها ونشرها دون حظر أو تعقيدات .

بنقسم الأرشيف الألماني الغربى فى الوقت الحالى الى " الأرشيف السياسى " ومقره مدينة بون وهو تابع لوزارة الخارجية ، ثم "الأرشيف العسكرى " ومقره مدينتى كوبلنز وفراى بورج وهو تابع لوزارة الدفاع . ومن المفيد التعرف على كيفية رجوع الباحث الى كل أرشيف على حدة ، وأهم محنوبات كل أرشيف من المجموعات التى تتعلق بتاريخ مصر المعاصر .

أولا : الأرشيف السياسى :

وعنوانه :

Politisches Archiv des Auswaertigen Amtes Postfach  
1148-5300 Bann 1-W. Germany.

ويحتل هذا الأرشيف الطابق الأرضى من مبنى وزارة الخارجية الألمانية الواقع على نهر الراين فى مدينة بون ، وتوجد به قاعة اطلاع تستوعب ٢٥ باحثا تقريبا .

---

(١٣) انظر مجلة Stern الألمانية :

"Stern" Nr. 18, Nr. 19 - 1983.

ومحتويات الارشيف السياسى متاحة للباحثين ( ما فوق الدكتوراة ) الراغبين فى الاطلاع عليها بغرض الابحاث العلمية أو أبحاث الترقية ، أما طلاب الدراسات العليا فيسمح لطلاب الدكتوراة بالاطلاع بعد تقديم خطاب بذلك من الاستاذ المشرف . وعلى الراغب فى الاطلاع أن يتوجه به بطلب كتابى على عنوان الارشيف باللغة الأوربية التى يجيدها ، يحدد فى ذلك الطلب المدة الزمنية للاطلاع ، والأطار العام لموضوع الدراسة ، وإرقام المجموعات الوثائقية . وبالنسبة للباحث الاجنبى بشكل عام عليه احضار خطاب تزكية من الهيئة الدبلوماسية التى تمثل بلده فى جمهورية ألمانيا الاتحادية ، والمستشار الثقافى المصرى فى —ون فى هذه الحالة يمكن الرجوع اليه للحصول على خطاب تعزيز للباحث ، وهذه فى العادة خطوة متأخرة يمكن ارجاؤها الى ما بعد الحصول على الموافقة المبدئية من الارشيف نفسه .

والارشيف السياسى يقوم بالرد الايجابى على الباحثين الراغبين فى الاطلاع طالما أن مجموعات الوثائق المراد الرجوع اليها لا تخضع للحظر وعندما يتعهد الباحث بأن يلتزم بنظام الارشيف المعمول به داخليا . وتعتبر كل المجموعات الوثائقية الألمانية الصادرة قبيل مايو ١٩٤٥ قابلة للنشر ومتاحة للاطلاع عليها بحرية دون قيود حظر ، أما مجموعات وثائق ما بعد ١٩٤٥ فيمكن الاطلاع عليها بتصريح خاص من الارشيف بشرط ألا يسبب الرجوع اليها أى مشاكل سياسية للدول أوللأفراد . ومجموعات الوثائق الرسمية بشكل عام طبقا لقانون حفظ الوثائق تخضع لحظر الاطلاع والنشر مدة ٣٠ عاما وهى الفترة المغلقة أمام الباحث . وبالرغم من مرور فترة ٣٠ عاما على مجموعات الوثائق فللارشيف حق عدم السماح بالاطلاع على الوثائق التى تمس الاشخاص الذين على قيد الحياة أو مصالح الدولة الألمانية (١٤) .

أما بالنسبة للوثائق الغير رسمية قبل وبعد ١٩٤٥ الخاصة والشخصية لبعض موظفى الدولة أو مذكرات بعض الساسة الألمان أو أوراق الشخصيات التى لعبت دورا هاما وبارزا فى الحياة الألمانية العامة ، والتى

(١٤) اللائحة التنظيمية للارشيف السياسى

Benutzungsordnung für das Pol. Arch. 1.DEZ. 1978.

يحتوى الأرشيف السياسى على قدر كبير منها ، فهى تخضع لحظر الاطلاع والنشر طبقا للمدة التى يحددها أصحابها أو ورثتهم والتى تقع بين ٥٠ و ٣٠ عاما . ولا يملك الأرشيف تعديل مدة الحظر التى يشترطها أصحاب هذه الوثائق عند ايداعها فى الأرشيف السياسى (١٥) . وأهم ما بهذا الأرشيف من مذكرات شخصية تهتم الباحث المصرى هى المجموعة المعروفة باسم مجموعة ميلشرز W.Melchers رقم ٦٣٩٤ ، الذى كان مسئولاً عن القسم الشرقى بوزارة الخارجية الألمانية حتى عام ١٩٤٥ .

والأرشيف السياسى كونه المصدر المتاح امام الباحثين ، والذى يحتوى على أغلب الوثائق السياسية الرسمية للدولة الألمانية من ١٨٦٧ الى ١٩٤٥ ، يسمح للباحث بالحصول على صور الوثائق التى يطلبها أو على ميكروفيلم لمجموعات وثائقية كاملة وذلك على نفقة الباحث .

ولسهولة رجوع الباحث الى المجموعات الوثائقية فهناك نوعان من السجلات أو الفهارس باللغة الانجليزية لأرقام مجموعات الأرشيف السياسى ، وهذه السجلات موجودة فى أغلب الجامعات الأوربية الكبيرة والمكتبات العامة . النوع الأول وهو المعروف بفهرس " OXFORD " الصادر عام ١٩٥٩ وهو يحتوى على قائمة بأرقام مجموعات الوثائق للفترة الزمنية الواقعة بين عامى ١٨٦٧ - ١٩٢٠ . أما النوع الثانى فهو المعروف بفهرس " KENT " الصادر فى عام ١٩٦٦ وهو يحتوى على قائمة بأرقام مجموعات الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٠ - ١٩٤٥ (١٦) .

وطريقة سجلات " OXFORD " و " KENT " وكذلك فهارس الأرشيف السياسى الداخلية هى الاختزال ، أى الإشارة بالأحرف الأولى الى عناوين المحافظ والملفات تحت الترتيب الهجائى لاسماء الدول . ومعرفه الباحث باختصارات هذه المسميات ومعانيها تعيينه بلا شك على الوصول دون عناء الى المجموعات الوثائقية المراد الاطلاع عليها . وتشتمل القائمة التالية اختصارات أهم مسميات مجموعات وثائق التاريخ المعاصر التى تهتم الباحث المصرى .

---

(١٥) نفس المصدر السابق .  
(١٦) سيرة الأرشيف السياسى :

الأرشيف السياسى لوزارة الخارجية .

PoL. Arch.= Politisches Archev des Auswaertfgen Amts.

محافظ وزير خارجية الرايخ .

RAM= Akten des Reichsaussen ministers.

محافظ وكيل الوزارة .

STS= Aken des Unterstaatssekretaers.

محافظ وكيل الوزارة المساعد .

USTS = Akten des Unterstaatssekretaers.

HA = Handakten.

ملفات تقارير

Chef A/O=Aktenobs محافظ قيادة الجهاز الخارجى للحزب النازى

Chefs der Auslandsorganisation der NSDAP.

محافظ السياسة الخارجية الألمانية

(١٧) ABSP= Akten Zur Deutschen Auswaertigen Politik.

هناك العديد من المجموعات الوثائقية الخاصة بتاريخ مصر

المعاصر ضمن محتويات الأرشيف السياسى هى :

مجموعات التقارير السياسية :

وتضمن الاتصالات الألمانية مع الملك فاروق ، والاساليب السريّة

التي اتبعها فاروق حتى تمكن من أن يقيم جسرا من التفاهم مع المحور مع اقتراب رومل من الحدود المصرية ، وذلك عبر رجاله المقربين من وراء ظهر الانجليز ، وكيف كانت هذه الاتصالات تدور فى طهران واستانبول، وما شهدته باريس فى عهد حكومة فيشى من أهم الاتصالات بين رجال

---

"Kent"

(١٧) انظر فهرس

Cataloug of Files and Microfilms of German.

Foreign Ministry Archives 1920-1945. Comp. and ed. by  
George O. Kent, Vol.1 111, Stanford/Calif. 1962-66.

فاروق والحكومة النازية . وتتناول هذه التقارير موقف الجيش المصرى من المعركة الدائرة بين قوات المحور والانجليز غرب الأراضى المصرية ، واحتمالية وقوف الجيش والشعب المصرى بجانب جيش رومل فى حالة اختراقه للأراضى المصرية ، وكذلك تفاصيل محاولات بعض ضباط الجيش المصرى للاتصال بجيش رومل غرب السلوم ومنها محاولة محمد رضوان فى يولييه ١٩٤٢ ، ورد فعل القيادة الألمانية تجاه هذه الاتصالات سواء من جانب فاروق أو من جانب ضباط الجيش المصرى . كما تشمل هذه التقارير على الاتصالات التى كانت تدور بين وزارة الخارجية الألمانية وبين بعض الأمراء المصريين ومحاولات الملك فاروق لوقف هذه الاتصالات وخاصة تلك التى جرت بين خديوى مصر السابق عباس حلمى الثانى ووزير خارجية ألمانيا . وكذلك موقف الانجليز من القصر والاحزاب المصرية فى ضوء الحرب وأزمة ٤ فبراير ، وموقف ألمانيا من مسألة الحكم فى مصر ومن القوى السياسية المصرية والخطط الألمانية تجاه مختلف جوانب المسألة المصرية فى حالة دخول رومل للقاهرة .

كما تحتوى هذه التقارير على مجموع المكاتبات الألمانية الايطالية بشأن الاوضاع فى مصر ، والمراسلات التى جرت بين وزارتى الخارجية فى البلدين حول مصر ، ومراحل تبادل وجهات النظر فى مشاريع ونصوص الاتفاقات من أجل تقسيم النقود فى مصر بين القوتين ، وهذه التقارير تفصح عن حقيقة الاطماع الاستعمارية التى كانت تدور فى اذهان ساسة روما وبرلين (١٨) .

#### مجموعات المراسلات السياسية :

وهى تهتم الباحث المتخصص فى تاريخ العرب المعاصر بصورة مباشرة ، حيث تضم المراسلات التى تمت بين حكومة رشيد على الكيلانى والحكومة

---

(١٨) انظر المجموعات التالية :

HA. Ettel, 2, "Koenig Faruk", 1942-1943.

HA. Ettel, 6, "Grossmufti allgem"., 1942-1944.

Buero STS, 211, "Aegypten" 1939-1943.

USTS, 1, "Aegypton", 1941-1943.

الألمانية ، والخطط الألمانية من أجل دعم الكيلاني في بغداد ، وحجم التدخل العسكري الألماني أثناء ثورة الكيلاني ضد الانجليز . ومجموع مراسلات السعشات الدبلوماسية الألمانية في كل من بغداد وطهران وانقرة والرياض الى وزارة الخارجية في برلين حول القوى السياسية في المنطقة العربية . كما تشمل هذه المجموعات على نموص اتفاقات المداقة التي تم التوصل اليها بين الكيلاني والحكومة الألمانية لتنظيم العلاقة بين الجانبين .

كذلك تحتوي هذه المجموعات على الخطابات المتبادلة بين الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورشيد الكيلاني من جانب وبعض الشخصيات القيادية الألمانية ووزارة الخارجية في برلين من جانب آخر . والمحادثات التي جرت بين الجانب العربي والجانب الألماني أثناء لجوء الحسيني والكيلاني لدول المحور من أجل تنظيم سبل التعاون بين الجانبين . كما تكشف هذه المجموعات عن حقيقة موقف الحكومة الألمانية والاطارية من الشعوب العربية ، ومشكلة فلسطين ، والمستقبل السياسي للاقطار العربية في حالة استمرار المحور في الحرب .

وتشمل كذلك تقييم القيادة الألمانية لحجم الدور الذي يمكن أن يلعبه الكيلاني والحسيني والقوات التابعة لكل منهم في خدمة المجهود الحربي للمحور في الشرق .

كما تشمل هذه المجموعات على طرق بناء وتنظيم المقاومة العربية ضد الحلفاء بقيادة الحسيني والكيلاني بتوجيه من برلين وروما ، والمراسلات التي تمت بين الادارات المختلفة في ألمانيا بعضها البعض وبين برلين وروما حول المقاومة العربية ، ومور التنافس الشديد بين الحسيني والكيلاني من أجل الانفراد بحق تمثيل العرب لدى المحور، ونشاط الحسيني والكيلاني السياسي في عواصم المحور ، واسلوب معشة هؤلاء وجماعاتهم في ألمانيا واطاليا ، وأوجه الانفاق ، والمرتبات الشهرية المدفوعة لهم من جانب المحور . علاوة على المنشورات الدعائية الموجهة الى البلاد العربية سواء تلك التي كانت تصدر عن الحسيني والكيلاني أو برلين وروما ، ونسخ المنشورات العربية الموجهة الى الجماهير العربية (١٩) .

---

(١٩) انظر المجموعات التالية :

Handakten, Ettel, 4, "Grossmufti", 1942-1943.

Handakten, Ettel, 5, "Grossnufti", 1942.

Handakten, Ettel, 11, "Laender des arab-Raumes im nahen Osten".

شانسا : الأرشيف العسكرى :

يعد فرع الأرشيف العسكرى فى مدينة فراى بورج Freiburg هو  
المركز الهام للباحث المصرى المتخصص فى تاريخ مصر المعاصرو عنوانه  
هو : Bundesarchiv/Militaerarchiv-Wiesentalstr. 10  
7800 Freiburg/Br.

وللكم الهائل من المجموعات الوثائقية التى يحتويها هذا الأرشيف  
فإنسه يتكون من ثلاثة مبان ضخمة على أطراف المدينة ، وفى الطابق  
الثانى من المبنى الأول يستقبل الأرشيف جمهور الباحثين حيث يوجد به  
قاعة اطلاع تسع ١٤ باحثا . وهذا الأرشيف متاح لجميع الباحثين سواء  
الدراسات العليا أو غيرها . وعلى الباحث أيضا قبل أن يذهب الى  
هناك أن يرسل ادارة الأرشيف حتى يحصل على موافقة بالاطلاع . وتعتبر  
موافقة ادارة الأرشيف مؤكدة اذا أراد الباحث الاطلاع على مجموعات  
وثائق ما قبل مايو ١٩٤٥ .

أما مجموعات وثائق ما بعد مايو ١٩٤٥ ، فهى تخضع بصفة عامة  
لقانون الحظر وهو ٣٠ عاما من تاريخ صدور الوثيقة ، علاوة على أن  
ادارة الأرشيف قد تمنع الاطلاع على بعض المجموعات التى صدرت بعد ١٩٤٥  
بالرغم من انقضاء ٣٠ عاما (٢٠) .

أما بالنسبة للمذكرات الشخصية فيحتوى هذا الأرشيف على قدر هائل منها  
مثل مذكرات القادة العسكريين المشهورين من أمثال مولتكه "Moltke" ،  
وتعتبر المذكرات الصادرة قبل ١٩٤٥ متاحة للاطلاع عليها ، أما تلك  
الصادرة بعد هذا التاريخ فهى كما فى حالة الأرشيف السياسى تخضع  
لمدة الحظر التى يقررها اصحابها أو ورثتهم عند تسليمها للأرشيف  
العسكرى .

---

(٢٠) انظر نشرة الأرشيف العسكرى :

Benutzung sordnung , 11 SEP. 1969-K3-32515/1.



وهناك مجموعة هامة من المذكرات الشخصية بالارشيف تهتم  
الباحث المصري وهي المجموعة المعروفة بمجموعة فارمباخسر  
W. Fahrmbacher رقم ٩٤١ الذي كان يرأس مجموعة الخبراء  
العسكريين الألمان في مصر منذ عام ١٩٥٢ .

وللأرشيف العسكري فهرس داخلي لمجموعات الوثائق الرسمية الصادرة  
قبل ١٩٤٥ ، وآخر المجموعات والاوراق والمذكرات الشخصية . وفهرس  
المجموعات الرسمية قسم حسب مسميات افرع القوات المسلحة الالمانية  
قبل ١٩٤٥ ، اما فهرس المذكرات الشخصية فيتبع طريقة الترتيب الهجائي  
لاسماء اصحاب هذه المذكرات ، وهناك اختزال لمسميات مجموعات الوثائق  
الرسمية ، واهم ما يخص الباحث المصري منها هي :

محافظ القيادة العليا للقوات المسلحة .  
OKW= Akten des oberkommandos der Wehrmacht.

محافظ الفيلق الثامن والستين ( فيلق افريقيا )

LXVIII. A.K.= Akten des archtundsechzigsten Armeekorps.

القوات المسلحة للرايخ الثالث .

BW= Reich-Wehr macht.

يحتوي الارشيف العسكري في فراي بورج على محافظ خاصة بالفيلق  
الذي قاده رومسل في شمال افريقيا وهو المعروف اختصارا  
A.K. (Afrikakorps.) أي فيلق افريقيا . وهذه المحافظ تحتوي  
على اعداد وتشكيل هذا الفيلق ، والخرائط والخطط الحربية لهذا  
الفيلق ، والمراسلات المتبادلة بين رومل والقيادة العامة للقوات  
المسلحة في برلين . كذلك هناك محافظ تحتوي على كم هائل من الصور  
التاريخية للعمليات الحربية لهذا الفيلق في شمال افريقيا وغرب  
الاراضي المصرية . ثم هناك ارشيف خاص بافلام وثائقية عسكرية نادرة  
عن المعارك العسكرية التي خاضها هذا الفيلق في شمال افريقيا .

من المدهش أن يتبين من خطط رومل انه كان يرمى الى اختراق  
الاراضي المصرية جنوب بنى سويف حتى يقطع خطط الانسحاب امام القوات  
الانجليزية نحو السودان ، كذلك حتى يتفادى غمر اراضي الدلتا الطينية  
بالمياه .

وهذا بخلاف ما يعتقدّه الكثير من الباحثين ، من أن رومل كان  
سيندفع من العلمين الى الاسكندرية ثم القاهرة . كذلك هناك محافظ  
خاصة بتنسيق قيادة قوات المحور فى شمال افريقيا بين الالمــــان  
والايطاليين وتشمل هذه المحافظ على المراسلات التى تمت بين برلين  
وروما بهذا الخصوص . وهناك أيضا محافظ خاصة بفرع المخابرات التابع  
لفيلق افريقيا وتشمل على المهمات السرية التى قامت بها المخابرات  
الالمانية فى شمال افريقيا وعلى الاتصالات السرية التى جرت مع بعض  
الشخصيات المصرية (٢١) . ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد فى محافظ  
المخابرات ما يشير الى دور الجاسوس الالمانى هانز ابـلـ" Hans Epple"  
الذى أشار اليه السادات كثيرا فى كتابه البحث عن  
الذات (٢٢) .

وهذا الجاسوس نفسه نشر مذكرات له بعد صعود نجم السادات تحدث  
فيها عن مهمته السرية فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية .  
وبعد . ومن هذا العرض الموجز عن الأرشيف الالمانى ومحتوياته  
يتبين لنا أنه فى الوقت الذى كانت مصر تحتل فيه أهمية خاصة فى  
الاستراتيجية الالمانية فى الحرب العالمية الثانية من خلال الصراع  
الاستعمارى بين ألمانيا وانجلترا بشكل خاص وذلك الصراع بين المحور  
والحلفاء بشكل عام ، نجد أن محتويات الأرشيف الالمانى عن مصر مازالت  
لا تلقى العناية الكافية من جمهور الباحثين المصريين لاسباب فى  
الغالب خارجة عن ارادتهم . ولكن محتويات هذا الارشيف جديرة بالاطلاع  
لاهمتها عند كتابة تاريخ مصر المعاصر وخاصة فى الحقبة التى كانت  
فيها مصر تحتل مكانا هاما فى السياسة الالمانية .

\* \* \*

---

(٢١) انظر المحافظ التالية بالارشيف العسكرى : OKW 208 , 1658 .

LXVIII. A.K./33202/2, 33202/3 .

(٢٢) أنور السادات " البحث عن الذات " ، الاهرام ١٩٧٨ .

**الرقيق الأفريقى بالحجاز**  
**فى النصف الأول من القرن العشرين**  
**د. عبد العليم على أبو هيكـل**  
**كلية الآداب - جامعة القاهرة**

تضرب الصلات العربية الأفريقية جذورها فى أعماق التاريخ، متخذة فى أشكالها ووسائلها أساليب شتى ، وتبلورت من خلال تلك العلاقة مسألة الاسترقاق<sup>(١)</sup> .

ومع تعدد أسباب الاسترقاق كالحرب والفقر والجريمة والظف ، فقد فتح الاسلام أبوابا متعددة لتحرير الرقيق ، الا أن تلك الأبواب ظلت فى مجملها محصورة بنطاقها الدينى ، ثم دخلت مسألة الرقيق حيز الاهتمام العالمى ، كظاهرة استفحل أمرها عندما قادت إنجلترا مواكب التصدى للاسترقاق عام ١٨١٥ م ، تلبية لطموحها الرأسمالى واستجابة لمتطلبات المرحلة ، بعد ذلك ، مغلفة دعواها للتحرر بالشعارات الانسانية .

**\*\*\* الأسباب الرئيسية لاستمرار تدفق الرقيق الى الحجاز :**

على أن خطوات استفحال ظاهرة الاسترقاق أو الحد منه لم ننابح فى طريقها الذى رسمته إنجلترا ، ومن تبعها ، كما حلوا لهم سل تدخلت فيه عوامل متعددة محلية وعربية وأفريقية ، برز فيها الحجاز كمنطقة من مناطق استقطاب خصة للرقيق بصورة عامة والأفريقى منه بصورة خاصة .

فمع موقع الاقليم الجغرافى باعتباره الواجهة الغربية لشبه الجزيرة العربية ومواجهته لساحل أفريقيا الشرقى ، أضفى الدجـار مرتكزا طبيعيا ومصبا مناسبا للرقيق ، بعددا عن التوغل فى أعماق الصحراء كسبيل للتجار القادمين من عمان أو اليمن باتجاه الشمال بعيدا عن صحراء ( الربع الخالى ) فقد اعتاد التجار اتباع الطريق الساحلى من مسقط حتى صنعاء ومنها الى مكة المكرمة والمدينة المنورة باعتبار الأخيرتين مراكز رئيسية لجزيرة العرب - كما حددها ( البكرى )

---

(١) حمزة ( فؤاد ) - قلب جزيرة العرب - ط ٢ - الرياض ١٣٨٨ هـ /  
١٩٦٨ م - ص ٩٧ .

في الممالك والممالك<sup>(٢)</sup> وبأهم خصائص الطرق كوفرة المياه وامتداد العمران .

وبلغت فوضى الاقليم ذروتها بدأ من عهد ( عون الرقيق ) مروراً بالحسين بن علي وابن سعود ، عندما تقوقع هؤلاء داخل اهتمامات اما شخصية أو قومية أو أسرية صرفتهم عن الاهتمام لمواجهة - ظاهرة الاسترقاق<sup>(٣)</sup> .

ففي عهد عون الرقيق الذي بدأ عام ١٨٨٢م وصلت الفوضى ذروتها ، تتواءم مع الآستانة والنزاع بين أفراد أسرته<sup>(٤)</sup> وجاء الحسين بن علي ليصب اهتماماته نحو قضايا أخرى بعيدة عن معالجة شؤون الحجاز ، وتضارب بنيانه اجتماعيا واقتصاديا واداريا<sup>(٥)</sup> .

ورغم نجاح ابن سعود في تقويض حكم الاشراف عام ١٩٢٦ م فلم يكن باستطاعته التغلغل بقوة داخل عناصر البنيان الداخلي بالاقليم من ( أهل الحل والعقد ) كالتجار والاسر والقبائل - الذين كانت ثمار الغالبية العظمى من عمل الرقيق تذهب اليهم ، وظلت السطحية في شكل الحكم - سمة مميزة للنظام ، مع فارق بسيط عن حكم الاشراف ، تمثل في رغبة عبد العزيز نفسه الابتعاد عن الاصطدام بواقع الحجاز داخليا، ولادراكه مدى الحساسية التي حكمت مقدرات العلاقة بين اقاليم مملكته المتنوعة والمتباينة في آن واحد<sup>(٦)</sup> .

ومن هنا وقع ابن سعود في حيرة من أمره بين ضغوط تلك القوى المحلية والرواسخ الاجتماعية التي دعمت سيادته بالاقليم وبين الضغوط الخارجية خاصة من قبل بريطانيا حاملة شعار مقاومة الرقيق، والدولة الأكثر حضورا بالمنطقة .

---

(٢) الغنيم ( دكتور عبد الله يوسف ) - تحقيق ودراسة كتاب جزييرة العرب من الممالك والممالك للبكري - ط ١ - الكويت - ١٩٧٧ - ص ١٤٩ .  
(٣) De Gaurry, Rullers of Mecca, London, 1950, P. 275.  
(٤) موسى ( سليمان ) - الحركة العربية ١٩٠٨/١٩٢٤ - ط ٢ - بيروت - ١٩٧٧ - ص ٤٥ .

(٥) De Gaurry, Op.Cit., P. 275.

(٦) D.S.A. 890/F. 00/8, Crowing Modernization of Hejaz  
Despatch of U.S. Consul, Aden to Secretary of State,  
23/1/1928.

على أنه من الخطأ بمكان القاء وزر هذا التدفق لاعداد الرقيق على كاهل النظام العام للحكم فقط خلال تلك الفترة دون الأخذ بعين الاعتبار للخلفية الدينية والتاريخية والاجتماعية للحجاز .

فمع العمق الزمني لانتشار الرق حتى قبيل الاسلام واختلاط العوامل الدينية بالظواهر الاجتماعية خلق بالضرورة ظروفًا مشجعة للاسترقاق داخلها ومن العناصر الخارجية التي شجع تدفقها وجود الاماكن الاسلامية المقدسة من الافارقة مع غيرهم من الجنسيات الأخرى<sup>(٧)</sup> والبقاء والاقامة حولها . اما بدافع العاطفة أو لعجز السلطات المسئولة ذاتها التمدى لظاهرة تخلف الحجيج ، عندما اضطرت الحاجة المالية للفقراء منهم بدخولهم الرق أو بيع أبناءهم للأسر الحجازية ، ظنا بمشوبة البقاء بجوار تلك الاماكن أو لرتابة الحياة الاقتصادية وانعدام فرص العمل بالأقليم في ذلك الوقت .

وأغتنمت معظم الأسر الحجازية والقبائل تلك الفرصة في التزود من هؤلاء ، خاصة مع رخص ما يدفع لشراء العبيد ، ولأهداف اجتماعية أو حرفية ، أو أمنية وعسكرية على نحو ما سنرى<sup>(٨)</sup> مع نفور سكان الحجاز - كبقية معظم كيانات الجزيرة العربية - من العمل الحرفي والأعباء الشاقة ، مما فتح الباب على مصريه أمام الاسترقاق .

ثم جاءت الخطوات الاولى للبحث عن المتروك في أرجاء الجزيرة لتضيف عاملا من عوامل استمرار هذه الظاهرة ، مع استغلال العوامل السابقة في ترفع سكان المنطقة عن القيام بمثل تلك الاعمال اليدوية<sup>(٩)</sup> ويحكى أحد الرحالة ( ولغريد شيسجر ، W. Thesiger ) أثناء جولته في واحة ( البويري ) عقب الحرب العالمية الثانية ، أنه وجد رجلا يدعى (على المرى ) وبرفقته ما يقرب من الخمسين عبدا أفريقيا أخذهم معه من الحجاز الى الاحساء للقيام بأعمال الحفر هناك<sup>(١٠)</sup> .

F.O. 141/497, Memorandum on slavery in Saudi by (٧) A. Ryan 15/5/1934.

- (٨) صحيفة البلاد السعودية - ( ملامح الحياة الاجتماعية بالحجاز في ١٤ هـ - الاعداد من ١٧٠١ الى ١٧١٥ - محمد علي مغربي - مارس ابريل ١٩٨١ -  
(٩) أم القرى - السنة ٧ - (حديث لحافظ وهبه في الجصعية الأسبوعية - بلندن ) العدد ٣٢٤ ، ٢٠ ذي الحجة - ١٣٤٩ هـ / ٨ مايو ١٩٣١ م .  
(١٠) شيسجر (ولغريد) - رمال العرب - ترجمة نجدة هاجرو آخر - بيروت ١٩٦١ - ٢٨٠٠٠

على أن الحجاز بأوضاعه السياسية والاجتماعية والدينية لم ينفرد بتفاعلاته تلك لبشكل سببا أو ظاهرة للاسترقاق ، لولا وجود عوامل أخرى على الجانب الأفريقي ساعدت على تلك الاستمرارية للرق ، عندما أجسج الاندفاع الأوربي المحموم نحو القارة أسباب التنافس بين تلك القوى الخارجية<sup>(١١)</sup> واستطاعت القوى المحلية النفاذ بين ثغرات تضارب المصالح الأوربية ، خاصة في أشيوبيا ، وليستثمر الامراء وشيوخ القبائل والتجار تلك الفوضى بالاستمرار في تجارة الرقيق ، مع ما رافق هذا من انتشار تجارة الاسلحة النارية منذ أواخر ق ١٩ (١٢) .

وشهدت المستعمرات الصومالية الثلاث المتجاورة أقمى درجات الفوضى

(١١) انفصلت زنجبار عن عمان منذ عام ١٨٦١ ، وفي عام ١٨٩٠ أعلنت الحماية البريطانية على الجزء الأوسط منها طبقا لاتفاق عقدته إنجلترا مع ألمانيا وفرنسا ، وفي عام ١٩١٣ أصبحت زنجبار كلها من اختصاص وزارة المستعمرات ، وعندما أرغمت القوات المصرية عام ١٨٨٥ على إخلاء جميع الموانئ التي تطل على البحر الأحمر عدا - سواكن - ومع تردد الباب العالي في احتلال ثغرى - زيلع وبرره - بادرت بريطانيا باحتلالهما .

أما فرنسا فقد ابتاعت - ميناء أوبوك " Obok " - عام ١٨٨٣ وعقدت معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٨٨ ، اعترفت فيها فرنسا بنفوذ البريطانيين في الصومال البريطاني حتى حدود - دونجاريتا - بينما اعترفت بريطانيا لفرنسا بنفوذها في خليج شاجورا - ثم استغلت - الأخيرة عدم امتداد نفوذ امبراطور إثيوبيا يوحنا الرابع نحو - الوجدادين - فيما وراء الصوماليين - البريطانيين والاطالي - لتتخذ من تلك المنطقة قاعدة لنشاطها السياسي في القرن الافريقي .

أما إيطاليا ، فقد استغلت نهاية الحكم المصري بالسودان باعتباره ارض خلاء فاحتلت ثغر - مصوع - ثم نجحت بصورة تدريجية في وصل - عصب ومصوع - بشريط من الارض الصحراوية بمحاذاة الساحل والتي تقطنها بعض قبائل ( الدناكل ) والتي حملت اسم ( ارتيريا ) ثم دخلت في صراع مع مملكة الحبشة حتى لحقت بها الهزيمة في ( عدوة ) عام ١٨٩٦ ، ثم استفادت إيطاليا من تنازل الشركات البريطانية عن بعض المواقع في سلطة زنجبار على ساحل أفريقيا ، وتأييد هذا التنازل من قبل الطرفين وقع عام ١٨٩٢ ، اعقبه رسم الحدود بين الصومال الايطالي وكينيا البريطانية عام ١٩٠٨ ، وقبلها بعامين - ١٩٠٦ - اعترفت إنجلترا وفرنسا بحقوق إيطاليا في شرق افريقيا وحققا وصل مستعمرتي أرتيريا والصومال الايطالي . انظر - دونالد وايدنر - تاريخ افريقيا جنوب الصحراء - ج ١ ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧٦ .

(١٢) - Aitchison (C.M.), A Collection of treaties engagement and sands relating to India and the Neighbouring countries, London 1890, PP. 126/130.

خاصة فى الجزء الايطالى ( اذ مورست تجارة الرقيق علنا ، وكانت هناك أسواق للرقيق تحصل الشركة الايطالية منها على ضريبة ) (١٣) .

وبرزت فئة أخرى من الهنود الى جانب العرب استطاعت تحت المظلة السياسية للسيادة البريطانية على الجزء الافريقى والهند اشراء تلك التجارة .

يقول المغيرى :

( انتقلت أملاك العرب الى المتاجرين من الهند ..... فأغلب أملاك العرب بزنجبار انتقلت الى الهنود الذين استملكوا ما يملكه العرب بالفوائد الفادحة والحيل ) (١٤) ، واستمع ذلك التباين فى نمو القوى المحلية ، امتلاك أعداد من الهنود لكثير من السفن العاملة بالمحيط الهندى ، وهى تحمل عشرات من الرقيق بحجة كونهم عمالا تحت عبادة السيادة البريطانية ، أو تحت ظلال العلم الفرنسى (١٥) ، وبين شأنا تعدد النشاط التجارى ومنها الرقيق ، عبر مياه البحر الأحمر ومسا سبلته الرياح الموسمية المنتظمة (١٦) .

ومما سهل أيضا تدفق الرقيق نحو الحجاز - تلك القلاقل السياسية التى ميزت الأوضاع على الساحل العربى جنوب الحجاز فى أواخر ق "١٩" وبداية القرن العشرين ، فقد تعرضت عمان لكثير من مظاهر الفوضى فى عهد السلطان فيصل ومنذ عام ١٨٩٤ م ، سياسيا ودينيا للصراع من أجل السلطنة والامامة ، رسخ منها بأس القبائل وتشتت ولاءها كما حدث فى

---

١٣) رياض ( دكتور زاهر ) الاستعمار الأوروبى لافريقيا - القاهرة ١٩٦٠م - ص ٣٤٦ .

١٤) المغيرى ( سعيد بن على ) - جبهة الاخبار فى تاريخ زنجبار - مطرح ١٩٨٦ م - ص ٣١٧ / ٤٠١ .

١٥) وندل ( فيلبس ) - تاريخ عمان - ترجمة محمد أمين عبد الله - عمان ١٩٨٢م - ص ١٥٣ - ١٥٤ كانت فرنسا قد تمكنت من اختراق المصالح البريطانية فى مسقط باقامة قنصلية لها هناك عام ١٨٩٢م واصدار صحيفة لها تدعى ( مرشد القلوب ) عام ١٩٠٢م ، ثم اعلان السيد فيصل بن تركى ( ١٨٨٨ - ١٩١٣ ) نواياه الطيبة تجاه فرنسا عام ١٨٩٩ م .

- لمزيد من التفاصيل - انظر د. عبد العزيز عبدالغنى اسراهم - علاقة ساحل عمان ببريطانيا - الرياض ١٩٨٢م - ص ٣١٠/٣١٢ .

١٦) المعمرى ( احمد محمود ) - عمان وشرق افريقيا - ترجمة محمد امين عبد الله - بيروت ١٩٧٩ - ص ٤١/٤٥

منطقة ( الرستاق ) و ( وادى سمائل ) و ( جعلان ) (١٧) مما سهّل لتجار الرقيق نقل تجارتهم باتجاه الشمال ، ثم استمرار قنوات الفوضى ومن ثم قوافل الرق داخل اليمن ، من خلال استمرار المعارك أولا بين الاتراك وامامة اليمن مع الامام المنصور ثم يحيى ، ثم افراز تقلب الولاءات عن خلق كيان الادارة بعسير مدعما بالمساندة الايطالية ، فى ذات الوقت الذى تبلورت فيه من خلال ذلك الصراع ظهور ميناء ( ميدى ) الواقع بين سبادة الادارة وامامة اليمن ليكون مصبا رئيسيا على الجانب العربى لاستقبال رقيق أفريقيا (١٨) .

لقد تضافرت تلك العوامل كلها جغرافيا وسياسيا واجتماعيا مع البعد التاريخي فى تواجد واستمرارية الرق بالحجاز ، الذى مشل ( بوءة استقطاب نشط ) لتلك الظاهرة ، فى وقت كانت جهود مقاومة الاسترقاق عالميا ، قد وصلت ذروتها ، وكانت مواجهتها فى تلك المنطقة من الصعوبة بمكان على حد تعبير بعض المصادر الأوروبية (١٩) .

#### **\*\* كيفية وصول الرقيق الى الحجاز :**

لقد كانت بريطانيا تود الحفاظ على تدعيم نفوذها بتلك المناطق من شرقى افريقيا والساحل العربى ، بعيدا عن اشارة الكباشات الاجتماعية ، فى ذات الوقت الذى لا تستطيع فيه التراجع عما أعلنته من اجراءات لمواجهة تلك الظاهرة (٢٠) من ناحية .

(١٧) قاد عبد الله بن صالح - نجل صالح بن على - الزعيم ذو النفوذ القوى فى عمان تمردا يدافع من السلطان - محمد بن ثوينى - الذى كان يحلم باعادة توحيد عمان وزنجبار - كذلك التنافس الذى اشتعل بين القبائل من اجل شغل منصب الامامة الذى ظل خاليا منذ عام ١٨٧١م عندما قتل - عزان بن قيس - ولم ينتخب خلفا له حتى عام ١٩١٣م ، مما أوقع البلاد فى فوضى أججها تحول عمان الى سوق رئيسى لواردات السلام بالمنطقة التى كانت تدر عليها ربحا قدر ماربعة آلاف دولا شهريا .

انظر - وندل - المصدر السابق - ص ١٦١/١٦٣ .  
(١٨) العقيلي ( محمد بن احمد عيسى ) - المخلاف السليماني - ج٢ - القاهرة ١٩٦٦م - ص ١٢٢/٩٦ .

(١٩) F.O. 371/177, Missionary Work's in Heja 727/7/ 1433.  
(٢٠) Howarth, D. The Desert King, London, 1964, P.130.



ومن ناحية أخرى ادركت القوى المستفيدة من تجارة الرقيق من الزعماء المحليين على الجانب الأفريقي ضرورة الابتعاد عما يمسس الاتجاهات والسبل البريطانية واتبعوا سبيلين رئيسيين لتحقيق هذه الغاية على النحو التالي :

#### أما الأسلوب الأول :

فقد كمن شحت عبادة الحجة الدينية ، واشتهرت باتباعه قبائل ( المالانجا - Malonja ) و ( المندابا - Mondaba ) و ( أبو سنان - Abyssinian ) - والتي اتخذت من المناطق المحيطة بخليج ( تاجورا - Tajura ) موثلا لها - كمنطقة ( اوسا - Awsa ) و ( راس دوميرا - Ras Dumiera ) و ( راشيليه - Rashaliah ) و ( جوزيرا - Gozayera ) وقادت قبيلة ( أبو سنان ) هذا الأسلوب (٢١) ، فجمع الأطفال والصبية بحجة تلقيبهم التعاليم الدينية المسيحية بكنيسة ( أديس أبابا - Addis Ababa ) وعندما يصلون إلى المدينة يسلمون إلى تجار الرقيق بها . فيدفعون بهؤلاء الصبية إلى مقار للسكنى عبر شوارعها ، ويلقنون اثناء اقامتهم بها مبادئ الطاعة والالتزام الكنسي في ذات الوقت الذي تتم فيه صفقات وأساليب النقل ، وبعد الاتفصاق ينقل الأرقاء عبر صحراء ( الدناكل - Danakil ) ومنها إلى ( رأس تاجورا - Ras Tajura ) فتحملهم السفن عبر الأحمر - بحجة كونهم عمالا أو تحت ستار العلم الفرنسي ، وكان الميناء المفضل والمناسب لتلك الوجهة هو ميناء ( ميدى ) .

#### أما الأسلوب الثاني :

فكان يعتمد أساسا على الخطف ، وبرزت منطقة ( وادي - Wadai ) بتشاد حاليا - باتباع هذا الأسلوب ، واتخذته قبيلة ( الشايقية - Shaggi ) السودانية سبيلا لها ، مستغلة ضعف القبائل المحيطة بها مثل ( الدنكا ) و ( النوير ) ، ومن مر كز القبيلة الرئيسى فى ( دارسيلا - Dar Sila ) موثلا لها ، يفد إليه التجار من العرب وخاصة من السوريين ومن غيرهم كالهنود ، الذين ينقلون ما جمعهو إلى

( سواكن ) ومنها وينفس الطريقة السابقة الى ميناء ( جدة ) على الساحل العربى - والأقرب جغرافيا (٢٢) .

ولم تستطع زوارق الحراسة البريطانية الحد من نشاط السفن العاملة بتجارة الرقيق اما لعجزها الوصول الى الخلجان أو الأخوار الضيقة التى يصل اليها الرقيق خاصة أثناء الليل على الجانب العربى مع الحركة المحسوبة لتشابك الاوضاع محليا ودوليا على ذات الجانب ، وانعدام نقاط الحراسة المحلية من قبل القوى المحلية ، مع قدرة العاملين فى هذا المجال النفاذ بين ثغرات التنافس الانجليزى الفرنسى وتغاض الجانب الأخير اما بصورة متعمدة أو غير متعمدة عما يحدث فى مناطق نفوذه على الجانب الافريقى (٢٣) .

واشتهرت الموانئ الممتدة على ساحل البحر الاحمر من القنفذة شمالا حتى الحديدة جنوبا باستقبالها سفن الرقيق ، وبرزت من بينها بصفة خاصة موانئ ( بيرك وميدى والليث ) لملائمة جغرافيتها للسفن الصغيرة ، وانعدام السيطرة الامنية بها (٢٤) .

ولما كان التهريب والسرية هما السمة التى استترت خلفهما عمليات نقل الافارقة بالاضافة الى عمق التواجد التاريخى لهؤلاء الرقيق وللمستفيدين منهم داخل البيئة المحلية بالتوارث وخلال مواسم الحج . أضاف الى ذلك انعدام سجلات المقيمين بالحجاز بصفة عامة - خاصة أن اللوائح التى وضعت بعد ذلك لم تطلب من الاهالى تسجيل ما لديهم من رقيق الا عند عتقهم ، أمام ذلك كله خلقت مشكلة تحديد أعداد هؤلاء الافارقة الأرقاء مع غيرهم من مصادر الرقيق الأخرى ، بالفترة موضوع الدراسة ، وجميع ما استطعنا الحصول عليه من أرقام ، أن هى الا أعداد تقريبية لتصورات من تصدوا لتلك المسألة ، بالاضافة الى أن أولى الأمر سواء من الاشراف أو آل سعود أنفسهم لم يكن من السهولة معرفة ما لديهم من أعداد للرقيق الافارقة أو غيرهم ، عندما كانت القنصلية البريطانية بجدة تحاول ذلك (٢٥) .

- 
- F.O. 141/497, Op.cit. (٢٢)  
- F.O. 371/10874, Anglo-Italian Conservation (٢٣)  
Regarding South West Arabian 30/11/1933.  
- F.O. 84/483, Memorandum by Mr. Bond Received in (٢٤)  
F.O., Nov. 1936. (٢٥)  
F.O 371/10878 Op.Cit.

من هنا تباينت الأرقام التى أوردتها بعض المصادر لاعداد الرقيق فقد حدد فوءاد حمزة تلك الارقام ، بما يقرب من ٢٠٠.٠٠٠ (٢٦) .

على حين قدرتها المصادر البريطانية التى كانت اكثر تواضعاً وتفصيلاً وعلى لسان ابن سعود نفسه فى ذات العام رداً على سوء الـ من ( فيلبى John. Philby ) فى هذا الصدد بأن عدد الرقيق الافارقة يتراوح بين ٤٠.٢٥ ألف من الذكور والاناث على حد سواء فى كافة انحاء المملكة من بينهم ٢٠.٠٠٠ بالحجاز فقط (٢٧) فى مختلف المدن والبادية على النحو التالى :

مكة المكرمة ٣.٠٠٠ الوجه / ينبع / موانى الحجاز الشمالية / الطائف / المدينة ٥٠٠.٠٠٠ جدة ١.٠٠٠ القنفذة / جيزان / موانى عسير ١٠.٠٠٠ رابع ٥٠٠.٠٠٠ المناطق البدوية بالحجاز ٥٠٠.٠٠٠ (٢٨)

ويبدو أن ابن سعود أراد الاستهانة والتقليل من حجم اعداد الرقيق تخلصاً من الضغوط المتتالية عليه من قبل البريطانيين ، لذا فاننا نميل - مع تحفظنا - الى ما أورده ( حمزة ) من أرقام تقريبية باعتباره أكثر اتصالاً بحقيقة الواقع ، ولنا على الأرقام التى وردت بالمصادر البريطانية كمؤشر لمدى كثافة الاعداد بعض الدلائل كمايلي :

أولاً :

كثرة الرقيق بالمناطق القريبة من موانى وصولهم ثم ندرتهم داخلها بصورة نسبية .

ثانياً :

استحواژ البدو - بعد ذلك على النسبة الاكبر من أعداد الرقيق لحاجة هؤلاء لاعداد كثيرة بغية العمل فى نطاق الحركة الاقتصادية للبدو اذا جاز لنا التعبير ، ولنظرة البدو المتدنية لبعض الحرف كرقابة الماشية والحدادة مثلاً ، فتركوها للرقيق .

ثالثاً :

استحوزت ( مكة المكرمة ) على النسبة الاكبر لاعداد الرقيق التى

---

(٢٦) حمزة - المصدر السابق - ص ١٩٧ .

- F.O. 141/497, Ryan's Memoyandum.

- Ibid.

(٢٧)

(٢٨)

احتوتها المدن الحجازية نظرا لكونها المصب الرئيس لقوافل الحجيج،  
التي كانت مواسمه تتخذ ستارا للمتاجرة الداخلية بالرقيق .

#### رابعاً :

تزايد اعداد الرقيق بصورة ملحوظة بمناطق الاضطراب والبعيدة  
نسبياً عن يد السلطة .

وامتد نفس التصارب في أرقام الرقيق حتى منتصف ق "٢٠" فعلى  
حين قدرتها بعض المصادر العربية بنحو "٧٠" ألفاً عام ١٩٥٢ ، ونلاحظ  
هنا زيادة الرقم عما كان عليه ١٩٣٣<sup>(٢٩)</sup> فقد قدرتها المصادر الغربية  
بين ١٢٥ و ١٣٥ ألف . وأعادت المصادر الأمريكية صاحبة ذلك الرقم  
تلك الكثرة الى عدم قدرة النظام السعودي على ضبط مثل هذه المسائل<sup>(٣٠)</sup>

وتعتبر مكة المكرمة من أكبر وأشهر مراكز تسويق الرقيق بالحجاز  
تليها المدينة المنورة ثم أماكن تجمعات البدو ، وتنشط تلك المراكز  
في حركتها التجارية قبيل وبعد فترة الحج لاختلاط أهل الحجاز بغيرهم  
من القادمين . وتقام الاسواق بالاماكن البعيدة عن أعين السلطة ، على  
أطراف الأسواق العامة وفي المحلات بصورة غير مباشرة ، ويتم البيع  
والشراء بطريقة شبيهة بالمزاد العلني - أي لمن يدفع أكثر<sup>(٣١)</sup>  
وبصورة لم تختلف كثيراً عما كانت تتم به منذ القدم .

وأسعار الرقيق بالحجاز في النصف الأول من " ق ٢٠ " ، لم يكن  
لها سعر محدد بل كانت تختلف اختلافاً بينا ، من وقت لآخر في موسم  
الحج أرخص من أي وقت طيلة العام . فقد تراوح في موسم حج ٣٣ / ١٩٣٤  
ما بين ١٥ و ٢٠ جنيهاً استرلينياً للبالغ من الذكور وفي موسم عام  
١٩٤٩م ما بين ٢٣ ز ٣٠ جنيهاً استرلينياً<sup>(٣٢)</sup> والفارق في الثمن يرجع  
الى عامل القوة الجسدية وصغر السن وهو مفضل عن الأكبر سناً . بل  
كان شراء الرقيق يتم أحياناً بالمقايضة أو على سبيل الهدايا .

---

(٢٩) ديوان ولي العهد - رسالة من الديوان الى عبد الله الفيصل -  
وزير الداخلية - رقم ٦١/٨٦٨٥ مؤرخة ١٧٢/١٩٥٢ هـ .

(٣٠) D.S.A., 890-0/170-1892, Libraries in Saudi Arabia, Memorandum from American Embassy on Jil Jidda, 21/6/141.

(٣١) F.O. 141/497, Op.Cit., 15/5/1434.

D.S.A. 890-1892, Op.Cit., 21/6/1949

ويعيش أغلبه الرقيق بالحجاز ، ضمن اطار الاسرة ، أو العشيرة بمفهومها لدى أغلبية سكانه ، فبالرغم من انعدام حقوقهم المدنية بالإضافة الى توقعهم بأدنى درجات السلم الاجتماعى تقول بعض المصادر ( سنوك هور نجرنجه ) فى حديثه عن أوضاع الرقيق بالبلاد العربية : ( ان وضع الرقيق فى البلاد العربية سعيد ولطيف ، وإذا كان السيد مما يخاف الله ، فإنه يحرر كثيرا من عبيده ويرفق بهم بعد العتق ولا يتركهم للفاقة بل ويهبهم مالا ويزوجهم ، أن هؤلاء الافريقيين لا يحقدون لأنهم أصبحوا أرقاء للعرب البدو ، فهم يعيشون مع أسيادهم كأنهم من أفراد عائلاتهم (٣٣) ثم يحدد معاملة الجوارى بمكة المكرمة فيقول ( ان السراى الحبشيات فى مكة المكرمة أسعد من النساء الحرائر فقد كان مالكوهن يعاملونهن بما تقضى به التقاليد الاسلامية وكان أولاد الاماء يتساوون مع أولاد الحرائر ) (٣٤) .

ويمكن تقسيم المهام التى قام بادائها الرقيق بالحجاز على النحو التالى :

- أولا : المهام الأمنية والعسكرية .
- ثانيا : الأعمال الحرفية من خلال مخدوميهم .
- ثالثا : الخدمة المنزلية .

\* فأما المهام الأمنية والعسكرية :

فقد لوحظ اسناد مهام الحراسة الشخصية لزعماء الحجاز الى رقيقهم فأحاط الشريف نفسه بما يزيد عن المائة منهم كحراس ، وسار ابن سعود على نفس المنوال فكان يحيط به وبقصره وفى حله وترجاله وما ارتبط به من مكاتب ومستلزمات شؤونه الخاصة وإدارة الجيش ومساكن لخمسين أو ستين زنجيا كانوا خدما وحراسا للقصر فى وقت واحد (٣٥) وتميز هؤلاء بالحذر والشدة مع كل متعاملى وزائرى القصر .

- 
- (٣٣) الترماني ( د عبد السلام ) - الرق - ماضيه وحاضره - سلسلة عالم المعرفة رقم ( ٢٣ ) ط ٢ - الكويت ١٩٨٥ - ص ٦٩ - ٧٠ .
  - (٣٤) نفس المصدر - ص ٦٩ .
  - (٣٥) المانع ( محمد ) - توحيد المملكة العربية السعودية - ترجمة د. عبدالله العثيمين - الرياض ١٩٨٢ - ٢٢١ .

وامتدت نفس الظاهرة الى كبار الاسر كآل الصنيع وباناجه وآل زينل وآل مهنا وغيرهم ، وان تناقص العدد المحيط بهم فلم يتجاوز أصابع اليد الواحدة .

ولم تقتصر مهام الرقيق الامنة عند الحدود الشخصية بل تعداه الى حراسة المنشآت العامة كجنود للشرطة ، فقد استمرت ظاهرة اسناد حراسة منشآت ميناء جدة ، والمراكز الادارية بمدن الحجاز من عهد الاشراف الى عهد عبد العزيز بن سعود الى هؤلاء الارقاء الافارقة . وكان أبرز تلك المهام ، حراسة المقدسات الاسلامية بالحرم المكي ومسجد الرسول بالمدينة المنورة (٣٦) فجميع حرس تلك الاماكن كانوا من ( الاغوات ) وهم من الافارقة المنحثين - الذين ارتبطوا بأسادهم مالبا واجتماعيا ، ووقعوا في حالة وسطى بين الاسترقاق والتحرر ، وقدمهم مالكوهم خدمة للأماكن المقدسة ، وعاشوا في جماعات معزولة تماما عن بقية فئات المجتمع الحجازي (٣٧) .

ووصل أحد الارقاء الى رتبة الامارة في عهد الشريف حسين بن علي ، فحينما كان ( نوري الشعلان ) شيخ عشائر ( الرولا ) يحكم الجوف عام ١٩٠٩ ، فقد تولى الامارة - كنائب له - مولى يدعى ( عامر المشورب ) من رقيق آل الشعلان ، ووفقا لما أورده حمد الجاسر ( فقد أساء هذا الرجل السيرة باعتدائه على الحرمات وتسخيره أهل السلدة ببناء القصر ) (٣٨) .

وعقب اعلان اسم المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ ضم الكثير من الرقيق الافارقة الذين كانوا من حرس الاشراف أو ممن اشتراهم عبد العزيز ، ليكونوا نواة لجنود وجهاز الشرطة وبلغ عددهم بمدن الحجاز الرئيسية - عام ١٩٣٣ - ما يقرب من الثلاثمائة جندي (٣٩) .

واستمر هؤلاء الجنود بذلك الحهاز طيلة حياتهم حتى صدور قرار

---

- Baker (Rondall), King Hussein and the Kingdom of Hajaz Paris- 1978- PP. 87/93.

(٣٧) صحيفة الندوة - السنة ٢٣ - العدد ٧٦٣٣ - ٢٦ أبريل ١٩٨١ .

(٣٨) الجاسر ( أحمد ) في شمال غرب الجزيرة - الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٢٩ .

(٣٩) أم القرى - السنة - العدد ٤٩٧ ( نظام مديرية الامن العام ) ٢٢ يولية ١٩٣٤ .

عام ١٩٦٢ بالغاء الرقيق - على أن رواتب الجند من هؤلاء الأرقاء الأفارقة في تلك الفترة الأولى من بناء الجهاز الأمنى لم تتجاوز الثلاثين ريالاً - في أغلب الأحيان - صرفت لهم مقابل مآكلهم ومستلزمات حياتهم الخاصة ، وهى بالمستوى العام ، ثقل كثيراً عما كان يحصل عليه جنود الشرطة اليمانية ، وعللت وزارة المالية هذا الاتجاه عام ١٩٤٠ بالقول : ( انهم - أى الرقيق الأفارقة - كثيراً ما يهربون أو يخرجون من الخدمة لأسباب صحية ) (٤٠) .

وامتدت مساهمة الرقيق الى المسائل العسكرية الفعالة عند منعطف التحول لعبد العزيز خاصة فى مواجهة بعض حركات التمرد التى واجهته فى البدايات الأولى لاعلان المملكة العربية السعودية ، وكانت أبرز تلك المساهمات للرقيق فى فتنة ابن رفادة (٤١) عام ١٩٣٢ ، فقد عقدت زعامة القوات المرسله لمقاتلة هذا الرجل الى المسئول العسكرى لأمن عبد العزيز وكان من الرقيق ويدعى ( حلوان ) مع عدد من الجند الأفارقة التابعين أيضاً لعبد العزيز وبلغ عددهم ما يزيد على أربعمائة - واستطاعت تلك القوات القضاء على التمرد (٤٢) .

ولعل ابن سعود فى اعتماده على هؤلاء الرقيق فى تلك المواقع يعود بالدرجة الأولى - كما يعتقد الى خشيته من الاعتماد على قبائل الحجاز - حديثه العهد بحكم عبد العزيز - فى مواجهة ابن رفادة وقبائل الشمال - فيشتد عودها ويشجعها بعد ذلك على مواجهته - نفسه بعد ذلك .

---

(٤٠) أرشيف وزارة المالية - رسالة مديرية المالية الى السائب العام للملك بالحجاز رقم ١٩٤٠/١٣٥٩ م .  
(٤١) هو حامد بن سالم بن رفادة من شيوخ قبيلة ( بلى موطنهم الاساسى حول ( الوجه ) شمالى اقليم الحجاز ، واتحد معها مقاماً له ، وعقب اعلان اسم المملكة أعلن ابن رفادة خروجه عن التأييد لعبد العزيز والتبعية له وجمع حوله أكثر من خمسمائة مقاتل ، ثم رحل نحو قرى ( الشريح ) و ( الخريبة ) و ( تريم ) وأخضعها وأسر أمراءها . وفى اواخر ربيع الاول ١٣٥١ هـ ١٩٣٢م - بعث ابن سعود بقواته بقيادة ( حلوان ) الى سفح جبل ( سار ) على مقربة من ( ضبا ) وانتهت المعركة بقتل حامد بن رفاده واسيه (فالح) و(حامد) ! انظر ( خير الدين الزركلى - الوحيير فى سيره الملك عبد العزيز - بيروت ١٩٧١ - ص ١٥٦/١٥٧ .

لقد كانت المهام الأمنية والعسكرية التي مارسها بعض الأرقاء، تقوم على دافع الاخلاص والارتباط الشخصي لسادتهم ، دون دافع آخر، اما لكسب رضاه أو طمعا في الخروج من حالة الاسترقاق التي يعيش فيها هذا من ناحية (٤٣).

ومن ناحية أخرى ، فقد لاحظنا أن اعتماد الاشراف ثم ابن سعود في النصف الاول من "ق.٢٠" على الرقيق في المسائل الأمنية والعسكرية قد تبلور في مراحل عدم الاستقرار مع تطلعاتهما المتباينة ، الأول لانقسامها داخليا ثم انصرافها الى القضايا العربية ، والثاني لحداثة موقفه الداخلي ، ولكون هؤلاء الرقيق بعد ذلك أداة طيعة الى حد كبير من هؤلاء المسؤولين في بيئة اتسمت بتناقض اتجاهات هؤلاء والتأييد .

#### ثانيا : الأعمال الحرفية :

ونظرا لاحتقار البدو خاصة وأهل الحجاز عامة للأعمال الحرفية، فقد أوكلوا تلك الحرف الى غيرهم من الاجانب ، ونال (التكرور) النصيب الأوفى في هذا الصدد وأضحوا أداة للمالكيم لمزيد من الأموال والريح، عندما يترك السيد رقيقه لممارسة حرفة ما نظير مبلغ معلوم بصورة يومية أو اسبوعية ، فمارس الافارقة الحدادة - والنجارة والجزارة يل احتكر هؤلاء دون غيرهم حرفا بعينها كصناعة ( الخسف ) القائمة على اشجار النخيل وصنع بعض الاواني منها (٤٤) ، كما أن بعض الحرف التحويلية كطحن القمح والتوابل وتعبئة البضائع كانت من نصيبهم (٤٥) .

وانتشرت في أسواق مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة ، وبين العائلات الكبرى التي اتخذت من التجارة حرفة لها كآل زينل وآل المنيع أعدادا كثيرة من الرقيق الافارقة كمساعدين لهم في نشاطهم التجاري عن طريق مباشر أو غير مباشر ، فنقل البضائع وحراستها ومتابعة رواد

- Lebkicker (Ray), and George Rentz, Aramco Hand-book Arabian American Oil Co., 1960, PP. 46/49. (٤٣)

(٤٤) صحيفة البلاد السعودية - العدد ٦٧١ - ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز - محمد علي مغربي في ١٩٨١/٤/١١ - الطلقة "٢١" .

- F.O. 141/497/1934. (٤٥)



المحال أوكلت الى هؤلاء المساعدين ، على أن الأكثرية من الرقيق استحوذهم العمل الزراعى ورعى الماشية من خلال عملهم لدى القبائل البدوية ، ففى ( وادى فاطمة ) بالقرب من المدينة المنورة شوهـد العديد من الأفارقة بالمزارع الخاصة ، وظف الماشية حول المدينة واعتبرتهم بعض المصادر سببا رئيسيا فى الحفاظ على مصادر الثروة الحيوانية والزراعية بالحجاز مع بداية الاستغلال السيئ لهذا النشاط الرعوى بالاقليم عقب الحرب العالمية الثانية (٤٦) .

لقد ساعد وجود ( التكرور ) داخل البنيان الاجتماعى للحجاز على الحفاظ على موازين النشاط الحرفى والاقتصادى بنفسى القدر الذى ساعد فيه طبعة هذا التكوين على استمرارية استقدام واستقطاب الرقيق بالمنطقة واستطاع مجتمع الحجاز استقطاب أعداد وفيرة من هؤلاء الافارقة الارقاء فى فترته الانتقالية بصفة خاصة عقب الحرب العالمية الاولى وحتى منتصف القرن "٢٠" ، وفى حياته الاقتصادية حرفيا وتجاريا وزراعيًا لتتوقع نفسه بين مفاهيم اجتماعية أبعدته عن مزاوله بعض الحرف وبين حاجته للبناء عقب الثلاثينات من القرن ذاته .

وباختصار يقول محمد لسب البتانونى فى كتابه الرحلة الحجازية :

( وفى جميع هذه الأسواق - بقصد أسواق مكة - ترى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتى ورائها ربح عظيم . ومدار حركة الأشغال الشاقة فى مكة على العبيد فمنهم الحمالون والخطابون والحمارون والجمالون والسقائون والخدامون - ولقد كان للرقيق بمكة سوق كبيرة - شم يستطرد مع تحفظنا فيقول :

( أخذ أمرها - أى السوق - ينمى شيئا فشيئا حتى كاد لا يكون له أثر بالمرة ) (٤٧) .

ومن ذات المفاهيم الاجتماعية نبعت ظاهرة استخدام الرقيق بكثرة فى الخدمات المنزلية ، وهو الشق الثالث من الأنشطة التى راولها

---

- F.O. 76, Totchill (J.D.), Report to the Govern- (٤٦)  
ment of Saudi Arabia on Agricultura Development, Dec.1952.  
(٤٧) البتانونى ( محمد ليب ) - المرحلة الحجازية - ط ١ - القاهرة  
١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م - ص ٦٥ .

الرقيق ، وهو جانب قديم كان أساسيا لاستقدام الرقيق الافارقة. وان اشترك معهم فى هذا الشق المصدر الآخر من الآسيويين .

فعادة ما يحتفظ الأغنياء بواحد أو اثنين ذكرا أو أنثى للقيام بالخدمات المنزلية ، فيوكل الى الذكور منهم بالاضافة الى أعمال الحراسة للرجال ، حمل المباخر وتقديم المشروبات واعداد الموائد (٤٨) أما الأنثى - فهن أتعسحظا من الذكور - وكثيرا ما اشترك معهن بعضا من الآسيويات - من القوقاز - بصفة خاصة - فى تلك المهام . وليس لدينا تحديد واضح لاعداد هؤلاء - لعدم وجود بيانات احصائية ، أو لارتباط هذا الغموض - بتقاليد الحياة بالحجاز عامة التى ترى فى الحفاظ على أمر النساء أمرا لا يجب الخوض أو البحث فيه .

فبالاضافة الى كون النساء عامة أسرى تقاليد المجتمع والبيت بصورة خاصة ، فقد ارتبطت الجوارى بأعمال النسوة وملازمتهن، فلايتزوجن مثلا الا بموافقة سيد البيت واذا سمح لهن بذلك ، فتكون الزيجة لعبد أيضا يختاره سيدها بنفسه ، واذا ما أنجبن أطفالا فكثيرا مايعرضون للبيع بالأسواق أو يقدمون كهدايا لذوى القربى (٤٩) .

أما ( السراى ) اللاتى يتزوجن من سبدهن ، فهن أفضل حالا من ( الجوارى ) - وان كانوا أقل درجة من ( الحرائر ) . فيعتق أطفالهن اذا أنجبن ، وأمتلك الشريف حسين عدد منهن (٥٠) ، وكذلك ابن سعود ، وأوردت بعض المصادر اعداد ما أملكه الأخير فزاد عددهم عن المائة (٥١)

#### \*\* نوافذ تحرير الرقيق :

وتعرض هؤلاء الأرقاء - وخاصة من الطائفة التى عملت بالمنازل -

- Harrison, P.W., The Arab at Home, London, 1924, PP. (٤٨ 101/104.
- Howarth (David) Op.Cit., P. 131. (٤٩)
- (٥٠) المركز الوطنى للوثائق ببغداد - ٧٤٩٠م انواع تقرير عن أحوال المملكة - ٣ مارس ١٩٣٢ - ولمزيد من التفاصيل - أمين سعيد ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم - القاهرة - ١٩٣٣ - ص ١٢٤ .
- D.S.A. 840-F-191-The Family of Ibn Saud Despatch (٥١) of U.S. Vice Consul, Aden, to the Sec. of State, 15/8/1930. ولمزيد من التفاصيل - انظر كذلك :
- Armstrong (H.C.), Lord of Arabia, Beirut, 1454, P.137.

لمعاملة غير انسانية في معظم الأحيان (٥٢) خاصة قبيل انعكاس المردود المالى للبترول - ولهذا السبب شهد الحجاز كثيرا من حالات الفرار اراما الى الصحراء فأخلوا بأمن دروبها .

وعلى سبيل المثال ، أصدرت وزارة المالية عام ١٩٤١ ، منشورا الى كافة المخافر والمراكز المنتشرة على الطرق ، بضرورة الحذر واليقظة ، لانتشار النهب من قبل قطاع الطرق ومن ( التكرور ) الفارين بصفة خاصة (٥٣) .

وبالاضافة الى الصحراء ، كانت القنصلية البريطانية بجدة ، تشجع الرقيق على ذلك باعتبارها مؤثلا لدعوات التحرر من الشرق ، وأوردت القنصلية في تقريرها عام ١٩٣٤ - اعداد الرقيق الذين لجأوا اليها فبلغ عددهم ٢٠٩ بلغ عدد الرجال منهم ١٥١ والباقي من النساء (٥٤)

على أن الفرار لم يكن السبيل الوحيد للخروج من حالة الرق فقد عرف الحجازيين أنفسهم العديد من الوسائل لاعتاق رقيقهم طواعية على النحو التالي :

#### ١ - العتق :

وهو أبسط أنواع التحرر ، ويتم بدون مقدمات أو شروط معينة ، وانما يقوم به الرجل طواعية وبدافع الشفقة أحيانا أو كفارة لذنبا أتاه تبعا لما تحدده الشريعة الاسلامية .

#### ٢ - التدبير :

وتتم تلك الحالة ، عند وفاة مالك العبد دون وريث له من الدرجة الاولى ، عندئذ يصبح العبد حرا بصورة تلقائية ، وقد جرت عدة محاولات لقتل بعض السادة من

---

(٥٢) - Disch (Jorgen), Behind the Veil of Arabia, Translated from Danish by George Allen, London, 1962, pp.6/18.

(٥٣) أرشيف وزارة المالية - منشور من الوزارة الى كافة المخافر ومراكز الشرطة - بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .

(٥٤) - F.O. 141/497/15/5/1934.

قبل عسدهم أملا فى الحصول على الحرية<sup>(٥٥)</sup> . ويسمى  
المحرر حينئذ باسم ( المدير )<sup>(٥٦)</sup> .

### ٣ - الكتابة :

وهو النوع الأكثر شيوعا فى الحجاز ، عندما يوافق  
مالك العبد على اعطاءه الحرية عند جمع مبلغ من  
المال حال قيامه ببعض الاعمال الحرفية ، وهو فى  
العادة مبلغ يعادل ما اشترى به العبد مضافا اليه  
جزءا من الأرباح يرجع تقديرها الى السبد نفسه ، ويسمى  
المعتق فى هذه الحالة باسم ( المكاتب ) .

### ٤ - الاستيلاء :

وهو الأسلوب الذى تنفرد به الاماء للحصول على حريتهن  
فعندما تتزوج الأمة من رجل حر ، يصبح أطفالهن اذا  
أنجبن أحرارا بصورة تلقائية ويطلق على ذريتها اسم  
( المولد )<sup>(٥٧)</sup> .

وفى كافة الحالات ، وحتى يصبح العتق سارى المفعول وبصورة رسمية  
فلا بد أن يصحبه اعلان ، عن طريق منادى يوجب شوارع المدينة - وعشائر  
القبيلة بأن فلانا أعتق عبده ، وأنه حر الارادة فى مسكنه وعمله ،  
ويماحب ذلك أيضا شهود يوقعون على وثيقة مكتوبة . فى شكل عقد - يتم  
تسجيله بالمحكمة الشرعية بالمدينة ، أو يحفظ لدى القاضى ، بعدها  
يصير الرجل حرا .

ولما كانت المحاكم الشرعية حتى قيام الحرب العالمية الثانية  
منوط أعمالها الى أفراد ، وتعرض ما لديها من أوراق وسجلات للأهمال  
والضياع ، فليس لدينا احصاء واضح يمكن الاستدلال به على أعداد من

---

٥٥ الجزيرة - السنة ١٩ - العدد ١٦٧ - حديث الذكريات - مع أشهر قصاص الاثر  
فى الجزيرة العربية - الشيخ صالح العرق - ٢١ ذى الحجة ١٤٠٢ هـ / ٨ / ١٠ / ١٩٨٢ .

٥٦ F.O. 141/497/15/1934.

٥٧ Ibid.

وانظر كذلك :

- Sheesman (R.E.), Unknown Arolisa, London, 1926, P.68.

اعتقوا من الرقيق ، وان ذكرت بعض المصادر أعدادا تقريبية لحالات العتق ، فذكرت أن متوسطها قد تراوح سنويا بين ستمائة وثمانمئة حالة ، وانها بلغت عام ١٩٤٢ م تسعمائة حالة تقريبا (٥٨) .

أما على الصعيد الرسمي ، فقد ظل الشريف حسين بمنأى عن اتخاذ خطوات جدية أو توقيع معاهدات أو اتفاقيات رسمية مع بريطانيا للحد من تلك التجارة أو اتخاذ خطوات داخلية تمكن من القضاء على الظاهرة وظلت تعهداته الشفهية بالقضاء عليها عديمة الجدوى لم ينفذ منها شيئا (٥٩) ولم تحاول بريطانيا من جانبها الضغط بالقوة تجاه المسألة مع انصراف الجمع نحو قضايا أخرى بعيدة عن الأوضاع الداخلية بالحجاز ، ومع تعدد التوجهات السياسية لديه بين الاتراك وانجلترا وفرنسا وإيطاليا .

وعندما حسمت الأمور نهائيا في منتصف العشرينات تقريبا بين الأشراف وابن سعود ، لم يكن الأخير أكثر قدرة عن سلفه في مواجهة الرق لأسباب عديدة من بينها :

#### أولا :

تباين البناء الاجتماعي للسكان بصورة عامة ، والحجاز بصفة خاصة وخشية عبد العزيز نفسه الدخول مع من أخضعهم في صراع منذ البداية ، مما يخلق معه العديد من المشاكل هو في غنى عنها ، وما زالت قوى سيطرته حينئذ وحتى منتصف "ق ٢٠" واهية وعلى كافة المستويات داخلها وعلى المستوى الاسلامي - متكاه - خارجيا (٦٠) .

#### ثانيا :

ان ابن سعود نفسه كان يعتمد منذ بداية سيطرته على الحجاز على قوى تقليدية من كبار التجار وروضاء القبائل وكان هو

- 
- F.O.84/783, Bond's Mem. to Sir H.V. Biscine, (٥٨) 3/9/1942.
  - Bullard (Reader), The Camel Must, London, 1958, (٥٩) PP.136/138.
  - Halliday (Fred) Arabian Without Sultans, London, (٦٠) 1474, P.35.

نفسه بوضعه الذاتى وليد تلك القوى بخصائصها التقليدية بل أحد أعمدها الرئيسية وكان الاعتماد على الرقيق وعلى مالكيهم مطلباً ملحا لتدعيم سلطاته فى الاستمرار والبناء حتى منتصف " ق ٢٠ " مع بداية انعكاس الموارد البترولية على أقاليم المملكة بصفة عامة (٦١) .

ثالثاً :

وإذا كان عبد العزيز قد استطاع الى حد ما أن يتفق بمصالحه وأهدافه مع بعض عناصر المجتمع الحجازى ، ويسيطر الى درجة معقولة على منافذ مملكته - فقد كان الوصول بذلك التأثير لقوة الحكم وسيطرته - الى تجمعات البدو خاصة على أطراف الحدود - أمراً مشكوك فيه - بل كان أمراً مستحيلاً (٦٢) .

ولتلك الاسباب السابقة ظلت المادة السابعة من معاهدة جدة بين بريطانيا وابن سعود فى ٢٠ مايو ١٩٢٧ - حبرا على ورق - بالرغم من نصها بالقول ( يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق ) (٦٣) كما ظل الملحق الثالث لتلك المعاهدة عديم الجدوى - لما ورد فى نصوص من معان وأسابيل الاتجار التى وردت فى هذا الشأن .

ويبدو أن بريطانيا قد استشعرت عجز ابن سعود - أو عدم حماسه فى مواجهة هذه المسألة . فاعادت الكرة عليه مرة أخرى عن طريق قنصليتها بجدة عام ١٩٣٢ م . وجاء رد عبد العزيز أيضا فى شكل رسالة بعث بها الى الحكومة البريطانية ، ولم تخرج عن مجال الأمنيات

- 
- Aramco, Report From Research Department of Saudi (٦١) Arabian Agency Statistical summary Vol.I March,1464.
  - D.S.A. 890-0/170-1842 Libraries in Saudi Arabia (٦٢) Memorandum from American Embassy 21/6/19499.

(٦٣) وزارة الخارجية السعودية - مجموعة المعاهدات والاتفاقيات ١٩٢٢/ ١٩٣١ - ط ١ - مكة المكرمة ١٣٥٠ - وانظر كذلك امين سعيد - تاريخ

والتطلعات التي يرغب فيها للقضاء على الرقيق والملفت للنظر حديثه في تلك الرسالة عن صعوبة احكام قبضته على المنافذ الجنوبية للحجاز حيث تفد أعداد ضخمة من هؤلاء عبر الدروب الجبلية من عسرواليمين (٦٤) وهو لذلك - لا يستطيع تحمل المسؤولية وحده - تجاه هذا التسرب (٦٥).

ويبدو أن ابن سعود استشرح حرج موقفه بين الدول الأوروبية ومتطلبات موقفه الداخلي تجاه استمرار الرقيق بالحجاز ، فتكرر ذات البند بملحق معاهدته مع ايطاليا في ابريل ١٩٣٢ - وأضاف اليه بأنه سوف يفتح الابواب ويشجع السبل لعنت الرقيق الأفريقي من خلال جهوده مع ايطاليا في اليمن وعلى الساحل الأفريقي (٦٦) .

كما أن الضغوط البريطانية بصورة خاصة توقفت عند هذا الحد ، فلم تعد هناك اهتمامات من قبلها للضغط على النظام السعودي تجاه تلك المسألة ، اعتقادا بوصول الأطراف المعنية الى قناعة مفادها صعوبة احكام القبضة حول الاسترقاق و ( ترك عامل الزمن يقض على الرقيق القديم ، لأن أصحاب الرقيق كانوا يتذرعون بأن الاسلام لم يحرم الرق ) على حد تعبير بعض الآراء (٦٧) .

وهكذا استمرت هذه الظاهرة تسير سيرها الطبيعي حتى نهاية النصف الأول من " ق ٢٠ " وبداية عهد الملك سعود ، عندما أحلت على البلاد مقدرات جديدة داخليا وخارجيا .

داخليا بفعل انعكاس المردود السترولي وخلق فئات جديدة ، كان أبرزها ( العمال ) ، مع بعض العناصر المثقفة التي استطاعت بلورة جماعات من ( التقدميين ) في مواجهة فريق آخر من المحافظين (٦٨) ، وقاد الأول فيصل بن عبد العزيز والثاني الملك سعود ، وانعكس الصراع

---

(٦٤) F.O. 141/497/E 3764, Mom-on Slavery in Saudi Arabia by Sir Ryan 1/6/1934.

(٦٥) F.O. 141/497, Op.Cit.

(٦٦) وزارة الخارجية السعودية - مجموعة المعاهدات - المصدر السابق - انظر كذلك - امين سعيد - تاريخ الدولة السعودية - الرياض ١٩٨١ - ص ٢١١ .

(٦٧) عسة (احمد) معجزة فوق الرمال ، ط ١ - بيروت ١٩٧٢ - ص ٣١٧ .

(٦٨) العقاد ( د . صلاح ) - المشرق العربي المعاصر - ط ١ - القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٥٧٥ .

بينهما فى صورة توالى رئاسة الوزارة والاستقالة منها من قبل فيصل عدة مرات حتى كانت الحرب اليمنية ، والتوجس من زحف الاتجاهات الثورية لتأكد انتصار هذا التيار بدعوة أنصاره لرئاسة الوزارة مرة ثالثة فى بداية نوفمبر ١٩٦٢ م متضمنا بيانها الغاء الرقيق بصورة مطلقة كما جاء فى البند العاشر على النحو التالى :

( ومن المعروف أن موقف الشريعة الاسلامية من الرق يحث على فك الرقاب ، ومن المعروف أيضا أن الرقيق الموجود فى العصر الحاضر قد تخلفت فيه كثير من الشروط الشرعية التى أوجبها الاسلام لباحة الاسترقاق فقد واجهت الدولة السعودية منذ تأسيسها مشكلة الرق وعملت بجميع الوسائل التدريجية على القضاء عليه فمنعت أول الأمر استيراده وفرضت العقوبات على ذلك ، ثم منعت موعرا بيعه أو شراؤه ، وتجد الحكومة الآن الفرصة مواتية لأن تعلن الغاء الرق مطلقا وتحريم جميع الأرقاء واستعوم الحكومة بتعويض من بثبت استحقاقه التعويض (٦٩) .

أما المقدرات الخارجية فقد انصرفت بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية التى بدأت زحزحة نفوذ الأولى بصورة تدريجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، نحو اهتمامات استراتيجية أكثر شمولا من التركيز نحو مسائل - لا تتوقف فقط عن الحدود الانسانية بل شملت بصورة أكثر أهمية الموارد الاقتصادية والموقع الاستراتيجى لمنطقة الخليج ومع انسجام هذا الاتجاه من قبل القوى الخارجية مع الأفكار التحررية عربيا التى شجعتها مصر آنذاك ، سارع النظام السعودى للانضمام الى ميثاق حقوق الانسان عام ١٩٦٢ (٧٠) .

\* \* \* \*

---

٦٩) أم القرى - السنة الاربعون - العدد ١٩٤٤ - ( البيان الوزارى لسياسة الداخلية للأمير فيصل بن عبد العزيز رئيس الوزراء

- ٩ نوفمبر ١٩٦٢ م .

- Howarth, Op.Cit., P. 132.

(٧٠)



\* المصادر \*

أولا : الوثائق العربية :

أ - السعودية :

١ - وثائق ديوان ولي العهد - رسالة الى عبدالله الفيصل وزير الداخلية - ١٣٧٢ هـ .

٢ - وزارة الخارجية السعودية - مجموعة المعاهدات والاتفاقيات ١٩٢٢ / ١٩٣١ - ط ١ - مكة المكرمة - ١٩٣٥ .

٣ - وزارة المالية - وثائق عامى ١٩٤٠ / ١٩٤١ .

ب - العراقية :

المركز الوطنى للوثائق ببغداد - م ٧٤٩٠ واع - تقرير عن أحوال المملكة - ١٩٣٢ .

ثانيا : الوثائق الأجنبية :

1) Department of State Archives National Archives and Records, Washington (U.S.A.)

1- 890-F.00/8, Crowing Modernization of Hejaz ,1928.

2- 890-F-191, The Family of Ibn Saud, 1930.

3- 890-0/170-1892, Libraries in Saudi Arabia,1949.

2) Public Record Office, (P.F.O.)

1- 371/10874, Anglo-Italian Conversation Regarding South West Arabian, 1933.

2- 371/177, Missionary Work's in Hejaz, 1933.

3- 141/497, Mem. on Slavery in Saudi, 1134.

4- 84/783, Mem. of Mr. Bond, 1936.

5- 76/ Totchill Report to the Government of Saudi Arabia on Agricultural Development, 1952.

) Aramco

Report from Research Department of Saudi Arabian Agency Statistical Summary Vol. 1, March, 1964.

نالشأ : المراجع العربية والمترجمة :

- (١) أحمد عسه - معجزة فوق الرمال - ط ١ - بيروت - ١٩٧٢ م .
- (٢) أحمد محمود المعمرى - عمان وشرق أفريقيا - ترجمة محمد أمين عبد الله - نيودلهى ١٩٧٩ م .
- (٣) أمين سعيد - تاريخ الدولة السعودية - الرياض - مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز - ٩ - ٠ .
- (٤) شسيجر ( ولفرىء ) - رمال العرب - ترجمة - نجدة هاجر وآخسر - بيروت ١٩٦١ م .
- (٥) حمد الحاسر - فى شمال غرب الجزيرة - الرياض - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٦) خير الدين الزركلى - الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز - بيروت ١٩٧١ م .
- (٧) دكتور زاهر رياض - الاستعمار الأوربى لأفريقسا - القاهرة ١٩٦٠ م .
- (٨) سعد بن على المغيرى - حبينة الأخسار فى تاريخ زنجبار - مطرح - ١٩٨٦ م .
- (٩) سليمان موسى - الحركة العربية - ١٩٠٨ / ١٩٢٤ - ط ٢ - بيروت ١٩٧٧ م .
- (١٠) دكتور صلاح العقاد - المشرق العربى المعاصر - ط ١ - القاهرة ١٩٧٠ م .
- (١١) دكتور عبد السلام الترماسنى - الرق - ماضيه وحاضره - سلسلة عالم المعرفة رقم ( ٢٣ ) - ط ٢ - الكويت - ١٩٨٥ م .
- (١٢) دكتور عبد العزيز عبد الفنى ابراهيم - علاقة ساحل عمان ببريطانيا - الرياض ١٩٨٢ م .
- (١٣) دكتور عبد الله يوسف الفسّم - كتاب - كتاب جزيرة العرب مس الممالك والمسالك للبيكرى - تحقيق ودراسة - ط ١ - الكويت ١٩٧٧ م .
- (١٤) مؤاد حمرة - قلب جزيرة العرب - ط ٢ - الرياض ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- (١٥) فليس ( وىءل ) - ناربح عمان - ترجمة محمد أمين عبد الله - عمان ١٩٨٣ م -

- (١٦) محمد المانع - توحيد المملكة العربية السعودية - ترجمة د. عبد الله العثيمين - الرياض - ١٩٨٢ م .
- (١٧) محمد بن أحمد عيسى العقيلي - المخلاف السليماني - ج٢ - القاهرة ١٩٦٦ م .
- (١٨) محمد لبیب البتانونی - الرحلة الحجازية - ط ١ - القاهرة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .
- (١٩) وايدندر ( دونالد ) - تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء - ج ١ و ٢ - القاهرة ١٩٧٦ م .

رابعا : المراجع الأجنبية :

- 1- Aitchison (C.M.), A Collection of Treaties Engagement and Sands Relating of India and the Neighbouring Countries, London, 1980.
- 2- Armstrong (H.C.), Lord of Arabia, Beirut, 1954.
- 3- Baker (Randall), King Hussein and Kingdom of Hejaz, Paris, 1978.
- 4- Bullard (Reader), The Camel Must, London, 1958.
- 5- Cheesman (R.E.) Unknown Arabia, London, 1926.
- 6- De Gaurry, Rullers of Mecca, London, 1950.
- 7- Disch (Jorgen), Behined The Veil of Arabia, Translated From Danish by: George Allen, London, 1962..
- 8- Halliday (Fred), Arabia Without Sultans, London, 1974..
- 9- Harrison (P.W.) The Arab at Home, London, 1924.
- 10- Howarth (D.) The Desert King, London, 1944.
- 11- Lebkichier (Ray), Aramco Handbook Arabian American Oil Co., London, 1960.

خامسا : الصحف :

- ١ - البلاد السعودية - الاعداد من ٦٧٠١ الى ٦٧١٥ - مارس / ابريل ١٩٨١ م .
- ٢ - الجزيرة - السنة ١٩ - العدد ١٦٧١ - الرياض عام ١٩٨٢ م .
- ٣ - الندوة - السنة ٢٣ - العدد ٧٦٣٣ - مكة المكرمة - ١٩٨١ م .
- ٤ - أم القرى - السنة ٧ - العدد ٣٣٤ - جدة ١٩٣١ م .
- السنة ١٠ - العدد ٤٩٧ - يونيو ١٩٣٤ م .
- السنة ٢٠ - العدد ١٩٤٤ - نوفمبر ١٩٦٢ م .

\*\*\*

محمد مندور وفكره

الاجتماعى والسياسى

د. اسماعيل محمد زين الدين

كلية الآداب - جامعة القاهرة

عقب انتهاء الحرب العالمية. الثانية كان المجتمع المصري يعاني أزمة اجتماعية حادة ، حيث كان نحو ثلثى الأرض الزراعية فى مصر أما مركز فى أبدى بضع مئات من كبار الملاك ، أو مقسم على حوالى مليونين من الملكيات الضئيلة التى لا يزيد متوسطها عن بضع قراريط .

وبينما استطاع كبار الملاك والرأسماليين زيادة ثروتهم ابان فترة الحرب ، عانت مختلف فئات المجتمع الكثير من المصاعب والمآعب المادية نتيجة لارتفاع أسعار الحاجات والسلع الضرورية الناجم عن ارتباط العملة المصرية بالعملة الاسترلينية ، وكثرة الضرائب غير المباشرة ، واطلاق مواد التموين من التسعير الجبرى ، بالإضافة الى التجاوز أحيانا عن قيود مراقبة الاسعار وتحديد الارباح بالنسبة للمنتجين ، وغياب السياسات الاجتماعية من قبل الحكومات المتعاقبة .

ومع تفاقم المسألة الاجتماعية ، نتيجة لسوء توزيع الثروات بين أفراد المجتمع ، كانت الحاجة ماسة الى اعادة تغيير هذه الاوضاع وقد لعب المثقفون من أبناء الطبقة الوسطى ، الذين تأثروا بالافكار الاشتراكية التى شاعت خلال الحرب الثانية وفى أعقابها ، دورا هاما فى طرح الافكار الخاصة بعلاج الأزمة الاجتماعية من خلال الصحف والمجلات وتقديم بعض الدراسات ، وحمل فريق آخر عبء المطالبة بالاصلاح للحيلولة دون حدوث هزات اجتماعية . وكان من بين هؤلاء الدكتور محمد مندور ، الذى آمن بفكرة الاصلاح عن طريق الاقناع ، وامكانية تطوير المجتمع ، بانتقاد العيوب والأمراض الاجتماعية التى كانت سائدة آنذاك ، وتقديم الحلول الملائمة لأوضاع المجتمع المصرى ، مع الرفض التام للرواية البرالية لتحقيق هذا الاصلاح المنشود . وكانت لكتابات الاجتماعى والسياسية فيما بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٥٢ أثرها فى مسار الحركة الوطنية ، حيث كانت دعوته الى الربط بين القضية الوطنية ، ممثلة فى الاحتلال الانجليزى ، والقضية الاجتماعية ممثلة فى استغلال الاقلية من الاجانب

والمصريين للاغلبية الساحقة من أفراد المجتمع . ومن ثم فقد وقف منذ البداية لشير وينيه الجماهير الى ان الاستقلال السياسى ليس وحده هو الهدف من حركة التحرر الوطنى ، بل يجب تحقيق الاستقلال الاقتصادى والعدالة الاجتماعية بين المواطنين ، مؤكدا عدم جدوى الاستقلال السياسى ، دون ارتباطه بالعدالة الاجتماعية . وكان من بين الرواد الذين دعوا الى ضرورة التدخل لتوجيه الاقتصاد المصرى لتطوير الانتاج القومى ، تحقيقا لمصلحة المجتمع ، فكانت دعوته الصريحة الى الأخذ بمبدأ اشتراكية الدولة للتخلص من الاستغلال الاجنبى وشبه الاجنبى والمصرى لمصادر الثروة فى البلاد . كذلك كشف الدكتور مندور فى العديد من مقالاته السياسية عن عيوب الديمقراطية الغربية التى كانت تقلدها مصر آنذاك ، دون دراسة حقيقية لواقع وظروف المجتمع المصرى وفى مقابل اعتراضه على الديمقراطية الغربية ، كانت دعوته المتكررة الى الديمقراطية الاجتماعية التى تحفظ للفرد كرامته وحريته وتحقق العدل والمساواة بين كافة أفراد المجتمع .

ونظرا للدور الهام الذى لعبه محمد مندور داخل حزب الوفد ، فقد آثرنا القاء الضوء على أفكاره السياسية والاجتماعية ، من خلال مقالاته العديدة التى نشرت بجريدة الوفد المصرى والبعث وصوت الأمة ورابطة الشباب<sup>(١)</sup> .

### النشأة والتكوين :

ولد محمد عبد الحميد مندور فى ٥ يوليو عام ١٩٠٧ فى كفر مندور بالقرب من منيا القمح بالشرقية . وقد حمل هذا الكفر اسم العائلة لأن جده كان يقيم فى بلدة كبيرة قريبة من هذا الكفر يطلق عليها " التلين " ، وكان له فيها سنك يتخذة مقرا لتجارة القطن والحبوب فضلا عن الزراعة التى كانت حرفته الاملية ، وكان رجلا ناجحا فى عمله الزراعى والتجارى ، فقد ترك عند وفاته ٤٥٠ فداناً تفتت بين أبنائه الذكور العشرة وابنته الوحيدة ، ومن بين هذه الفدادين تكون هذا

---

(١) توفي الدكتور محمد مندور فى ١٩ مايو ١٩٦٥ . وجدير بالملاحظة أن لمحمد مندور مقالات أخرى تتضمن بعض هذه الأفكار نشرت فيما بين عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤٣ بمجلات الرسالة والثقافة .

## الكفر الذى حمل اسم العائلة (٢) .

وقد تأثر محمد مندور بالجو الروحانى الذى كانت عليه الاسرة مما جعله يحرص على حفظ أكبر قدر من آيات القرآن الكريم . وقد دفعه الى تعزيز هذه القيم الروحية فى نفسه ، بعد أن غرسها والده فى قلبه ، قيام جده بوقف خمسة وعشرين فدانا لاعمال البر ودور العبادة . وكان لهذه النشأة الاولى فى تلك الاسرة الريفية المحافظة على القيم والتقاليد وتعاليم الدين الاسلامى أثرها فى حياته ، حيث جعلته يتمسك بالقيم الاخلاقية ويحافظ عليها دائما مهما كلفه ذلك من ثمن . كذلك أخذ عن أستاذه - الدكتور طه حسين - الشجاعة فى ابداء الرأى ولاشك ان وفاء هذه القيم هو الذى جعله يفضّل بدور هام داخل يسار حزب الوفد ، رافضا اغراءات الرشوة التى عرضها عليه كبار الملاك وأثرياء الحرب من الرأسماليين بعدما ضاقوا ذرعا بانتقاداته العنيفة لهم . ورغم أنه اضهد وسجن مرات عديدة ، وكان أطولها وأشقها على نفسه يوم اعتقل وسجن ٤٦ يوما فى قضية الشيوعية ، التى لفقها اسماعيل صدقى لخصومه من العناصر الوطنية ، فقد استمر فى نضاله السياسى والاجتماعى متحملا فى سبيل ذلك الكثير من المضايقات والمضايقات والمعنوية . ولم يثنأ يوما عن متابعة الفساد الذى تغشى فى مصر خلال تلك الفترة ، موضوع الدراسة ، نتيجة لاستغلال النفوذ من جانب المسؤولين ، وسوء توزيع الثروات ، وأتى بالعديد من الوثائق والمستندات التى تثبت صحة ذلك .

وحين بلغ محمد مندور الخامسة من عمره أرسله والده الى كتاب الشيخ عطوة بأرض وقف الأسرة ، حيث تعلم من هذا الشيخ القراءة والكتابة والحساب وحفظ بعض آيات من القرآن الكريم ، ثم انتقل بعد ذلك الى مدرسة الألفى الاستدائية بمنيا القمح ، وفى أثناء دراسته هذه اندلعت ثورة ١٩١٩ . ويروى محمد مندور احدى قصص بطولة شهداء الثورة ، حين تعرض لمذبحة " بحر موسى " والتى قتل فيها حوالى ١٥٠ شهيدا من الفلاحين برصاص قوات الاحتلال الانجليزى ، نتيجة قيامهم بمظاهرة تهتف بسقوط الانجليز . وقد حاول سكان قرية مندور الانتقام لهذه المذبحة

وذلك بتدمير سكة حديد الحكومة التي كانت تحمل القوات البريطانية الى جميع انحاء البلاد لقمع الثورة ، غير أن رسولا من قبل أحد كبار الملوك ( محمد عثمان باشا ابازة ) جاءهم من بلدة قريبة يخبرهم بعدم موافقة الباشا على خروجهم لتحطيم السكة الحديد ويحذرهم من مغفلة هذا العمل ، مما ترتب عليه تقاعسهم ، استجابة لأوامر الباشا والعودة الى منازلهم (٣) .

اجتاز محمد مندور امتحان الشهادة الابتدائية عام ١٩٢١ ، ولما كانت الزقازيق عاصمة مديريته لم تنلها بها مدرسة ثانوية بعد ، فقد التحق بالقسم الداخلي بمدرسة طنطا الثانوية ، واستمر بها الى أن حصل على البكالوريا من القسم الأدبي عام ١٩٢٥ ، وكان ترتيبه الثاني عشر على البلاد رغم أنه فعل لفترة غير قصيرة في السنة النهائية نتيجة لتزعّمه حركة المظاهرات واضراب الطلبة ضد الانجليز وحكومة زيور ، التي خلفت حكومة سعد زغلول اثر مقتل السردار الانجليزى " سير لى ستاك " .

وفى عام ١٩٢٥ افتتحت الجامعة المصرية ، فالتحق محمد مندور بكلية الحقوق لتحقيق حلمه الكبير ، وهو العمل وكبلا للنياحة فى أحد المراكز ، غير أن استاذة الدكتور طه حسين استطاع أن يقنعه بالالتحاق بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، بالاضافة الى دراسته بالحقوق ، بعد أن رآه يبدي استعدادا وموهبة أدبية ، وتعهد باعفائه من مسروفات كلية الآداب ، خاصة ان ليس ثمة صعوبة تجمع بين الالتحاق بالكلتين فى آن واحد ، حيث كان الطلاب يدرسون معا فى السنة الاولى برنامجا تحضيريا فى الأدب والتاريخ وعلم النفس والاجتماع واللغات القديمة ، هذا بالاضافة الى أن الدراسة بعد السنة الأولى كانت فى الصباح بالحقوق وبعد الظهر بالآداب . وهكذا استطاع طه حسين أن يوجه محمد مندور الى مجال الأدب ، على الرغم من انصرافه فى بدء حياته الى دراسة القانون بكل رغباته (٤) .

حصل محمد مندور على ليسانس الآداب فى عام ١٩٢٩ وكان ترتيبه

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٤) محمد مندور : فى الميزان الجديد ، الطبعة الثالثة ، المقدمة .



الأول ، فأرسلته الجامعة المصرية ضمن بعثتها إلى السوربون بفرنسا ، بعد أن مكث بمصر عام آخر لدراسة اللغة الفرنسية ، تمكن خلاله من الحصول على ليسانس الحقوق في عام ١٩٣٠ ، نظرا لأن مدة الدراسة بها كانت خمس سنوات . وعادته الفكرة من جديد بعد أن جاء ترتيبه بين الأوائل ، واستدعى بالفعل لتحقيق حلمه الكبير ، ولكنه بعد تردد فضل السفر في البعثة إلى باريس على التعيين وكيلا للنيابة في أحد المراكز (٥) .

وكانت السنوات التسع التي أمضاها في فرنسا فيما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٩ سنوات لتقليب جذوره الفكرية والاستقرار داخل ثقافة موسوعية . ومنذ أن سافر إلى فرنسا حتى وضع لنفسه خطته الخاصة في الدرس والتحصيل وكان في تلك الخطط ما لا يتمشى مع الخطط الرسمية ، ولقى من ذلك بعض العنت من المسؤولين عن البعثة . قبلاضافة إلى حصوله على اجازة الأدب واللغتين اللاتينية واليونانية ، حصل على شهادة للعلوم القانونية والاقتصادية ، في الوقت نفسه كان يحضر أطروحة الدكتوراة عن النقد العربي القديم (٦) ، ولكنه لم يتمكن من الحصول عليها ، نتيجة لتوتر الأوضاع السياسية في أوروبا آنذاك والاحساس بشبح الحرب ، ففضل العودة إلى مصر دون الانتهاء من رسالته ، لبقدمها بعد ذلك إلى الجامعة المصرية - جامعة القاهرة حاليا - بإشراف استاذة أحمد أمين في موضوع " تيارات النقد العربي في القرن الرابع الهجري " ، نال بها درجة الدكتوراه عام ١٩٤٣ . وقد اتاحت دراسته القانونية والاقتصادية قدرا من المعرفة لمذاهب الاقتصاد وفلسفته والنظم الضريبية والتشريع المالي ، مما كان لها أكبر الأثر في تكوينه الثقافي كما وفرت له المنطلق الأساسي ، والقدرة الفائقة في الرد على خصومه من ممثلي الرأسمالية .

#### العلاقة بين محمد مندور وحزب الوفد :

مرت العلاقة بين محمد مندور وحزب الوفد بمرحلتين : بدأت المرحلة الأولى منذ الفترة المبكرة من حياته ، فبالإضافة

---

(٥) فؤاد دارة ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ .  
(٦) محمد يرادة : محمد مندور وتنظير النقد العربي ، ص ٢٩ .

الى تزعمه حركة اضرابات ومظاهرات الطلبة ضد الانجليز وحكومة زيور  
التي خلفت حكومة سعد زغلول على اثر مقتل السردار " سرلى ستاك ".  
بدأ منذ عام ١٩٣٦ ، عندما كان لا يزال طالبا فى باريس ، ينشر سلسلة  
من المقالات فى الصحف الفرنسية يعبر فيها عن تعاطفه مع حزب الوفد  
الذى كان بالحكم آنذاك ، ويدافع عن حق مصر فى الغاء المحاكم  
المختلطة ، وينبه فيها رأى العام الفرنسى الى ان معارضة حكومتهم  
فى الغاء الامتيازات الأجنبية بمصر ستجعلهم يخسرون وضعهم الأدبى فى  
مصر وحب أهلها لهم . وقد قادته هذه المقالات الى الدخول فى خصومة  
جدالية مع السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية الذى كان  
يرأس وفد بلاده فى مفاوضات " مونترى " ، واستمر ذلك سجالا بين الطرفين  
حتى شاب الفرنسيون الى رشدهم وسلموا بما لم يكن منه بد وهو الموافقة  
على الغاء الامتيازات الأجنبية . وقد تابعت السفارة المصرية هذه  
المساجلة الهامة وأبلغتها الى وزارة الخارجية فى القاهرة (٧) . وكانت  
وجهة النظر التى يدافع عنها محمد مندور مطابقة لوجهة نظر حزب الوفد  
الموجود فى الحكم آنذاك .

وحين مر الوفد المصرى للمفاوضات بباريس عائدا من لندن عكس  
توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، التقى به محمد مندور ، مغتنما الفرصة لتوسيط  
مكرم عبيد ، وزير المالية آنذاك والعضو البارز فى الوفد ، حتى حصل  
من جديده على منحة الدراسة الموقوفة بقرار جائر اتخذه مدير البعثة  
المصرية فى باريس . وقد استجاب مكرم عبيد لطلبه خاصة وان مقالاته  
المنشورة بالصحافة الفرنسية أفادت فى التعريف به عند أعضاء الوفد (٨) .

أما المرحلة الثانية من هذه العلاقة فقد بدأت عقب عودته من  
البعثة ، حيث كان يعد عدته للعمل بسلك التدريس بجامعة القاهرة -  
كلية الآداب ، ثم وقع الصدام بينه وبين سلطات الاحتلال الانجليزى ممثلا  
فى المستر " وادل " Wadl رئيس قسم اللغات الأوروبية القديمة ،  
حين رفض الأخير قيام محمد مندور بتدريس اللغة اليونانية وآدابها  
والتي تخصص فيها ، بحجة اضطرابه الى الاحتفاظ بمقاعد التدريس

(٧) فؤاد نواره : المرجع السابق ، ص ٦٨٥ .

(٨) محمد براده : محمد مندور وتنظير النقد العربى ، ص ٦٨ .

بالقسم للذين تخرجوا من الجامعات الانجليزية ، أو لتلاميذه من خريجي القسم . وكان لهذه الحادثة أثرها في موقف محمد مندور من الاحتلال الانجليزي فيما بعد ، حيث نشر مقالا يحمل عنوان " الاستعمار الثقافي " هاجم فيه أسس السياسة الاستعمارية البريطانية ، موجها نقده إلى سيطرة السياسة على الثقافة ، وتدخلها فيها واتخاذها وسيلة للاستعمار وأوضح أنه ليس من المعقول أن تستخدم انجلترا نفوذها السياسي في مصر لكي تحايي المصريين الذين يتعلمون في انجلترا دون غيرها من بلاد الثقافة الأخرى . وكذلك تدخلها في السياسة الداخلية عن طريق الضغط على الحكومة المصرية لارسال بعثاتها اليها فقط دون الدول الأخرى . وقد قاده هذا المقال العنيف ضد السياسة البريطانية ، وموقف الحكومة الاستسلامي ، إلى التحقيق معه من جانب النيابة (٩) .

ثم حدث خلاف آخر بينه وبين استاذة الدكتور طه حسين ، مما اضطره إلى تقديم استقالته في منتصف عام ١٩٤٤ لينجه إلى العمل بالمحافة كرئيس تحرير جريدة " المصري " التي كان يملكها محمود أبو الفتح إلا أن خلافاً سنه وبين محمد مندور ، أعاده إلى البطالة ودوامه المتاعب المادية التي يعرفها كل من لا يقبل الخضوع والاستسلام .

ويروى محمد مندور قصة اختلافه مع محمود أبو الفتح وبالنسبة لبعاده عن الجريدة ، ليصبح متعطلاً أكثر من أربعة أشهر ، لا مورد له الا قدر ضئيل من العقود ، لقاء ما كان يكتبه من مقالات في مجلات الرسالة ، والثقافة ، ومن تدريس بعض المحاضرات بمعهد السيل الذي افتتح مسائياً عام ١٩٤٤ بقوله : " حدث ان كانت هناك قضية كسرة معروضة على القضاء بسبب اعتناق أحد كبار الاثرياء الأفاط الديني الإسلامي لكي يطلق زوجته ، قطعت الزوجة في اسلامه بعد السحايل على طلاقها ، وولدت عنها المحامي عزيز خانكي ، الذي لم يكن بالاحساب والمذكرات التي قدمها للمحكمة ، بل نشر في جريده الاهرام معالطبرا يطالب فيه بإصدار شريع بحرم تغيير الدين . وأرسل هذا المقال فكبت رداً عليه اسكر فيه أن بعد السريع إلى صير الاسرار . وقرر عليه دين معين ، لأن نطاق المصير لا يحور للمصرح أن يصححه . . . نك -

محمود أبو الفتح رفض نشر المقال في " المصري " فأخذته وذهبت على الفور الى جريدة الاهرام حيث قابلت انطون الجميل وطلبت منه أن ينشر ردى في نفس المكان الذى نشرت فيه مقالة عزيز خانكى ، فرحب بذلك ونشر المقال بالفعل . فكان ذلك ايذاًنا بغضلى من الجريدة ، ولم يكن قد مضى على بدء عملى بها أكثر من ثلاثة أشهر (١٠) .

على أن الاقدار عادت بمنذور مرة ثانية الى العمل تحت جناح حزب الوفد كرئيس تحرير لصحيفة الوفد المصرى ابتداءً من فبراير ١٩٤٥ ، ثم عضوا بالهيئة الوفدية اعتباراً من أغسطس ١٩٤٧ (١١) .

ففى أعقاب اقالة حكومة الوفد فى اكتوبر ١٩٤٤ ، صدرت صحيفة " أخبار اليوم " وأعلنت سياستها فى مناصرة الملك ضد الوفد الممثل وقتذاك للشعب . وأخذت تنشر سلسلة من المقالات الصاخبة بعنوان : " كيف فسدت العلاقات بين الوفد والسراى " ، تشنع فيها على الوفد وسياسته وتشيد بالملك وتسرف فى مناصرته وتتصدى لمصطفى النحاس زعيم الحزب باشع التهم مستهدفة استنزاف كل رصيد شعبى للحزب ولزعيمه . وكان للسعديين مجلة صغيرة " بلادى " يصدرها محمود سمهان ابن أحد كبار الهيئة السعدية ، الذى كانت تربطه علاقة بمحمد مندور منذ اقامتهم سوياً بباريس بعض الوقت ، فاغراه مندور بنشر مقال فى مجلته رداً لما تنشره " أخبار اليوم " ، اسماء " الأوراق المفرأء " فقام محمود سمهان بنشر المقال كافتتاحية لمجلته ، فكان بمثابة قنبلة انفجرت فى الوسط السياسى كله - على حد تعبير مندور - ، مما ترتب عليه استدعاء الحزب لمحمود سمهان وتأنيبه تأنيباً شديداً ، وفى الوقت نفسه رضى حزب الوفد ورئيسه مصطفى النحاس عن المقال رضاً شديداً ، واعتبروا كتابته ضد أخبار اليوم وضد السراى جرأة لا مثيل لها ، وتم اسناد رئاسة صحيفة الوفد المصرى له اعتباراً من فبراير ١٩٤٥ .

وبالاضافة الى رئاسته لتحرير " الوفد المصرى " ، أصدر محمد

---

(١٠) فؤاد دواره ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .  
(١١) صوت الأمة ، العدد ٣١٢ ، ٢ أغسطس ١٩٤٧ .

مندور مجلة على نفقته الخاصة ، كانت متواضعة ، أطلق عليها " البعث " صدرت أسبوعية منذ ديسمبر ١٩٤٥ ، ضمت العديد من الكتاب التقدميين كسلامة موسى وطه حسين ومحمود عزمى الذى غذى المجلة بمقالات اسبوعية تتناول السياسة الدولية وأثرها على أوضاعنا الداخلية . وقد اهتمت " البعث " بأوضاع الطبقة العاملة المصرية ومشاكلهم مع أصحاب العمل والنفوذ . كذلك انفردت " البعث " برسم صورة واقعية لاحوال المجتمع المصرى وما يعانيه من الفقر والمرض والحرمان والجهل ، نتيجة لغياب السياسات الاجتماعية من قبل الحكومات المتعاقبة . واتخذت عنوانا لذلك يحمل " نماذج بشرية " حيث صورت فئات عديدة من أفراد المجتمع تتضور جوعا وتعانى الكثير من أمراض سوء التغذية والمعيشة . وقصد استمرت البعث فى صدورها حتى أصدر صدقى قرارا بغلقها مع غيرها من الصحف التقدمية فى يوليو ١٩٤٦ (١٢) .

ومنذ هذه الفترة أصبحت صحيفة الوفد المصرى مركزا لتجمع حركة تقدمية داخل حزب الوفد نفسه ، ضمت العديد من الشباب الوفديين التقدمي كعزيز فهمي ومحمود عزمى وكثير غيرهم من شباب الطليعة الوفدية الذين تأثروا بالافكار الاشتراكية التى شاعت خلال تلك الفترة وبدأت تتبلور فى أذهان هذه الفئة الحاجة الى ضرورة اعادة تركب المجتمع . وربطت ذلك بالكفاح ضد الاستعمار والاستغلال الأجنبى .

وكانت هذه العناصر التقدمية بمثابة همزة الوصل بين الحزب بقيادته الوطنية التقليدية ، وبما تسرب اليها من نفوذ كبار الملاك ، وبين الجماهير الأكثر وعيا . فكانت صحيفة الوفد المصرى هى المنبر الذى يجمع بين أهداف الوفد التقليدية فى الاستقلال والحرية ، وبين مطالب الجماهير فى العدالة الاجتماعية فى ظروف بدأت تتكشف عن أزمة طبقية حادة بين الحاكمين والمحكومين . وكان هذا الاتجاه التقدمى الذى تزعمه محمد مندور بالوفد المصرى ينظر للوفد باعتباره تجمعا سياسيا عريضا يقوم على أساس تحقيق الاستقلال والحرية والدفاع عنهما . ويرى فى هذين المطلبين الأساس الذى يجب أن تبدأ به أى من خطى التقدم

(١٣)

الاجتماعى . ويرى فى ضرب الوفد وقوع لمصر فى أيدي الرجعية والاستعمار . ومن الملاحظ أن هذه الفئة التقدمية داخل حزب الوفد كانت توجه نقدها لحكومات الأقلية ، دون أن تتخطاها الى الدعائم السياسية للنظام كله الذى يقف الملك على قمته . وكان هذا هو الاطار الذى ترسمه قيادة الوفد التقليدية لنشاط الحزب ، فكان على هذه العناصر التقدمية أن تلتزم به .

وإذا كان محمد مندور قد وضع بين شعارات صحيفة الوفد المصرى " العدالة الاجتماعية " ، فقد كان مدفوعا فى ذلك بنزعة اصلاحية خالصة تدعوه الى مناصرة العدل بين المواطنين وتقريب المسافة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع الذى كان يتردى فيه الملايين من أبناء هذا الشعب ، بالإضافة الى ايمانه بالاصلاح عن طريق الاقناع ، وامكانية تطوير المجتمع والنهوض به وفقا لامكانياته اذا حسنت النوايا .

وكان البرنامج الاصلاحى الذى دعا اليه محمد مندور يحقق رغبات الامة فى النهوض والتقدم وامكانية التطور والتحرر من التبعية السياسية والاقتصادية ، مستمدا فى ذلك نموذج قريب من الاشتراكية الديمقراطية كما اكتشفها وأعجب بها عن قرب عند " ليون بلوم " خلال اقامته بفرنسا (١٤) ، لذا فقد كان عليه الانضواء تحت حزب سياسى لامكانية تحويل هذا البرنامج الى سياسات يتبناها هذا الحزب من خلال وجوده فى السلطة . وقد رأى أن حزب الوفد بشعبيته الجماهيرية هو الموئل لقيادة الحركة الوطنية ، والدفاع عن الحريات والدستور ، بالإضافة الى السير وفقا لمبدأ اشتراكية الدولة (١٥) . كتب محمد مندور بشير الى " أن الوفد لا يحجم عن بسط رقابة الدولة على الاعمال الاقتصادية المختلفة ، تحقيقا للعدالة الاجتماعية بين المنتجين

---

١٣) طارق البشري : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٣٩ .

١٤) محمد برادة ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

١٥) كان محمد مندور فى دعوته الاصلاحية يشبه الدور الذى يقوم به الوفد لخدمة الجماهير بالدور الذى يلعبه حزب العمال البريطانى آنذاك .

والمستهلكين وبين أصحاب رؤوس الأموال والعمال ، كما أنه يعمل على رد شركات الاحتكار الى الدولة بمجرد انتهاء فترة امتيازاتها بالإضافة الى تنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال ، بتلك التشريعات التى سنها ، مع تسليحهم بقانون النقابات لتمكينهم من مقاومة استبداد أصحاب رؤوس الأموال ، وقد وضع الوفد الاحزاب التى تلتته فى الحكم أمام خطوات اشتراكية ديمقراطية كتقرير مجانية التعليم ، وتغذية الطلبة الزاميين فى بلاد يتضور فيها هؤلاء الطلبة وآباؤهم جوعاً ومرضاً . فالوفد اذن اشتراكي النزعة ، وستزداد تلك النزعة وضوحاً ، وسيعم هذا المذهب سياسته ، لانه حزب الشعب ، الذى بلغ من البؤس أقصاه ، ولن تصلح أموره بغير النظرية الاشتراكية العادلة" (١٦)

لقد كان محمد مندور يحلم وآخرون من أصحاب ذلك الاتجاه التقدمى الى دفع الوفد لسلوك سياسة أكثر تقدمية من ناحية الاصلاحات الاجتماعية غير أن قيادة الحزب من الجناح اليميني عارضت هذا الاتجاه الذى كان يمثل خطراً على مصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

#### الموقف من الرأسمالية :

حين أعلن صدقى عقب تأليفه الوزارة خلفاً للنقراشى فى فبراير ١٩٤٦ ، أنه سيرفع مستوى الشعب بتنمية الانتاج ، وأنه سيقوم بمشروع كبير يقضى بعقد قرض وطنى بخمسين مليوناً من الجنيهات لمحاربة ثلوث الفقر والمرض والجهل . تصدى له الدكتور مندور ، مذكراً إياه ، بعدم اشارته الى مشكلة سوء توزيع الثروة فى مصر ، وكشف مزاعم تلك السياسة الرأسمالية التى ترضى مصالح الرأسماليين ، بأن تفتح لهم باباً جديداً لاستثمار أموالهم المعطلة ، مع إيهام الشعب بالعمل على رفع مستواه . وطالب بفرض ضرائب تصاعدية على كبار الأثرياء ، لتوفير الموارد المالية اللازمة لمعالجة الفقر والمرض والجهل ، دون إرهاق حقيقى لهؤلاء . وأضاف ان مثل هذه القروض التى تعقدها الحكومات لا تصرف فى الابواب التى تغذيها الميزانية العادية كمسائل الفقر

---

(١٦) البعث ، ١٦ مايو ١٩٤٦ . الوفد المصرى ، العدد ٢٤٥٦ ، ٤ يوبه ١٩٤٦ ، رابطة الشباب ، العدد ١٥٩ ، ٢٤ أبريل ١٩٤٧ .

والمرض والجهل ، وانما تعقد مثل هذه القروض للمشروعات الانتاجية التى تستفيد منها الاجيال اللاحقة الى جوار الاجيال الحالية ، ويكون فى هذا ما يبرر تحملها لسداد تلك القروض على مدى السنين . واما ان يعقد قرض لعلاج امراض جيل بالذات ثم تحمل الاجيال اللاحقة عيئها ، فذلك ما لا يمكن أن يقول به أحد . ونوه بأن بلادنا كمصر لا تبلغ فيها الضرائب مهما علت حدا لا يتجاوز ١٢ / لا يفهم أحد كيف نلتجئ الى القروض لتنمية ميزانيتنا ومواجهة الفقر والمرض والجهل (١٧) .

ومنذ هذه الفترة بدأ محمود مندور فى مهاجمة سياسة الرأسمالية فى مصر والتى كانت تسعى الى استنزاف وامتصاص دماء الشعب . ونادى بضرورة اصلاح النظام الضريبى وتقرير مبدأ التصاعد فيه ونه الاغنياء وأثرياء الحرب الى أن من مصلحتهم ذاتها أن يقبلوا التضحية بشئ من أموالهم الوفيرة حتى لا تسوء الأمور فتكون تضحياتهم أعظم . وكشف عن الطرق التى تحتال بها الشركات الاجنبية لاستغلال نفوذ المسؤولين وبعض الباشوات ، حتى تتمكن من خلالهم تحقيق مصلحتها الاستغلالية مع ضمان التمتع بالحماية من جانب هؤلاء . وأتى بالعديد من الوثائق والمستندات التى تثبت صحة ذلك (١٨) .

وزيادة فى فضح سياسة الرأسمالية فى مصر ومدى استغلال المسؤولين لنفوذهم ، قام بنشر سلسلة من المقالات البارزة بصحيفة الوفد المصرى، اعتمد فى كتابتها على تقرير سنوى كانت تصدره الجالبات الاجنبية فى مصر باللغة الفرنسية بعنوان " حولية الشركات " ، وقد تضمنت هذه الحولية بيانات لميزانيات الشركات والمرتببات التى يتقاضاها أعضاء مجالس الادارات من الباشوات الرأسماليين ، دون أن يبذل هؤلاء شيئا من العمل أو الجهد لقاء تلك المكافآت الضخمة والتى زادت على المائة

---

(١٧) كتابات لم تنشر ، دار الهلال ، العدد ١٧٦ ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣ و جدير بالملاحظة أن محمد مندور كان يرى بوجوب تطبيق مبدأ التصاعد فى الضرائب على الثروة العقارية والمنقولة ، وان يعم هذا المبدأ نظامنا المالى كله .

(١٨) الوفد المصرى ، ٣ يونيه ١٩٤٦ .



الف جنيه سنويا لبعضهم (١٩) . وقد نوهت هذه الدراسة عن الشركات الموجودة بمصر آنذاك ، بأن هناك طائفة من الباشوات الرأسماليين يشتركون في عضوية مجالس ادارة العديد من هذه الشركات ، وانهم بفضل اشتراكهم في عدد كبير من هذه الشركات ، ونتيجة لما يجنونه من وراء ذلك ، فانهم يستخدمون نفوذهم ، بحكم مراكزهم في الميدان السياسى سواء في الحكومة أو البرلمان لتحقيق مصالح هذه الشركات ، وتقديم الكثير من التسهيلات لها على حساب الشعب (٢٠) . وقد ظهرت تلك الاثار بوضوح حين عارض هو<sup>١</sup> قانون الشركات ، على الرغم من تواضعه ، ومن الشغرات الواسعة التى تركت فيه ، باعتباره يحد من نفوذهم واستفادتهم من وراء هذه الشركات .

وكان من بين احكام هذا القانون الذى ووجه بحملة قوية مديرة من الجانب وممثلى الرأسمالية المصرية عدم جواز الجمع بين عضوية مجلس الادارة في أكثر من ست شركات وعضويتها المنتدبة أو رياستها في أكثر من شركتين وتحريم عودة الوزراء الى عضويتهم في مجلس الادارة قبل انقضاء ثلاث سنوات من تركهم الوزارة . دون أن يكون هناك نص صريح بقضى بتحريم الاسهم المصرية والحصص العينية التى كانت تمنحها الشركات لذوى النفوذ كرشوة مستترة تمهيدا لتعيينهم أعضاء في مجالس ادارتها ، تماما كما فعلت شركة الغاز المصرية Sep حين أعطت اسماعيل صدقى ٢٥٠ سهما يدفع ثمنها من حصته في الأرباح المستقبلية للشركة (٢١) .

---

(١٩) جاء في مذكرة المسيو جيانوتى عن صلة صدقى بشركة الغاز المصرية Sep أنه قد حصل عند تكوين الشركة على ٢٥٠ سهما يدفع ثمنها بالتقسيط من حصته في الأرباح المستقبلية . وكانت قيمة السهم اربعة جنيهات وبالتالي فقد كان مقدار اكتتابه الاسمى في الشركة الف جنيه . وقد اتاح له ذلك الحق في ان يصبح عضو مجلس ادارة شـم رئيسا لمجلس ادارتها فيما بعد . حول تفاصيل هذه الشركة انظر ، صوت الأمة ، العدد ٢٤١ ، ٤ مايو ١٩٤٧ . مقال بعنوان " كيف تستغل الشركات نفوذ بعض الباشوات " .

(٢٠) الوفد المصرى ، ٦/٣ ، ٦/١١ ، ١٩٤٦/٦/١٢ . سلسلة مقالات بعنوان " الباشوات الرأسماليون " .

(٢١) صوت الأمة ، العدد ٢٤١ ، ٤ مايو ١٩٤٧ .

وفى مجال تمصير هذه الشركات ، لم ينص هذا القانون الا على مسألة واحدة فقط وهى أن يكون ٧٥ ٪ من موظفى الشركة ، ٩٠ ٪ من عملها من المصريين على أن تكون نسبة مرتباتهم ٦٥ ٪ ، ٨٠ ٪ على التوالى ، دون أن يتعرض الى أخطر ناحية فى التمصير ، وهى تمصير رؤوس الاموال المستخدمة فلم يشترط هذا القانون على أن تحتجز للمصريين نسبة مئوية يجب أن تكون على الاقل اكثر من النصف من رأسمال الشركة (٢٢) . وحتى النص على نسبة المصريين الموظفين والعمال سعت الشركات الاجنبية لدى الحكومة المصرية لاصدار قانون التجنس بالجنسية المصرية حتى تضمن بقاء الاجانب كما هم مع تغيير جنسياتهم وتمصرهم شكلا (٢٣) . ولما عرض المشروع على البرلمان فى بداية ١٩٤٧ هاجمه بشدة كبار رجال المال المرتبطين بالاستعمار ، وكتب محمد أحمد فرغلى ( من كبار مصدرى القطن ) ينيه الى الاثار المشؤومة التى تترتب على القانون بسبب تغيير مجالس الادارة واقضاء الكثير من المؤسسين والاعضاء القدامى ذوى الكفاية والخبرة ، واقترح أن يستثنى على الاقل من أحكام هذا القانون مؤسسو الشركات القائمة ومن يساهم فى تأسيس شركات جديدة بما لا يقل عن عشرة آلاف جنيه ، وكان يقصد بهذه الاقتراحات ابقاء قبضة هذه الفئة من كبار الرأسماليين على الاقتصاد المصرى . وكان قد عارض قبل ذلك ما نص عليه المشروع من منع تعيين الوزراء السابقين الا بعد ثلاثة أعوام قائة : " ان هذا الحكم غير ديمقراطى ولا يجد سوابق له الا فى حكم المانيا الهلرية " (٢٤) .

وكان من بين الذين تناولتهم الدراسة اسماعيل صدقى وتوفيق دوس وحسين سرى وحافظ عفيفى وحسن صادق ومحمود شكرى وسابا حبشى وأحمد صديق ومحمد أحمد عبود - وواضح أن اغلب هؤلاء كانوا ينتمون الى الهيئة السعدية والتى كانت تعبر عن مصالح الرأسمالية وتدافع عن مكاسبها . وقد اعتبر صدقى ان هذه المقالات من شأنها الدعوة الى

---

(٢٢) أوجب هذا القانون ألا يقل رأس المال المصرى فى أية شركة عن ٥١ ٪ مع اعفاء الشركات التى استقبل القانون المقترح من نسبة رأس المال المصرى التى يوجبها وذلك حتى تنتهى مدتها فيراعى التزام النسبة عند التجديد .

(٢٣) رابططة الشباب ، العدد ١٥٩ ، ٢٤ ابريل ١٩٤٧ .

(٢٤) طارق البشرى ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

قلب النظام الاجتماعى ، وان ذلك يؤدى الى اشغال حرب الطبقات ، فرد عليه مندور بان السياسة التى تنتهجها حكومته الحالية بنوع خاص هى التى يخشى ان تؤدى الى حرب طبقات مخيفة نتيجة لازمة البطالة التى تشكو منها البلاد من جراء زيادة عدد المتعطلين من العمال ، وعاد لتذكيره بمشكلة سوء توزيع الثروات وتدمير كافة فئات الشعب وشكواها المتكررة من قسوة الحياة نتيجة لارتفاع تكاليف المعيشة ، الناجمة من عدم الموازنة بين الاجور وارتفاع الاسعار (٢٥) . ورأى ان العلاج الصحيح لمشكلة الفساد الاخلاقى والاجتماعى فى مصر لن تجدى فيها مثل هذه التشريعات العرجاء ، وانما الاخذ بمبدأ اشتراك الدولة وذلك بان تبدأ الدولة فى الاستيلاء على شركات الاحتكار وشركات المرافق العامة حتى تستغل مصادر الثروة الكبيرة فى الوطن لمصلحة الشعب بأكمله ، وبذلك تقطع دابر الرشوة واستغلال النفوذ وتركز الثروات وتغلغل الأجانب فى الحياة الاقتصادية . وأضاف بأن هذا الطريق قد لجأت اليه كافة دول العالم ، مشيراً الى انجلترا كنموذج لذلك (٢٦) .

كان مندور يلح على ضرورة تدخل الدولة لضمان العدالة الاجتماعية بين المواطنين ، موضحاً فى معرض ردوده على خصومه الرأسماليين ، بأنه لم يخترع هذه الفكرة وبأن آخرين قبله قد دعوا السها ، ويذكر كمرجع أساسى لهذه الافكار كتاب " تاريخ المذاهب الاقتصادية " لشارل جيد وشارل ريتست . الشئ نفسه يفعله عندما يدافع عن فكرة تشريع نظام للضرائب التصاعدية أو عندما يحدد دور الرأى العام . أى أنه كان يبحث عن الحلول الملائمة للواقع المصزى فى الفكر السياسى الغربى وفى نظمه الديمقراطية .

#### العدل الاجتماعى ومشاكل العمال والفلاحين :

بانتهاى الحرب العالمية الثانية ، أصيبت الصناعة المصرية بانكماش شديد نظراً لأن توسعها فى الانتاج كان مرتبطاً بظروف الحرب ، فانتشرت بذلك البطالة بين العمال نتيجة لقيام السلطات العسكرية

---

(٢٥) الوفد المصرى ، العدد ٢٤٨٥ ، ٨ يوليو ١٩٤٦ .

(٢٦) رابطة الشباب ، العدد ١٥٩ ، ٢٤ ابريل ١٩٤٧ . مقال بعنوان : " اشتراكية الدولة " .

البريطانية بالاستغناء عن أعداد كبيرة من العمال ، واغلاق الكثير من المصانع التى كانت تخدم مجهود الحلفاء الحربى ، فبلغ عدد العاطلين ٣٧٦ ألف عامل ، وكون هؤلاء من موءسات الجيوش الاجنبية ومن المصانع اللجان للمطالبة بمعالجة تلك الحالة فوراً . ولم يكن نصيب الفلاحين من تلك الازمة التى فرضتها الحرب على مصر أقل من نصيب العمال ، فعانى الفلاحون وصغار المزارعين ومتوسطيهم حدا اكبر من الفقر بسبب هبوط أسعار القطن وتحديد زراعته والقيود الاحتكارية التى فرضتها اللجنة البريطانية على تصديره (٢٧) .

وبينما كان أصحاب رؤوس الاموال وكبار الملاك الزراعيين يهدفون الى زيادة ثروتهم وتنميتها ويتطلعون الى السيطرة السياسية لحماية مصالحهم أمام محاولات التعرض لها ، كانت فئات العمال والفلاحين وصغار الموظفين والتجار تقع تحت السيطرة السياسية والاجتماعية لهؤلاء الأثرياء فتميزت حركتهم بمحاولة الحد من القهر الطبقي الذى يعيشون فيه وكان ذلك واضحا فى نضال العمال للاعتراف بنقاباتهم ووضع حد أدنى للأجور وساعات العمل ، وشكوى عمال الزراعة والتراهيل وصغار ملاك الاراضى من قهر الاقطاع وسيطرته على مقدراتهم (٢٨) .

واذا كان الفلاحون قد جيلوا على الصبر وتحمل الصعاب فان ضغوط الحياة كانت تدفعهم الى التمرد على واقعهم الاجتماعى السيئ فى صورة هبات تلقائية غير منظمة ، سرعان ما يتم القضاء عليها وانزال العقوبات الشديدة بالمشاركين فيها دون الاهتمام بحل المشكلات التى قادت الى تلك الحوادث . ولعل افتقار الفلاحين الى القيادات السياسية الواعية ، والى الخبرة بالنضال الجماعى والتنظيم ، وغياب الوعي الطبقي بينهم يشكل الاسباب الجوهرية لفشل الفلاحين فى القيام بحركة للدفاع عن مصالحهم فى مواجهة كبار الملاك .

وقد اتخذ الرافض الاجتماعى عند العمال مظاهر شتى من بينها : تنظيم الاضرابات وحركة الاحتجاج ، واحتلال المصانع ، وتحطيم الآلات .

---

(٢٧) ابراهيم عامر : ثورة مصر القومية ، ص ٨٢ .

(٢٨) عاصم الدسوقي : مصر فى الحرب العالمية الثانية ، ص ٢٥٠ .

وكانت تلك المظاهرات تتخذ شكل الظاهرة المستمرة في أوقات الازمات الاقتصادية الخائفة (٢٩) .

وقد اهتم محمد مندور بتلك المشكلة الخطيرة التي تهدد كيان الامة الاجتماعى ، وقام بمتابعة الرسائل عن ظروف العمال وما يقاسونه من متاعب ، نتيجة استبداد أصحاب العمل بهم . وطالب الحكومات مرارا ان تنهض بواجبها ازاء هذه الطبقة المنتجة . وحين علم ان شركة نسيج المطلة قد قررت الاستغناء عن ثلاثة آلاف عامل دفعة واحدة ، مخالفة بذلك قانون عقد العمل الفردى ، بدعوى اضطرابها الى تخفيض انتاجها لمواجهة ضعف الاستهلاك ، هاجم هذا السلوك ، موضحا ان ضعف الاستهلاك الذى حدا بالشركة الى اتخاذ هذا القرار بتسريح العمال والالقاء بهم الى البطالة غير عابئة بقانون ولا رقابة حكومية ، انما مرجعه الى عاملين ، تتحمل هذه الشركة وغيرها من الشركات الاستغلالية مسئوليتهم وهما عدم رغبة هذه الشركات فى الاكتفاء بالارباح العادلة والتسعى تمكثها من خفض أسعارها ، ثم ضعف المرتبات والأجور التى تصرفها للعمال والموظفين ، مما ترتب عله ضعف استهلاكهم (٣٠) . ووجه نقدا عنيفا الى الحكومة مشيرا الى عجزها عن مواجهة البطالة ، واجاد الحلول لمعالجة هذه المشكلة ، وطالبها باتخاذ اجراءات حازمة ضد الشركات التى تسوف وتماطل من أجل الاستغناء عن بعض عمالها بدعوى قلة الاستهلاك وما يتبعه من قلة الانتاج ، وذلك بالاستيلاء على كافة ما تنتجه هذه الشركات وارغامها على الاستمرار فى العمل أو الاستيلاء على المضانع التى يلجأ أصحابها الى تعطيلها بتلك الدعاوى الزائفة . وفى معرض حديثه عن البطالة ، أوضح محمد مندور أن علاج هذه المشكلة يتطلب وضع نظام شامل للتأمين الاجتماعى حتى يجد المريض والشيخ المتعطل شيئا ثابتا مضطربا يمسك به فى حياته حتى يلطف به الله فبتوفى الشيخ ويصح المريض ويجد المتعطل عملا ، مع السير فى سياسة عامة تؤدى الى زيادة الانتاج القومى ، وتحقيق العدالة فى توزيع ثمرات العمل بين أصحاب رؤوس الاموال والعمال والاخذ بمبدأ التصاعد فى الضرائب ، ما

---

(٢٩) رؤوف عباس حامد : جماعة النهضة القومية ، ص ٣٠ ، ٣١ .  
(٣٠) صوت الامة ، العدد ١٤٤ ، ١١ يناير ١٩٤٧ . مقال بعنوان : " هل لمصلحة العمل ان تنهض بواجبها " .

دمننا لم نصل بعد الى أن يكون نصيب العمل جزءاً من الربح - المشاركة في الأرباح - لا أجراً يومياً أو شهرياً (٣١) . وعاد ليؤكد على الأخذ بمبدأ اشتراكية الدولة حتى تصبح للحكومة وظيفة اقتصادية فـسوق وظائفها الأخرى ، مشيراً الى ضرورة تحقيق ضمانات كافية لحرية الفرد في العبادة والقول والكتابة والتدريس والاجتماع وتكوين الجمعيات السياسية وغير السياسية . وقد نشر عديد من المقالات تناول فيها الضمان الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية ، أوضح فيها أن الضمان الاجتماعي يجب أن يتناول السناء العام للهيئة الاجتماعية كلها ، دون الاقتصار على التأمينات والخدمات الاجتماعية ، بل لابد أن يتناول الانتاج والعمل والعلاقة بينهما حتى يمكن الوصول الى ضمان اجتماعي صحيح . وطالب بوجود تأمينات ضد المرض والعجز والشيخوخة والوفاة فضلاً عن التأمين ضد البطالة وهو أهم أنواع التأمينات وأكثرها فائدة للعمال . وانتقد النظم المبتورة التي وضعتها بعض الشركات لعمالها كممنحهم مكافآت ضئيلة عن مدة خدمتهم أو اعطائهم معاشاً صغيراً مقابل استقطاعات من أجورهم أو مرتباتهم (٣٢) . ورأى أن العامل في ظل هذا النوع من التأمين ساهم بنصيب كما يساهم صاحب العمل بنصيب وتشترك الدولة بالنصيب المتبقى ليجمع المال اللازم للتأمين ، على أن يشمل كافة طبقات المجتمع .

وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية في عهد حكومة الوفد قد وضعت مشروعا للتأمين الاجتماعي في عام ١٩٤٣ ، وتركت الحكم وهو معد بمذكراته ومبادئه دون أن يرى النور . واستمر معطلا في وزارة الشؤون الاجتماعية حتى أوائل عام ١٩٤٧ ، حين استدعت حكومة النقراشي بعد الخبراء الأجانب في المسائل الاجتماعية والمالية ، وعهدت اليهما بدراسة المشروع الجديد ، وقد وضع الخبراء تقريرهما ، وانتهى الامر بأن رفعت وزارة الشؤون الاجتماعية مذكرة بالمشروع الى مجلس الوزراء الذي وافق عليها (٣٣) .

---

(٣١) الوفد المصري ، ٢١ مايو ١٩٤٦ .

(٣٢) صوت الامة ، العدد ١٣٢ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٤٦ .

(٣٣) صوت الامة ، العدد ٢٢٠ ، ٩ أبريل ١٩٤٧ .

وجدير بالملاحظة أن هذا المشروع الذى وضعته وزارة الشؤون آنذاك لم يتناول التأمين الا على طبقة قليلة من المجتمع وهى طبقة عمال الصناعة والتجارة ، مستبعدا بذلك العمال الزراعيين والمشتغلون بالزراعة ، حيث نصت المذكرة على حرمانهم من هذا التأمين بدعوى " أن حالتهم تختلف اختلافا مبنا عن باقى الفئات من حيث الاجور ونظام العمل . ولأن - كما تقول المذكرة - فى تنفيذ برنامج الاصلاح الذى اعدته الحكومة للريف من حيث نشر التعليم وتحسين الصحة العامة وانشاء الوحدات الزراعية والاجتماعية ما يعوض هذه الفئة من السكان فى الوقت الحاضر عن استثنائهم من المشروع " . كذلك اقتصر التأمين على العلاج الطبى والدواء فضلا عن بعض المكافآت والاعانات والمعاشات الضئيلة ، دون أن يكون هناك نص صريح يقضى بالتأمين ضد البطالة ، بالإضافة الى أنه اعطى الحق لوزير الشؤون الاجتماعية بتطبيق هذا المشروع بقرارات منه فيما يرى من مدن أو أقاليم ، دون أن يمتد ليشمل كافة أنحاء البلاد .

وقد انبرى محمد مندور للتصدي لهذا المشروع الهزيل ومهاجمته ، واصفا اياه بأنه لم يعد كافيا لظروف البلاد الحالية وللمطالب العمال العاجلة العادلة . وانتقد مسلك الحكومة بخصوص الحجج الواهية التى ساقتها لتبرير حرمان ملايين الفلاحين ، وهم عماد الامة وعمودها الفقري ، وقد وصلت حالتهم الى درجة خطيرة من البؤس ، من الانتفاع بمشروع هزيل للتأمين الاجتماعى . ونوه بأن الحكومة باقرارها حرمان هؤلاء تفع مبدأ خطيرا وهو أن من لا يكافح فى سبيل حقوقه يــــداس بالاقدام ، مشيرا الى أن واجب الحكومات يقتضيها أن تسهر على رعاية مصالح كافة الطبقات وبخاصة طبقة عاجزة مغبونة مرهقة بالعمل كطبقة الفلاحين . وتساءل عن موقف الحكومة وامثالها لو ان هؤلاء الفلاحين قد كانوا من الوعى والاستنارة والفتنة الى ان هناك نوعا من الحياة خيرا من حياتهم ، وهبوا للمطالبة بحقوقهم . ووجه نصيحة لمثل هذه الحكومات بمحاولة سبق الزمن وأن تلجأ الى سياسة اجتماعية جريئة ، وذلك للحيلولة دون حدوث هزات اجتماعية عنيفة والتى لابد ان تنتهي اليها حالة البؤس الراهنة اذا لم نسارع الي علاجها بالعلاج القوى العميق .

وقد كان لجهود محمد مندور في الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين المستغلين ومطالبته بمشروع متكامل للتأمينات الاجتماعية أثره فيما بعد . ففى وزارة الوفد الاخيرة ظهر مشروع الضمان الاجتماعى والسدى حددت فيه فئات المعاش للمستحق ، وفقا للحد الأدنى لمستوى المعيشة . وكان بواقع مائة قرش شهريا فى الريف ، ١٤٠ قرشا فى المدن مع التدرج فى الزيادة تبعا لوجود زوجة أو أولاد للمستحق حتى يصل الى ١٨٦ قرشا فى الريف للأسرة الواحدة ، ٢٥٠ قرشا فى المدن (٣٥) . وجدير بالملاحظة أن حكومة الوفد الاخيرة كانت قد أعدت مذكرة لتعيين الدكتور مندور وكليلا لوزارة الشؤون الاجتماعية مع وزيرها الدكتور أحمد حسين .

حين تعرض محمد مندور لمشكلة الفلاح والملكية الزراعية ، رأى ضرورة الاهتمام باصلاح القرية والريف المصرى ، عن طريق التوسع فى الخدمات الصحية والاجتماعية ، كما وافق على الاقتراح الذى تقدم به محمد خطاب الى مجلس الشيوخ فى يونيو ١٩٤٥ ، والذى يقضى بتحديد الملكية الزراعية بخمسين فداناً مستقبلاً . ويبدو أن تأييده لهذا الاقتراح ، والذى كانت ترفضه قيادة الوفد ، بالإضافة الى دعواته المتكررة الى الاصلاح والعدالة الاجتماعية ، فى محاولة منه لتقريب المسافة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع ، والمطالبة باعادة توزيع الملكية فى بلاد لا يستند فيها حق الملكية تاريخيا الى كسب الانسان وعرق جبينه . قد أثار جماعة من كبار الملاك واعضاء الجناح اليميني فى الحزب . وقد ظهر ذلك واضحا حين خانت قيادة الوفد وتخلت عنه أثناء القبض عليه فى قضية الشيوعية التى دبرها اسماعيل صدقى لخصومه فى يوليو ١٩٤٦ . كما حرص هؤلاء بعض الشباب الوفدى على الانفضاض من حوله ، بل ومحاربتة ، حين رأوا فى قلمه خطرا يهددهم ويهدد شرواتهم وأوضاعهم الاجتماعية والسياسة . كذلك لم يبر الاتجاه اليميني فى قيادة الوفد بأسا فى التخلص من محمد مندور وصحيفة الوفد المصرى ذات الاتجاه اليسارى الواضح ، حين تعهدوا لحكومة صدقى خلال هذه الازمة التى تعرض لها محمد مندور بعدم اسناد رئاسة تحرير " الوفد المصرى " له فى مقابل منحهم ترخيصا باصدار صحيفة أخرى بديلة



" صوت الامة " . غير أن سقوط حكومة صدقى أدى الى اسناد رئاسة التحرير اليه ، وبدأ فى حشد الجناح اليسارى بالحزب داخل صحيفة صوت الامة ومواصلة الكفاح ضد الاستعمار والاستبداد واحتكار رأس المال الاجنبى والوطنى لكل ثروات البلاد .

### التضخم النقدى ومشكلة الارصدة الاسترلينية :

فى عام ١٩٣٩ انضمت مصر لمنطقة الاسترليني وفرضت الرقابة على الصرف . وكما تم فى الحرب العالمية الاولى تستطيع انجلترا تعسفة الفائض الاقتصادى لاغراض الحرب كما لو كانت مصر جزءا من انجلترا ، فهى تستخدم القوة العاملة المصرية والجهاز الانتاجى المصرى فى خدمة الجيوش الانجليزية فى المنطقة . ويكون ميكانيزم التمويل هو الانفاق التضخمى ، اذ تستطيع من خلال وجود الجنيه المصرى على قاعدة الاسترليني أن تصدر أوراق البنكنوت فى مصر تستخدم فى التداول فى مقابل تراكم الاسترليني لحساب مصر فى لندن مكونا رصيدها الاسترليني (٣٦) . وقد زاد بهذا مقدار الصادر من النقد الورقى فى مصر من ٢٨ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى حوالى ١٥٤ مليون جنيه فى نهاية عام ١٩٤٦ ، دون أن تقابله زيادة مماثلة فى الانتاج ، فهبطت - تبعا لذلك - القوة الشرائية للجنيه المصرى ، مما ترتب عليه ارتفاع نفقات المعيشة ارتفاعا عانت منه الفئات المحدودة الدخل ، وهو ما يعبر عنه بالتضخم ، نتيجة عدم التناسب بين السلع المعروضة والنقد المودع فى بنوك الدولة .

ونتيجة لهذه العلاقة التى كانت قائمة بين النقدين المصرى والانجليزى نشأت مشكلة الارصدة الاسترلينية والتى بلغ مجموعها نحو ٤٢٠ مليون جنيه كانت مملوكة للحكومة ولعدد كبير من الافراد والشركات والبنوك وغيرها كحقوق لهما فى مواجهة بريطانيا .

ولحل هذه المشكلة التى كانت لها علاقة وثيقة بارتفاع الاسعار وزيادة حدة الغلاء ولوقف هذا الاستغلال الانجليزى لمواردنا الانتاجية ، ورفع القيود التى فرضت من جانبهم على تجارتنا الخارجية ، دارت المفاوضات بين الحكومة المصرية والمسؤولين البريطانيين

فى محاولة لوقف هذا الاستغلال وايجاد حل لهذه المشكلة وبدأت بريطانيا فى التمهيد لهذه المفاوضات بشن حملة فى البرلمان البريطانى واجهزة الاعلام البريطانية ، لحمل الحكومة المصرية وارغامها على التنازل عن جزء من هذا الدين ، يدعى انهم قد قاموا بالدفاع عن مصر ، وأنه من الواجب ان تتنازل مصر عن جزء من هذا الدين ، مقابل هذا الدفاع ، كما زعموا ان ما استولوا عليه من أموال قد انفقوه فى مصر شمساً لحاجيات اشتروها بأسعار مرتفعة (٣٧) . وصرح وزير المالية البريطانية آنذاك " الدكتور دالتون " بأنه من السخريـة البالغة أقصـى حدودها " ان تتحمل بريطانيا الديون وحدها ، وأعرب عن امتنانه لتأييد المعارضة اساه فى المعركة التى سيقودها لمنع دافعى الضرائب البريطانيين من أن يتحملوا اعباء جسيمة غير عادلة - واكد المستر انتونى ايدن تأييد المعارضة التأييد التام لبان دالتون بقولـه " أنه فى جميع المفاوضات الخاصة بالأرصدة الاسترلينية لابد من أن حسب حساب المجهود الحربى لكل طرف من الاطراف نسبياً " (٣٨) . ولم يقتصر الامر عند هذا الحد ، بل ذهبوا الى حد قولهم بانهم سيتقدمون بطلب الى الحكومة المصرية للحصول على أموال أخرى مقابل دفاعهم عن مصر ، والتهديد باخراجها - وهو ما حدث بالفعل - من دائرة منطقة الاسترلبنى .

وقد أسفرت المفاوضات التى دارت بين الطرفين عن اتفاق مؤقت فى ٣٠ يونيو ١٩٤٧ ، استطاعت بريطانيا بمقتضاه أن تحصل على موافقة رسمية من الحكومة المصرية على تجميد تلك الديون ، أى ايقاف دفعها نقوداً أو شمساً لبضائع أو على أى نحو آخر ، لقاء شمانية ملايين من الجنيهات تم الافراج عنهم عند الاتفاق ، مع التعهد بالافراج عن مبالغ أخرى مستقبلاً . كذلك انطوت الاتفاقية على اخراج مصر من منطقة الاسترلبنى ، وهو اجراء حرصت عليه إنجلترا ، وبه فرضت الرقابة على الجنيه الاسترلبنى فى مصر ، وأصبح الحصول عليه خاضعاً لنفس الرقابة التى يخضع لها الدولار الأمريكى ، وكان ذلك يعنى عدم تمكن مصر من

---

(٣٧) صوت الامة ، العدد ١٨٠ ، ٢٢ فبراير ١٩٤٧ .  
(٣٨) المصدر السابق ، نفس العدد .

الحصول على حاجتها من العملة الانجليزية المقبولة التداول في بلاد الكتلة الاسترلينة (٣٩) .

وفيما بين عامي ١٩٤٨ ، ١٩٥٠ عقدت بريطانيا مع مصر اتفاقيات قصيرة الاجل ، تم بمقتضاها الافراج عن جزء من الارصدة الاسترلينية المجمدة مع بيان كيفية استخدامها .

ولما كانت هذه المشكلة تمثل احدى مظاهر الاستغلال الاقتصادي من جانب انجلترا لمواردها الانتاجية ، فقد أولاهما الدكتور مندورا اهتماما خاصا ، باعتبارها لا تقل أهمية عن استقلال البلاد السياسي نفسه ، فأفرد لها عدة مقالات لتوعية الرأي العام بحقيقة هذه المشكلة ، تناول فيها نشأة هذا الدين وطريقة تراكمه ، وعلاقته بارتفاع نفقات المعيشة ، بالإضافة الى عجز الجهاز الانتاجي عن الوفاء باحتياجاتنا نتيجة لعدم توافر الموارد المالية اللازمة ، موضحا أن هذه الاموال التي تم الاستيلاء عليها من جانب الانجليز بواسطة البنك الاهلي " حصن الاستعمار " - على حد تعبيره - انما أخذت من جيوب المصريين دون أن يؤخذ لهم رأي أو تطلب منهم موافقة . وهاجم السياسة البريطانية لمطالبتها الحكومة المصرية بالتنازل عن جزء من هذا الدين ، أو التهديد بالغائه . وطالب الشعب المصري والمجالس النيابية واجهزة الاعلام الوطنية بشن حملة مضادة ، وخوض معركة ضد الانجليز لاستخلاص هذا الحق المشروع ودعا المصريين الى أن يتذكروا أن الانجليز قد احتلوا بلادهم من أجل المحافظة على ديونهم وضمان الاستثمار في سدادها ، وأصروا على أن ترهن مصر ثلاثة مديريات ضمانا لسداد جزء من هذا الدين ، كما أخذوا ارتفاعات على عدة أبواب من أبواب الدخل في ميزانيتنا ضمانا لهذا الرهن (٤٠) . وهاجم اتفاقية ٣٠ يونيو ١٩٤٧ ، التي حرص الجانبان على أن لا تتسرب أخبارها الى الرأي العام قبل توقيعها خشية من العقوبات التي قد تعترضها ، دون عرضها على البرلمان أو الحصول على موافقته ، مشيرا الى ان الانجليز كانوا حريصين على ابرامها تماما كما حرصوا على ابرام مشروع صدقي - بيفن . ونوه الى

(٣٩) صوت الامة ، العدد ٢٩٧ ، ٨ يوليو ١٩٤٧ .

(٤٠) صوت الامة ، الاعداد ١٨١ - ١٨٣ ، ٢٣ - ٢٥ فبراير ١٩٤٧ .

خطورة أحكام هذه الاتفاقية ، والتي تمت لمصلحة بريطانيا وعلى حساب مصالح مصر الاقتصادية ، وأنها ستؤدي - وهو ما حدث بالفعل - إلى خفض قيمة الجنيه المصري ، وما يترتب عليه من ارتفاع أسعار الحاجيات والسلع الضرورية<sup>(٤١)</sup> ، بالإضافة إلى حرمان مصر - بعد إخراجها من منطقة الاسترليني - من التعامل التجاري مع بلاد الكتلة الاسترلينية كإيطاليا التي كانت تحتل المرتبة الثانية في تجارتها الخارجية مع مصر ، وكذا فرنسا وبلجيكا ، دون التصدير إليها إذا أرادت الاستيراد منها<sup>(٤٢)</sup> .

لقد كان محمد مندور واعيا تماما لقضية التبعية التي اعتبرها استعمارا اقتصاديا يربط الاقتصاد المصري بعجلة الاقتصاد البريطاني فالغاية النهائية من الاستعمار البريطاني إنما هي الاستغلال الاقتصادي وابتزاز ثروات مصر ، وإفقار شعبها . وكان هذا واضحا من حرص بريطانيا على التمتع بنظام جمركي في مصر يفضلها على غيرها من حيث قيمة العوائد ونظم الاستيراد . وقد رأى محمد مندور أن علاج ذلك يتمثل في حل مشكلة الارصدة الاسترلينية ، وحمل الانجليز على أن يدفعوا منها جانبا معقولا بالدولارات ، حتى يتمكن من التعامل التجاري مع الدول الغير واقعة في نطاق الكتلة الاسترلينية ، هذا بالإضافة إلى مطالبته بإطلاق القيود التي فرضتها بريطانيا على تجارتها الخارجية منذ الحرب العالمية الثانية ، والتي كانت من بين العوامل التي أدت إلى ارتفاع نفقات المعيشة . وقد حمل الحكومات المتعاقبة مسؤولية الاستغلال البريطاني على هذا النحو المعيب<sup>(٤٣)</sup> .

#### القضية الوطنية والسياسة الخارجية :

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية بانتصار قوات الحلفاء ، بعد استسلام ألمانيا في يونيو ١٩٤٥ ، وصدر ميثاق الأمم المتحدة ،

---

(٤١) صوت الأمة ، العدد ٢٩٦ ، ٧ يوليو ١٩٤٧ . مقال بعنوان "اتفاقية الارصدة تمكن الانجليز مما يريدون" .

(٤٢) صوت الأمة ، العدد ٢٩٥ ، ٦ يوليو ١٩٤٧ .

(٤٣) صوت الأمة ، العدد ٢٠٩ ، ٢٨ مارس ١٩٤٧ . مقال بعنوان "الاستعمار الاقتصادي" .

تطلع العالم الى قيام نوع جديد من العلاقات الدولية يقوم على الاحترام المتبادل والمساواة بين الدول ، وحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية لتخفيف حدة الصراع العالمى والصدام المسلح .

وفى مصر دارت فى المنتديات السياسية وعلى صفحات الجرائد على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها السياسية مناقشات حول اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ التى أثبتت الحرب أنها لم تكن بحال من الأحوال " معاهدة الشرف والاستقلال " و أنها ألقت على عاتق مصر تبعات ثقيلة دون أن يكون لها فى الحرب ناقة ولا جمل ، فعرضتها للخطر وأرهقت اقتصادها ، وكان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ أقوى دليل على أن السلطة الحقيقية فى البلاد ظلت - رغم المعاهدة - فى يد بريطانيا (٤٤) .

وكانت الأحزاب المصرية - باستثناء الحزب الوطنى - ترى بوجوب الدخول فى مفاوضات رسمية مع الحكومة البريطانية لتعديل معاهدة ١٩٣٦ نظرا لتغير الظروف الدولية والمحلية ، وتولت الهيئات السياسية المشتركة فى الحكم اجراء تلك المفاوضات .

ففى مارس ١٩٤٦ قام صدقى بتشكيل وفد رسمى برئاسته للتفاوض مع الانجليز ، تكون من السعديين والدستوريين . ولضمان امكانية نجاح تلك المفاوضات ، كلف صدقى وزارة الداخلية بأن تنظم بالمال جوا ملائما للمفاوضات ، فدارت المباحثات بين وكيل الداخلية وبين بعض الكتاب والصحفيين ، طلب منهم فى تلك المباحثات أن يؤيدوا شيئا واحدا وهو مبدأ التحالف مع الانجليز ، أو أن يتوقفوا عن مهاجمته والتعرض له فى الصحف ، على أن تترك لهم حرية الرأى بعد ذلك فى مناقشة شروط التحالف وفقا لما يريدون (٤٥) . واستدار صدقى ناحية الدكتور مندور محاولا استمالته ، نظرا لقيامه بنشر العديد من المقالات يفتد فيها شروط هذه المعاهدة ومدى اجفافها بحقوق مصر ، واتجاه صدقى نحو ربط البلاد بعجلة الاستعمار ومطامع السياسة البريطانية الجديدة فى الشرق الاوسط ، وذلك عن طريق تكبيل مصر بالاحلاف العسكرية والدفاع المشترك . وطالب بالغاء معاهدة ١٩٣٦

(٤٤) رؤف عباس حامد : جماعة النهضة القومية ، ص ١٥١ .

(٤٥) موت الامة ، ٢٢ نوفمبر ١٩٤٦ .

لتناقضها مع ميثاق الأمم المتحدة ، كما هاجم سياسة الحكومات المصرية التي فرطت في حقوق الوطن ، ودعا الشعب الى رفض تلك المعاهدة (٤٦) نقول استدار صدقي ناحيته ، فأرسل اليه وزير مالهته آنذاك - عبد الرحمن البيلي - لكي يخبره ، بلسان الملك ورئيس الوزراء أن معاهدة صدقي - بيغن ستوقع ، أراد أو لم يرد ، وأنه لا جدوى من معارضة تلك المعاهدة ، وأنه من الخير له أن يستريح بأن يقبل منصب سفير في سويسرا ، فرد عليه مندور بأنه يفضل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية (٤٧) .

وحين فشل صدقي وأعوانه في تحقيق هذا الجو الملائم لاجراء المفاوضات وابرام هذه المعاهدة قام بحملة الاعتقالات الشبيرة في يوليو ١٩٤٦ ، وكان في طليعة هؤلاء المعتقلون الدكتور مندور ، حيث وجهت اليهم تهمة الدعوة الى قلب النظام الاجتماعى فى البلاد واحباط المفاوضات . وقد بقى محمد مندور معتقلا بسجن الاجانب ٤٦ يوما على ذمة هذه القضية الى أن تم الافراج عنه ، بعد أن أشادت النيابة بممدو وطنيته واخلاصه الصادق ودفاعه عن الحق والعدل ، ونفت بشكل قاطع اتصاله بالاحزاب الشيوعية أو الدعوة اليها (٤٨) .

ومن الغريب أن أخبار اليوم قد قامت فى اليوم التالى لاعتقال محمد مندور بشن حملة شعواء ضده ، اتهمته فيها بأنه كان الواسطة بين حزب الوفد والكومنترن أى الدولة الثالثة ، مخالفة بذلك قرار النيابة العمومية الخاص بحظر نشر أنباء التحقيق حرصا على سلامته ، وبانذار المخالفين بتطبيق نص المادة ٦٩٣ من قانون العقوبات (٤٩) .

---

(٤٦) تنبه محمد مندور لاهمية التحالف فى مجال العمل السياسى والوطنى، فكان أول من حيا التحالف بين الطلبة والعمال ، فيما عـُـرف "باللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، باعتباره نقطة تحول خطيرة فى مجال العمل الوطنى . انظر مقال محمد مندور حول اتصال المثقفين بالعمال ، البعث ، ١٩٤٦/٣/١ .

(٤٧) فؤاد دؤارة ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٤٨) صوت الامة ، العدد ٥٦ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ .

(٤٩) بمجرد أن نشرت أخبار اليوم مقالها هذا ، بادر محمد مندور فأرسل من السجن بلاغا الى النائب العام يطلب فيه التحقيق مع أخبار اليوم لخروجها على قرار الحظر وقذفها فى حقه . غير أن النيابة العمومية لم تحرك ساكنا آنذاك ، فاضطر الدكتور عزيز فهمى =

كذلك نسبت اليه أخبار اليوم أنه كان الواسطة في تحرير ميشاق بين الوفد والدولية وأنه تولى مفاوضات طلب اليه فيها - حتى يمكن أن تساعد الدولية حزب الوفد - ضرورة فصل أعضاء الوفد من الاثرياء وكبار الملاك ، كفاء اد سراج الدين ، وحفنى الطرزي ، وفهمى ويصا ، وعثمان محرم ، وحمدى سيف النصر وكثير غيرهم (٥٠) .

وحين أفرج عن الدكتور مندور لعدم ثبوت أدلة الاتهام التمسى كانت موجهة اليه ، عاد الى خوض معاركه السياسية ، واستمر فى هجومه على المعاهدة ، موضحا مدى الاخطار التى كانت تحدث بالبلاد من جراء هذه المفاوضات ، ولقى معاونة من العناصر الوطنية حتى باءت تلك المفاوضات بالفشل الذريع .

على أن تلك الأزمة التى مر بها محمد مندور أثناء وجوده بالسجن ، وتعرضه لضغط شديد من جانب البوليس السياسى والنيابة ، أحس بثقله داخل السجن ، وخاصة بعد أن تخلت قيادة الوفد عن مساعدته (٥١) ، مما دفعه الى الاعتماد على نفسه والاستقلال بحياته المادية عن الحزب والمسيطرين عليه ، فقرر فى أوائل ١٩٤٨ تقييد اسمه فى نقابة المحامين والانتفاع بدراسته للقانون فى مزاولة مهنة المحاماة ، وخاصة بعد أن ذاع اسمه فى شتى أنحاء البلاد نتيجة لمواقفه الوطنية ودعوته الى تحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين ، مما بسر له العمل بالمحاماة ، فازدهر المكتب الذى افتتحه ، وحقق قدرا من الرخاء

---

= محامى محمد مندور الى رفع جنحة مباشرة على صاحبى الجريدة "على ومصطفى امين" بسبب ما اختلقاه ونسباه اليه .  
(٥٠) أخبار اليوم ، العدد ٨٨ ، ١٣ يوليو ١٩٤٦ - مقال بعنوان "زعيم الشيوعية فى مصر مليونير يهودى - القبض على الدكتور مندور الواسطة بين الوفد والكومنترن" .

(٥١) حين وقف صدقى فى مجلس الشيوخ يتهم محمد مندور بأنه داعية شيوعى ويكيل له فيضا من الاتهامات معتمدا فيها على مقتطفات من مقالات نشرت له فى "الوفد المصرى" و "البعث" ويتهم صحيفة الوفد المصرى التى عطلها بذات التهمة ، وقف سكرتير عام الوفد وزعيم المعارضة بالمجلس يدافع عن حزبه ، دون الدفاع عما تعبر عنه هذه الصحيفة . كما قالت صحيفة المصرى فى ١٨ يوليو ١٩٤٦ " ان التهم الموجهة الى الدكتور مندور تتعلق بأمور خارجة عن هذه الصحيفة .

المادى . واستمر فى عمله هذا بالإضافة الى الاشراف على تحرير صحيفة صوت الامة حتى جاء عام ١٩٥٠ ، وجرى انتخابات جديدة ، طلب محمد مندور من الوفد ترشيحه لدائرة " السكاكينى " بالقاهرة ، حيث فاز فوزا ساحقا ، ودخل البرلمان عضوا فيه لأول وآخر مرة عام ١٩٥٠ فواصل عمله الوطنى داخل المجلس كرئيس للجنة التعليم ، وعضوا فى اللجنة المالية ، ومقرر لميزانية وزارة المعارف ، حتى فوجئ مع نهاية هذا العام بمرض داهم تبينه من الضعف الذى أحسه فى احدى عينيه . فتم عرضه على بعض الاخصائيين بالقاهرة الذين أشاروا عليه بالسفر الى لندن لاجراء عملية عاجلة ، عاد بعدها الى مصر فى أوائل عام ١٩٥١ ، ليواصل عمله مرة أخرى بالمجلس ، بإذلا فيه ما استطاع من جهد سواء فى اللجان أو فى الجلسات والمناقشات السياسية (٥٢) .

أما عن موقفه من القضايا العربية ، فقد رأى محمد مندور أن العالم العربى أصبح بعد انتهاء الحرب ميدانا للمناورات والمراعات بين الدول الاستعمارية جريا وراء امتلاك مناطق نفوذ وسيطرة ، لذا فقد تحتم عليه مواجهة تلك المتغيرات السياسية الجديدة بسياسة واضحة المعالم بعيدة المرامي ، تتمثل فى استغلال التناقضات الدولية وفقا لمصالحنا ، والتصرف فى حدودها . وأنه من الواجب مسيرة العصر الذى نعيشه ، وإن تكون من النضوج والوعى بحيث نحاول فهم من نخاطبه بدلا من الاكتفاء بما يتحكم فى عقولنا أو يبهتز فى قلوبنا من فكر أو عاطفة . وأساس السياسة هو أن نقول لا ما نعتقد ، بل ما نستطيع حمل الغير على الاعتقاد به . فالقضايا المصرية والعربية لا تحتاج اليوم الى ايضاح ما فيها من حق وعدل قدر حاجتها الى وسائل سياسية مرسومة يمكن أن تعاون على حلها فى المجال الدولى ، ولن يتأتى ذلك ما لم نحزم أمرنا ونضع الخطوط لسياسة عامة خارجية مستقرة (٥٣) .

والسياسة الخارجية التى يراها الدكتور مندور تنطلق أساسا من فكرة الحياد ، بل الحياد المطلق حتى تأمن مصر والدول العربية شر

---

(٥٢) فؤاد دودة ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ . وجدير بالملاحظة أن أخبار اليوم قد نشرت خبرا قبل سفره للعلاج يفيد بإصابته بفقدان البصر ، وحول مواقف محمد مندور الوطنية داخل البرلمان . انظر مضابط الجلسات ، المجلد ١٠ ، ص ١٩٥٠ ، ١٩٥١ .



ذلك الصراع والتنافس بين الدول الكبرى ، وما قد يجره من ويسلات الحروب ، وحتى تظل الدول العربية حرة وتقابل المناورات الدولية المختلفة بالوسائل التي تراها ، وتستغلها كاسلحة لاسترداد الحقوق المسلوقة وتحقيق المصالح المشروعة (٥٤) .

ويقصد محمد مندور بمبدأ الحياد عدم الارتباط ارتباطا قانونيا بواسطة معاهدات أو اتفاقات سياسية أو عسكرية مع احدى الكتلتين ، التي قد تتفق ضدنا في بعض قضايانا الحيوية ، وحتى لا نكون خاضعين أو تابعين لاحدهما ، وبالتالي يمكننا من الاحتفاظ بسيادتنا الخارجية وحریتنا في التعامل الاقتصادي ، مع الاستعداد عسكريا لدفع الاخطار الخارجية ، بالاضافة الى تقوية البلاد اقتصاديا واجتماعيا وساسا ، أي أنه يطالب بحشد قوى الامة في الداخل وتحميلها مسؤولية علاج قضايا الوطن ورسم سياسته العامة ، دون الاعتماد على الخارج (٥٥) .

ولمواجهة الخطر الخارجي ، دعا محمد مندور الدول العربية المستقلة استقلالا حقيقيا عن كل سيطرة أجنبية ان تعقد فيما بينها حلفا عسكريا ، وذلك حتى لا تتسرب تلك السيطرة الى الدول الاخرى من خلال ذلك الحلف . ورأى أن من الواجب على هذه الدول أن تتحرر كل منها من الاستعمار الأجنبي وان تعاون اخواتها العرب على هذا التحرر ، وبالتالي يمكن تكوين مثل هذا التحالف فيما بينها على أساس وطني سليم (٥٦) .

وذهب الى أن مشكلة فلسطين لن تحل الا باستخدام القوة ، وان العرب قد أخطأوا بقبولهم الهدنة ، ودعاهم الى استئناف القتال لاستخلاص الحقوق المشروعة تاريخيا وواقعا للعرب (٥٧) . وبهذا يكون محمد مندور قد آمن بفكرة الحياد التام بين الكتلتين التي اتفقت ضدنا في بعض قضايانا الحيوية كقضية فلسطين ، مع استغلال التناقضات القائمة بين هذه الدول لتحقيق المصالح العربية ، دون الانحياز لاحدهما ، بالاضافة الى ايمانه بالقومية العربية ، وحرصه على انتماء مصر العربي .

- 
- (٥٤) صوت الامة ، العدد ٥٢٠ ، ٢٦ مارس ١٩٤٨ .  
(٥٥) صوت الامة ، العدد ٦٧٨ ، ٢ اكتوبر ١٩٤٨ .  
(٥٦) صوت الامة ، ٢٩ سبتمبر ١٩٤٨ .  
(٥٧) صوت الامة ، العدد ٦١١ ، ١١ يوليو ١٩٤٨ .

أما عن موقفه من القضية الوطنية ، فقد رأى ضرورة استمرار الجهاد ، دون طرح فكرة الكفاح المسلح ، ومقاومة الانجليز باستخدام أسلوب المقاطعة الاقتصادية ، اقتداءً بالزعيم غاندى الذى استطاع أن يهز أركان الامبراطورية البريطانية ويذيقها المر بدعوته الناجحة الى المقاطعة والمقاومة السلبية . كما رأى ضرورة قطع العلاقات السياسية معهم واخراج كافة الموظفين الانجليز من الادارات المصرية ، وذلك اذا لم تستطع الحكومة ان تذهب الى اكثر من ذلك . فالوسيلة التى يراها محمد مندور لاجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان تتمثل فى مقاطعة الامة بكافة فئاتها كل تعاون ، بل كل تعامل معهم حتى يشوبوا الى رشدهم ، ويرجعوا عن تلك النزعة الاستعمارية ، دون طرح فكرة الكفاح المسلح كطريق للتحرر الوطنى ، الذى اثبت فعاليته عند الدول التى ابتليت بالاستعمار . وهو ما يؤكد التزامه بالخط السياسى لقيادة الوفد (٥٨) .

#### الديمقراطية السياسية :

نقطة البدء عند محمد مندور بالنسبة للديمقراطية السياسية هى الاستقلال من السيطرة الاجنبية والاحتلال الانجليزى وعودة الوفد الى الحكم . فالاستقلال يعطى المواطن القدرة على أن يحمل ممثليه بمصادر الثروة فى بلاده ، دون أن تتأثر بها فئة دون أخرى ، كما يوءدى الى استقامة الحياة الدستورية فى البلاد ، والتمتع بالحريية التامة (٥٩) . وقد كشف محمد مندور فى عدد من مقالاته السياسية عن عيوب الديمقراطية الغربية التى كانت تسير عليها البلاد، دون دراسة حقيقية لادواض المجتمع المصرى . وطالب بضرورة تطبيق الديمقراطية

---

(٥٨) فى أعقاب ثورة يوليو مباشرة ، كتب محمد مندور مقالاً يحمل عنواناً رئيسياً هاماً ، يؤكد فيه ان الرجوع الى المفاوضات مضیعة للوقت .  
رابطة الشباب ، ٧ ديسمبر ١٩٥٢ .  
(٥٩) صوت الامة ، العدد ١٥٠ ، ١٨ يناير ١٩٤٧ .

الاجتماعية التي تحفظ للفرد كرامته وحرية وتحقق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع ، كما انتقد مسلك الحكومات التي تقوم باجراءات قمعية للحريات العامة .

وفي معرض دفاعه عن الحياة النيابية ، هاجم شعار الاخوان المسلمين " لا حزبية ولا أحزاب " بقوله " ان الحزبية ضرورة وطنية ودستورية ، وان الدعوة الى القومية واللا حزبية ليست الا نفاقا يراد به هدم الوفد المصري ، وأنه يجب على كل شاب أن يتعصب لدستور بلاده وما يكفله هذا الدستور للمواطن من حقوق ، ويجب عليه أن يؤمن ايمانا راسخا بأن قضية بلاده لن تحل ما لم يتحقق أولا ارادة الامة في حكم نفسها بنفسها ، وان من الواجب على كل فرد ان يعتز بمذهبه السياسي ويتمسك بمبادئ حزبه ، فالوفدى يستطيع أن يقول لغيره اننا نعتز بالحياة الدستورية ونتمسك بها ونطالب باصلاح تطبيقها ونوء من بأنه عندما تستقيم الامور ستكون خير أنواع الحكم وذلك لما فيها من تعزيز لمركز وحقوق وكرامة الفرد . كما أنه يستطيع أن يقول لغيره اننا نناصر طبقات الشعب المضطهدة ونعمل على حمايتها بالنظم العادلة المشروعة " . فالحزبية في نظر محمد مندور ضرورة وطنية وسياسية والدعوة الى مقاومتها دعوة الى الانحلال وامانة الكفاح والقاء البلاد كلها في أحضان الاستعمار والاستبداد . ونقطة البدء يجب أن تكون باصلاح الأوضاع الدستورية القائمة ، وتحقيق ارادة الامة ، والتخلص من الاستبداد الداخلي والظلم الاجتماعي (٦٠) .

وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، بادر محمد مندور الى الدفاع عن النظام الديمقراطي بعد اصلاحه مما لحق به من عيوب وشغرات فنشر كتيبا بعنوان " الديمقراطية السياسية " أوضح فيه بشجاعة وجهة نظره ، مشيرا الى أن تعدد الاحزاب ضرورة ملازمة لطبيعة الديمقراطية ، ومؤكد أن الدعوة الى محاربة تعدد الاحزاب دعوة رجعية تحارب الحرية ، وتمهد السبيل لانواع من الحكم الاستبدادي ، الذي يجب أن نجنب بلادنا وبلاتته حتى نظل أحرارا ، وحتى تزدهر ملكات الشعب في ظل تلك الحرية المقدسة .

ولكن الطريق التي سار فيها جماعة الضباط الاحرار ، آلت الى الغاء الاحزاب ، فعاد مندور الى التدريس والى الكتابة في الصحف والمجلات ، مؤملاً أن تكون هذه التجربة محققة للتطلعات التي كان يدافع عنها داخل حزب الوفد . وطوال الفترة الممتدة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٤ ، لم ينقطع عن التدريس بمعهد الصحافة ومعهد التمثيل ، ومعهد الدراسات العربية العالية ، حيث اهتم بتحليل مظاهر الأدب العربي المعاصر انطلاقاً من مجموعة من الدواوين والمسرحيات (٦١) .

ستضح من خلال تتبعنا لكتابات محمد مندور السياسية والاجتماعية فيما بين عامي ١٩٤٤ ، ١٩٥٢ أنه كان واحداً من رواد الحركة الوطنية التقدمية التي ربطت بين الاستقلال السياسي ، والتحرر من التبعية الاقتصادية . وكانت دعوته الى الإصلاح ، مع تحقيق العدالة الاجتماعية ، تمثل انعكاساً لمطالب شرائح عديدة من أفراد المجتمع ، عانت الكثير من الفقر والمرض والحرمان (٦٢) .

وعلى الرغم من التدهور الذي وصل اليه حزب الوفد عقب توقيعه معاهدة ١٩٣٦ ، وكذلك قبوله وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، التي فرضت من قبل سلطات الاحتلال ، بالإضافة الى تسرب عدد كبير من العناصر شبه القطاعية وكبار الملاك الى قيادة الوفد ، والتي كانت تمثل الجناح اليميني في الحزب ، فقد ظل محمد مندور مرتبطاً بالتار الاصيل داخل الحركة الوطنية الممثلة في حزب الوفد آنذاك . وكان يحلم هو وآخرون من الطليعة الوفدية بدفع الوفد الى سلوك سياسة اصلاحية اكثر تقدمية ، غير أن قيادات الحزب التقليدية ومصالح كبار الملاك والرأسماليين من الجناح اليميني المسيطر على الحزب ، وعلى توجهاته السياسية والاجتماعية كانت اكثر صلابة أمام تطلعات هذه الفئة التقدمية داخل الحزب والتي بنتمى اليها محمد مندور .

وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ورأى محمد مندور أن دعوته الى الإصلاح وتحقيق العدالة الاجتماعية بدأت تأتى ثمارها ، انسحب من

---

(٦١) محمد برادة ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .  
(٦٢) جدير بالملاحظة أن لمحمد مندور العديد من المؤلفات الادبية ، فضلاً عن بعض الكتب التي ترجمها عن الفرنسية .

من الميدان السياسى ليوحه نشاطه الى مجال التأليف والدراسات الادبية وان كان فى رحلته الادبية الاخيرة بعد الثورة يحرص باستمرار على ابراز الدور الاجتماعى للأدب ، مشيرا الى أن الأدب انما هو وسيلة من وسائل تغيير المجتمع ومساعدته على التطور .

\* \* \* \*

مصادر البحث :

أولا : الوثائق :

• مضابط جلسات مجلس النواب عام ١٩٥٠ .

ثانيا : الدوريات :

• البعث ، اسبوعية ، ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .

• الاخبار ، يومية ، يوليو ١٩٤٦ .

• الوفد المصرى ، يومية ، ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .

• رابطة الشباب ، يومية ، ١٩٤٤ - ١٩٥٢ .

• صوت الامة ، يومية ، ١٩٤٦ - ١٩٥٠ .

ثالثا : المراجع :

• ابراهيم عامر : ثورة مصر القومية ، القاهرة ١٩٥٧ .

• أحمد عبد الرحيم مصطفى (الدكتور) : العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦-١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٦٨ .

• الهلال : كتابات لم تنشر ، العدد ١٧٦ ، القاهرة ١٩٦٥ ( اكتوبر ) .

• رءوف عباس حامد ، الدكتور : جماعة النهضة القومية ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٥ .

• شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٦ ، دار شهدى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٣ .

• عاصم أحمد الدسوقى ، الدكتور : مصرفى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٧٦ .

- طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ،  
دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ .
- فؤاد دواره : عشرة أدياء يتحدثون ، الهلال ، العدد  
١٧٢ ، القاهرة ١٩٦٥ .
- محمد برادة ، الدكتور : محمد مندور وتنظيم النقد العربى  
، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٦ .
- محمد دويدار ، الدكتور : الاقتصاد المصرى بين التخلّف  
والتطوير ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية  
١٩٧٨ .
- محمد مندور ، الدكتور : نماذج بشرية ، القاهرة ، الطبعة  
الثالثة ١٩٦٦ .
- محمد مندور ، الدكتور : الديمقراطية السياسية ، كتاب  
المواطن ، القاهرة ١٩٥٢ .

\* \* \* \*

## مديرية دنقلة فى ظل الحكم المصرى

( ١٨٢٠ - ١٨٧٩ )

د. الهام محمد على نهنى

كلية الدراسات الانسانية - جامعة الأزهر

تعتبر الفترة الممتدة من عام ١٨٢٠ الى ١٨٧٩ من ازهى الفترات التى شهدتها مديرية دنقلة ، ويرجع ذلك الى الاصلاحات العديدة التى قامت بها الحكومة المصرية منذ عهد محمد على وحتى عهد الخديوى اسماعيل . وتعد مديرية دنقلة من مديريات السودان القلائل التى لم تواجه عجزا دائما فى ميزانيتها ، وذلك بسبب خصوبة اراضيها وثروتها الزراعية المتنوعة ونشاط الصناعة فيها ، بالإضافة الى أن سكانها امتازوا بالاخلاص والشجاعة فعمل الكثيرون منهم مع الادارة المصرية . وكانت دنقلة مركزا رئيسيا للمماليك بعد فرارهم من مصر اثر مذبحة القلعة ، فعملوا على مراقبة الاوضاع فى مصر لانتهاز أية فرصة لاستعادة حكمهم فيها (١) .

امتدت مديرية دنقلة على النيل من عكاشة الى حلة برتى عند الشلال الرابع (٢) يحدها من الشرق خط يمتد من حلة برتى الى آبار جيرة مارا بآبار الجكدول (٣) . ومن الجنوب خط يصل آبار جيرة بآبار عين حامد .

وقد لعبت مدن (٤) دنقلة دورا هاما منذ قامت قوات محمد على

- (١) نسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٣٣ .
- (٢) توجد ستة شلالات من اسوان حتى الخرطوم ، وفى دنقلة يوجد الشلال الثالث وهو شلال حنك ، على بعد ٢٤٠ ميلا من الشلال الاول وطولسه ثلاثة أميال ، والشلال الرابع شلال الادريقية فى بلاد الشاقمة على بعد ٢٥٠ ميلا من الشلال الثالث .
- (٣) آبار جيرة مائة ستر بين الدبة وأم درمان وعلى بعد ٥٠ ميلا من أم درمان ، ٢٠٠ ميل من الدبة ، وآبار الجكدول تقع بين كورتى والمتمة وتمتاز آبار دنقلة بغزارة مياهها .
- (٤) أهم مدن وقرى دنقلة : فركة ، كوشة جنس ، عمارة ، عبرى ، كويكن ، سناردة ، قبة سليم ، صلب ، تنزه ، ابو صارى ، دلقو ، كوكى ، كدين ، فمريج ، جزيرة اردوان ، قبة آسى فاطمة ، الكرمة ، الحفير ، دنقلة ، حلة الصحابة ، حلة ساتى ، الخناق ، سسر ، الخندق ، دنقلة العجور ، ابو قس ، الدبة ، الدفار ، الحباس ، بجوش ، بابا امبول ، كورنى ، حنك ، مروى ، صنم ، الدوهم ، نورى ، لبل ، الدقاقات ، وتنبع مديرية دنقلة حاليًا بالمديرية الشمالية فى

بفتحها ، كذلك اسان الثورة المهدية ، وعندما سقطت دنقلة في يـسـد الدروايش عملوا على تخريب عاصمة المديرية دنقلة الجديدة<sup>(٥)</sup> ونقلوا مركزها الى دسما الواقعة على بعد ستة أميال منها ، ولكن عندما أعادت الحكومة المصرية فتح السودان ، اتخذت من دنقلة الجديدة عاصمة للمديرية مرة ثانية<sup>(٦)</sup> .

ورغم ان أقليم دنقلة يعتبر نوبيا لحما ودما ، الا أن القبائل العربية استقرت فيه وخاصة القبائل الجعلية<sup>(٧)</sup> ، التي اتخذت من شندى مركزا لها . والواقع ان الاقليم لم يكن خاليا من السكان حينما نزحت اليه القبائل العربية ، فسكانه الاصليون على الأرجح من السلالة القوقازية التي نجدها ممثلة في شمال السودان ، وبلاد النوبة ، ومصر العليا . ونظرا لاستقرار القبائل الجعلية في دنقلة أطلق عليها هارولد كامايكل المجموعة الجعلية الدنقلوية ، لأن بعض فروعها يعيش في مديرية دنقلة ، والدناقلة في الاصطلاح الجنس هم فرع من السلالة النوبية وليسوا مجرد سكان مديرية دنقلة مع التسليم بأنهم دخلتهم دماء عربية<sup>(٨)</sup> .

لم تشهد المنطقة استقرار القبائل الجعلية فقط وانما شهدت ايضا استقرار بعض فروع قبيلة جهينة العربية واشهر القبائل التي انتمت الى جهينة في دنقلة الرفاعة والشكرية الذين بلغوا في تنقلاتهم حتى شندى<sup>(٩)</sup> . وقد انصهرت هذه القبائل مع أهالى دنقلة انصهارا تاما ،

٥) سميت دنقلة الجديدة تمييزا لها عن دنقلة العجوز التي كانت عاصمة النوبة السفلى وعرفت ايضا بدنقلة الاوردي أو العرضى لأن اسماعيل باشا بعد فتح السودان اختارها عاصمة للبلاد بدلا من دنقلة العجوز فوضع فيها اورديا أى فيلقا من الجند فاطلق عليها الاوردي وحرف إلى العرضى وهي تقع على بعد ٢٥٩ ميلا من حلفا وفى طسول ٣٠ ١٩ وعرض ١٩ ١٠ .

٦) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته . القاهرة ١٩٠٣ ج ١ ص ٦٩٠ .

٧) ومنها المناشير التي انتشرت أوطانها فيما بين أبى حمد الى آخر الشلال الرابع ، والشايقية من الشلال الرابع الى اقلمس الدبسة ، والجوابرة في داخل النوبة بين الدناقلة والمحس ، والركايبسة وموطنهم بلاد المحس .

٨) كتب عن تاريخ العرب في السودان والقبائل العربية فيه واشهر مؤلفاته

٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٥١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

١٠) المرجع السابق ص ١٤٠ .



وتحدث بركهاردت عن هذه القبائل اثناء مروره فى المنطقة فى بداية القرن التاسع عشر فمدح الجعليين فى شندى وتحدث بإفاضة عن نشاطهم الاقتصادى (١١) كما وصفهم رومولوجيسى فى رحلاته الى افريقيا الاستوائية واستعان بهم فى التوغل داخل القارة ، وكتب انه يتمنى تكوين جيش من الدناقل لشجاعتهم ولمهارتهم واتقانهم فن الملاحة وخاصة فى مناطق الجنادل والشلالات (١٢) وأشاد بمديرية دنقلة وأهلها الطبيب والمكتشف الالمانى جونكر (١٣) عند زيارته للمنطقة فى عهد حكمدارية جوردون (١٤) .

وقبيل الفتح الاسلامى شهد شمال السودان قيام ثلاث ممالك مسيحية (١٥) وتمسك اهالى النوبة بالمسيحية بعد الفتح العربى ، حتى استطاع الامير النوبى عبد الله سنبو انتزاع الحكم من آخر ملوك دنقلة المسيحيين كرنبيس عام ١٣١٨ فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون ، وأصبح بذلك أول ملك مسلم ، وانتقل الحكم فى دنقلة الى القبائل العربية التى اخذت تتدفق على المنطقة ونجحت فى كسر شوكة الامراء النوبيين (١٦) .  
ويتكلم أهالى دنقلة اللغة النوبية (١٧) ، وحينما تدفقت افواج

(١٦) Grandin, Nicole: Le Soudan Nilotique et l'administration Britannique (1898-1956) Leiden 1982, P. 36.

(١٢) Gessi Pacha Romolo: Seven years in The Sudan, London 8920- P. 125.

(١٣) سافر جونكر الى افريقيا ١٨٧٥ - ١٨٧٨ ثم توقف برحلته لظروف صحية ثم تابع رحلاته ٧٩ - ١٨٨٣ .

(١٤) Junker, DR Wilhelm: Travels in Africa during the year 1875-1878, London, 1971, P.5

(١٥) هذه الممالك هى مملكة مروى وكانت حدودها من اسوان الى الشلال الاول ، ويلها جنوبا مملكة المقررة وتسمى مملكة دنقلة وعاصمتها دنقلة العجوز ، وكانت بلدة الابواب حدها الجنوبى واستمرت حتى القرن ١٦ وعاصمتها سوبا على الضفة اليمنى للنيل ، ثم مملكة سوبا أو علوة عند ملتقى النيلين الابيض والازرق ، وبعد الفتح الاسلامى اندمجت مملكة مروى فى مملكة المقررة واصبحتا مملكة واحدة عاصمتها دنقلة .

(١٦) Cahiers d'histoire Egyptienne. Nubie, Le Caire PP. 143-174.

(١٧) اللغة النوبية عدة لهجات كثرى ، متوكى ، محسى ، دنقلاوى وبين الاولى والاخيرة ورغم بعد المساحة الجغرافية تقارب لغوى وثيق واللغة النوبية احدى اللغات الحامية وهى ليست عريقة فى تاريخ سكان وادى النيل ترجع الى القرن ٣ ق م ويقال انها است من جنوب كردفان ووفدت على السودان الشمالى فوجدت لغة مروى هى السائدة فعاشا جنبا الى جنب وربما كانت النوبية هى التخاطب =

القبايل العربية على السودان الشمالى وجدوا ان اللغة النوبية هى اللغة السائدة بين السكان الاصليين فوق النزاع بين العربية والنوبية فى حين ظلت مناطق اخرى يسكنها الكنوز ، المحس ، والداقله ، والسكنوت محتفظة بالنوبية الى جانب العربية فاصبح لكل منهم لغتان ، النوبية يتكلمها مع أهله ، والعربية يستخدمها مع سائر الناطقين بها ، وحالها النوبة لا تزال تسعير من العربية الفاظا وتراكيب حتى أن حوالى ثلاثين فى المائة من مجموع الفاظها مستمدة من العربية (١٨).

وسكان دنقلة مسلمون سنيون ، واكثرهم يتبع مذهب الامام مالك ، وقد انتشرت بينهم الطرق الصوفية ، ومن اهمها الميرغنية والادريسية التى انتشرت فى ارقو (١٩) ، والرشيده وهى فرع من الادريسية (٢٠) .

وقد انقسمت مملكة النوبة قبيل الفتح المصرى للسودان من الناحية السياسية الى ثلاثة اقسام هى النوبة ، اراضى عرب الشايقية ، وامتدت الى جزيرة ساي وكانت تحت السيادة التركية ، وقد أخضع محمد على هذه المنطقة باسم السلطان العثمانى ، أما دنقلة فقد احتلها المماليك بعد فرارهم من مصر ، أما عرب الشايقية فقد كونوا اتحادا من القبائل المتفرقة وكانت لهم سمعة كبيرة فى القتال (٢١) ، وامتد نفوذهم من كورتى (٢٢) حتى الشلال الخامس ، واستقروا فى دنقلة ، وفى وادى حلفا ، وقد أدى وصول المماليك الى دنقلة الى ارتداد الشايقية جنوبا حتى الدبة (٢٣) فى مواجهة كورتى (٢٤) وتم عقد صلح بين الطرفين احتل بمقتضاه المماليك الضفة الغربية ما بين

= ولغة مروى لغة الكهنة والدولة الى ان سقطت مملكة مروى ولكنها

لغتها ظلت حية باقية الى جانب النوبية حوالى ستة قرون .  
(١٨) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان . بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٤ .

(١٩) تقع جزيرة ارقو جنوبى خلال حنك وطولها ٢٠٠ ميل .  
(٢٠) محمد عوض : المرجع السابق ص ١٧ ، ١٨ .

(٢١) شبه الجنرال Weygand الشايقية يقبائل الغال فى فرنسا قبيل الغزو الرومانى وقدم وصفا دقيقا عنهم وعن ملابسهم واسلحتهم .

(٢٢) تقع يسار النيل وعلى بعد ٣٥ ميل من اميقول .  
(٢٣) تقع شرق النيل على نحو ١٦ ميل من ابى قس ، ١٠٤ ميلا من دنقلة ،

وهى أقرب مركز الى أم درمان ، وبينهما طريق شهير فى الصحراء يمر بآبار الجيرة .

(٢٤) Weygand, Le General: Mohammed Aly et ses fils, Paris, 1936, Vol. I, P. 122.

الخنديق (٢٥) وحملك (٢٦) واختاروا مراغة عاصمة لهم والتي سرعان ما ازدهرت وعرفت بدنقلة الجديدة . ولكن رغم استقرار الممالك في دنقلة إلا أن الحروب لم تنقطع بينهم وبين الشايقية حتى قدوم جيش اسماعيل باشا ابن محمد على (٢٧) .

وبصفة عامة يمكن القول ان السودان قبل وصول محمد على كان ممزقا ، لا توجد وحدة تجمع بين قبائله المختلفة ، وكانت أقوى القوى السياسية في ذلك الوقت في سنار ودارفور ، ولكن سيادة سنار على دنقلة وشدى وبربر كانت أسمى أكثر منها حقيقية (٢٨) .

وقد شجع هذا الوضع السياسي المضطرب محمد على ، على فتح السودان ، وخاصة وان الممالك استمروا في اشارة الاضطرابات ، ولم ينسوا جنتهم المفقودة في مصر (٢٩) ، وقد خشي محمد على ان يتعاون الممالك مع الحبشة لقيام دولة مملوكية تسيطر على حوض النيل الأوسط وخاصة وانهم حاولوا الاتصال بالحبشة وسلاطين دارفور ، ولذلك أرسل وفدا الى سلطان سنار عام ١٨١٣ طالبه بالعمل على مقاومة نفوذ الممالك ، والواقع ان الوفد كتب تقريراً عن أحوال البلاد ، أفاد منه محمد على (٣٠) . وفي الوقت الذي اهتم فيه محمد على بارسال البعثات الى السودان ، جاءته وفود من كبار الشخصيات في السودان لمقابلته ، فكان بعضهم يشكو من ضياع امارته ، والبعض الآخر يرغب في الوحدة مع مصر ، وطلبوا منه القدوم الى السودان (٣١) .

أرسل محمد على الى الممالك في دنقلة وفدا يطلب منهم العودة الى مصر والاقامة فيها بشرط أن لا يستوطنوا المدن المصرية الا باذن منه ، وأن يحضروا الى العاصمة يحرسهم بعض ضباطه حتى لا ينهبوا شيئاً

---

(٢٥) تبعد عن الخندق ٤٤ ميلا عن دنقلة الاوردي .

(٢٦) حنك بلدة كبيرة على يمين النيل وعلى بعد ٢٠ ميل من كورتى وكانت مركز ملوك الشايقية .

(٢٧) نعوم شقير : المرجع السابق ص ١٠ .

(٢٨) Cocherries, Jules: Situation internationale de L'Egypte et du Soudan, Paris, 1903, P.31.

(٢٩) Weygand, Le G: Op.Cit., P. 121.

(٣٠) زاهر رياض : مصر وافريقيا ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ .

(٣١) جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٣٤ .

من القرى والمدن التي سمرونها في طريقهم الى القاهرة ، وان يتنازلوا عن امتيازاتهم القديمة ولا يطالبوا بما اخذ بعد مذبحة القلعة ، وكان محمد على يدرك ان الممالك لن يقللوا هذه الشروط المهمة (٣٢) ولذلك صمم على محاربتهم رغم ادراكه انهم لم يكونوا من القوة بحيث يغزون مصر ، وانما خطورة الموقف بالنسبة لمحمد على في ان الممالك احدثوا اضطرابا شديدا في دنقلة واعتبروا ان فترة حكمهم فيها مؤقتة وانه لا بد لهم من العودة الى مصر مرة ثانية كما انهم تاجروا في الرقيق ودرّبوهم على استخدام الاسلحة النارية (٣٣) . وقد وصف بوركهاردت الممالك واغاراتهم على جيرانهم والمعارك التي دارت بينهم وبين الوطنيين وخاصة في سكوت والمحس وغيرها من مدن دنقلة بقوله " انهم يباغتون السكان وكأنهم مجموعة من الذئاب تسبب الخراب والدمار " (٣٤) .

ولا جدال ان هدف محمد على من فتح السودان لم يكن للقضاء على الممالك فحسب وانما كانت له أهداف اخرى من هذا الفتح وكان استيلاء القوات المصرية على دنقلة والقضاء على الممالك فيها هو التمهيدي الطبيعي لفتح باقى مناطق السودان امام النفوذ المصرى .

وقع عبء الحملة فى السودان على اسماعيل باشا ثالث ابناء محمد على وقد وصفه Weygand بأنه أقل مقدرة من أخيه طوسون وأقل مهارة حربية من ابراهيم باشا ، تكونت الحملة من أربعة آلاف رجل من البانيين ومغاربة وعرب العيايدة وقد صاحب قوات اسماعيل باشا حملة بقيادة محمد بك الدفتردار (٣٥) . وقد تجمعت قوات اسماعيل باشا فى حلفا وتم نسف الصخور التى تعترض سير المراكب فى الشلال الثانى ، وفى حلفا قدم اليه اربعة وعشرون من الممالك وجدوا انه من الافضل لهم ان يغادروا دنقلة شمالا لتسلم انفسهم بدلا من الفرار جنوبا الى مجاهل افريقيا وتقدمت قوات اسماعيل باشا نحو دنقلة وحددت نهائية

(٣٢) عبد الرحمن الراجعى : عصر محمد على ، دار المعارف ١٩٨٢ ، ص ١٥٩ .

(٣٣) ادورد جون : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٣١ ، ص ٥٩٣ .

(٣٤) Burckhardt, John Lewis: Travels in Nubia, London, 1822, P. 22.

(٣٥) The Cambridge history of Africa 1790-1790-1790-1870 Cambridge 1976 Vol. 5 P. 22.

المرحلة الاولى من الحملة بفتحها ، اتجهت المراكب جنوبى وادى حلفا حتى وصلت سكوت وسارت قوات اسماعيل باشا فى سكوت حيث كان الكاشف حسن وردى متحصنا فى قلعته وقد فر المماليك عندما علموا بقدوم الجيش المصرى ، فاتجه البعض منهم الى شندى ، واستولى الرعب على البعض الآخر ، فحضروا الى القاهرة يرتدون ثيابا بيضاء يلتمسون الرحمة من محمد على (٣٦) .

تقدمت قوات اسماعيل باشا الى المحس وارقو واضطر بقية المماليك الى الاتجاه نحو واو وتابع البعض منهم السير حتى طرابلس (٣٧) .

وجدير بالذكر ان الوطنيين فى السودان ظنوا بعد احتلال الجيش المصرى لسكوت ، والمحس ، وارقو ، ان القوات المصرية سوف تعود الى مصر بعد تشتيت شمل المماليك ، وانها انتهت من مهمتها ، ولذلك لم يهتموا بتركيز المقاومة ، وتجمع القوات لمواجهة القوات الزاحفة (٣٨) ، فكان ذلك من العوامل التى يسرت الاستيلاء على المنطقة ، ونجح اسماعيل فى التقدم نحو كورتى ، حيث تجمع الشايقية فالحق بهم هزيمة فادحة وانفتح الطريق امامه الى سنار (٣٩) .

وفى طريقه الى سنار قضى على البقية الباقية من المماليك فى شندى فكانت آخر مدينة شاهدت مصرع المماليك (٤٠) . والواقع ان انتصارات اسماعيل فى السودان ، كان لها أثرها الطيب فى القاهرة ، فيذكر الجبرتي ان المدافع ضربت من القلعة ابتهاجا بهذه المناسبة (٤١) .

اتخذ اسماعيل من دنقلة مقرا له ومركزا للقوات المصرية قبل ان يستأنف الزحف على بلاد السودان ، ومعظم أوامره صدرت منها ، حتى مقتله فى شندى على يد الملك نمر (٤٢) .

كان اسماعيل بن محمد على هو أول من نولى حكومة عموم السودان ،

---

Weygand, Le G: Op.Cit., P. 124. (٣٦)

Hill, Richard: Egypt in the Sudan 1820-1881, N.Y.P.9. (٣٧)

(٣٨) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٢ .

Weygand, Le G: Op.Cit., P. 125 (٣٩)

(٤٠) نعوم شقير : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٠ .

(٤١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار فى التراجم والاخبار ص ٣٢٠ .

Deschamps, Hubert: Histoire Generale de (٤٢)

L'Afrique Noire. Paris, 1971, Tome I, P. 316.

فلم تأت نهاية عام ١٨٢٦ حتى كانت الادارة المصرية قد امتدت على النيل حتى أعالي النيل الأبيض وإلى منتصف النيل الأزرق وإلى كردفان وقد أصدر محمد علي أمرا بتعيينه في منصبه في يوليو ١٨٢٢ ، وبعد مقتله في شندى (٤٤) ، عين محمد علي صهره محمد بك الدفتردار حاكما عاما على السودان في فبراير ١٨٢٣ ، وظل يحتل هذا المنصب حتى أكتوبر عام ١٨٢٤ ، وقد اتخذ محمد بك من دنقلة مركزا له ، ومقرا لتجميع قواته ، فعن طريق الدية في دنقلة جمع قواته للاتجاه بهد صوب كردفان (٤٥) .

ثم خلفه محمد بك جركسى ، الذى قتل عام ١٨٢٦ ، وخلفه خورشيد لىظل في منصبه اثني عشر عاما ، عمل خلالها على تنفيذ سياسة حكمه في تلك الاقاليم ، ويمكن أن نعتبر ان الحكام الثلاث الأول لم يقوهم بالشئ الكثير في ادارة السودان ، ولكن يمكن أن ينسب اليهم فتح السودان (٤٦) ، فقد اضطبغت السنوات الأولى بعد الفتح بالصفى العسكرية ، ولكن ابتداء من عام ١٨٢٦ بدأ الاتجاه في ادارة السودان نحو ايجاد حكومة مركزية مدنية تتبعها المديريات مباشرة ، وتركيب المسئولية الادارية في السودان أمام حكومة القاهرة (٤٧) ، واهم الادارة الجديدة تعمل على ارساء الاسس اللازمة للعمل فلم يكن لالحملة المصرية خطة مرسومة تحتوى على دراسات تفصيلية للادارة ، لأن امتداد الادارة المصرية ليشمل شطرى وادى النيل كان أول تجرب من نوعها (٤٨) .

أولت الحكومة المصرية اهتماما كبيرا بالسودان وخطت مديريه دنقلة بصفة خاصة بالمزيد من عناية الادارة المصرية في مختلف المجالات :

- 
- (٤٣) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٢٨ .  
(٤٤) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن مقتل اسماعيل في شندى ، انظر الشاطر البصلى " معالم تاريخ السودان وادى النيل " .  
(٤٥) Michael, Harold: The Anglo Egyptian Sudan , London, 1934, P. 34.  
(٤٦) جلال يحيى : المرجع السابق ص ٣٨ ، ص ٤٠ .  
(٤٧) ابراهيم شحاتة حسن : مصر والسودان ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ١٠٧ .  
(٤٨) الشاطر بصلى عبد الجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٥ ص ١٣٧ .

ففى مجال الزراعة شهدت المديرية تطورا كبيرا ساعد على ذلك ان المنطقة كانت من أفضل المناطق ، فالنهر معتدل الجريان خال من الجنادل ، سهل الملاحة ، يتسع السهل الفيضى فى عدة مواضع ، مما يتيح للسكان فرصة الزراعة على نظام رى الحياض مع الاستعانة بالسواقي وكان الدناقل من أنشط الجماعات فى السودان فى الزراعة والتجارة ، أما المحس فان أوطانهم تتخللها جنادل الشلال وفيها يفيق مجرى النهر بحيث لا يتسع للزراعة ومع ذلك هناك جهات يتسع فيها الوادى وتيسر فيها الزراعة فكانت مناطق المحس وسكوت بوجه عام محدودة الموارد عن باقى مناطق دنقلة (٤٩) . وبصفة عامة كان السكان فى دنقلة يفخرون انهم من طبقة الفلاحين بخلاف غيرهم من السودانين فقد نشأوا على الفلاحة (٥٠) .

وقد جذبت مديرية دنقلة اهتمام حكام السودان فاهتم خورشيد باشا بتطوير الزراعة والرى واقترح صناعة سواقي فيها شبيهة بالسواقي المصرية المتقدمة نسبيا على طول الطريق من دنقلة الى سنسبار وكردفان (٥١) وشجعت الادارة المصرية على انشاء السواقي سواء للمواطنين أو للجنود المقيمين فى نواحي الاقليم وقد قدر الرحالة الالمانى بكثر مسكاو عدد السواقي فى عهد محمد على فى دنقلة بين اربعة آلاف وخمسة آلاف ساقية مما يدل على اتساع نطاق الزراعة ، وأشار الرحالة الفرنسى كادلين عام ١٨٣٥ ان السواقي المقامة على النيل فى دنقلة انما تدل على ازدهار الزراعة فيها (٥٢) .

بالاضافة الى التوسع فى استخدام السواقي اهتمت الادارة المصرية بتوفير المياه اللازمة للمديرية فتم حفر الترغ والقنوات اللازمة للرى ، وتم الاستعانة بالمهندسين المصريين من ذوى الخبرة ، صدرت الاوامر للمديرين فى مصر لتسهم مديرياتهم بارسال عدد كبير من الفلاحين المهرة للمساهمة فى تعمير السودان مما ترتب عليه هجر الفلاحين أراضيهم فقدم المديرون فى مصر عام ١٨٢٩ شكوى للحكومة بان

(٤٩) محمد عوض : المرجع السابق ص ٣٠٢ .

(٥٠) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٧٥ .

(٥١) بشير كوكو حميدة : ملامح من تاريخ السودان فى عهد الخديوى

اسماعيل ، الخرطوم ١٩٨٣ ص ١ .

(٥٢) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٨١ .

العديد من الفلاحين تركوا بلادهم واتجهوا للعمل في دنقلة ، وقد شجع على هذه الهجرة ان الضرائب المفروضة على الأراضى الزراعية فيها اقل من تلك الضرائب المفروضة على الأراضى في مصر كما أن محمد على لسم يشدد في تطبيق القوانين والنظم على الفلاح السودانى مثلما فعل مع الفلاحين في مصر وذلك من أجل تشجيع الزراعة (٥٣) .

اشتهرت دنقلة بحاصلاتها الزراعية وخاصة النخيل واجود انواعه عرفت بنخيل سكوت والمحس ، ونخيل الشايقية ، وقد استخرج السكان من البلح العرق والنبيذ والخل ، أما الدوم فقد استخدمت ثماره كغذاء للإنسان ، كما اشتهرت المديرية بأشجار السنط المعروفة بصلابتها ومتانة أخشابها ، فتم الاستفادة منها في صناعة المراكب الكبيرة والسواقي وانتشرت في دنقلة أشجار الصمغ والشعير والدخن (٥٤) .

وبالإضافة الى الغلات التى اشتهرت بها دنقلة حرصت الادارة المصرية على ادخال حاصلات جديدة مثل النيلة وإن كانت تنمو بريا الا انه تم جلب تقاوى جديدة من النيلة الهندية والشامية لتحسين نوعها ، كما نجحت زراعة الكتان وخاصة بعد ان جلست التقاوى اللازمة من منسوف وأشمون جريس فتم التوسع في زراعته للاستفادة منه في صناعة القوارب المحلية بترسانة السودان والاستغناء عما يرد من ترسانة بولاق، كذلك تم التوسع في زراعة الأرز وقصب السكر لصناعة السكر وأشجار الفاكهة ، ويذكر بكلمر مسكاو ، عند زيارته لدنقلة عام ١٨٣٧ ان الحدائق والبيسات انتشرت في دنقلة ومنها الكروم وأشجار الفاكهة مثل الرمان والليمون والبرتقال مما لم يكن معروفا في أكثر جهات السودان من قبل (٥٥) .

وقد انحصرت سياسة محمد على في السودان صفة عامة ، وفي دنقلة صفة خاصة في نشر الوعى الزراعى وتنمية الحاصلات المحلطة وادخال حاصلات جديدة ، واستعان محمد على بالخبراء الفنيين من المهندسين

---

(٥٣) شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٦٩ ، ج ١ ص ٤١ .

(٥٤) نعوم شقير : المرجع السابق ج ١ ص ٣٣ ، ص ٣٦ .  
(٥٥) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٧٨ .



والمشايع والخولية المصريين الذين استقدمهم من مصر لهذا الغرض، وكان يتم اختيارهم من مديريات الوجه البحرى ويشترط فيهم الكفاءة<sup>(٥٦)</sup>.

وقد شهدت دنقلة تطورا كبيرا فى عهد الخديوى اسماعيل فاستمر الاهتمام بتوفير المياه العذبة وتطوير آلات الري ، ولما كان التمر من أهم الحاصلات فقد وجهت العناية اليه ، وتم زيادة المساحة المزروعة بالنخيل ، فزاد محصول التمر السنوى ، وتم التوسع فى تصديره الى بربر والخرطوم ، ومنها الى اقاصى السودان ، وحتى خط الاستواء والحشة ، واذا كانت كسلا والخرطوم قد شهدتا فى عهد اسماعيل توسعا كبيرا فى زراعة القطن ، فان دنقلة شهدت بدورها توسعا كبيرا فى زراعة النخيل<sup>(٥٧)</sup>.

وفى عهد مدير دنقلة حسين بك خليفة تطورت الزراعة تطورا كبيرا فقد قام بالعديد من الاصلاحات فى المديرية يتضح لنا ذلك من بيان نشر فى *Statique de L'Egypte* عام ١٨٧٣ يوضح ارتفاع معدلات انتاج الحاصلات الزراعية وتزايد المساحة المنزرعة بالقطن فى دنقلة وبربر الى ٩٠٨٨٥ فدان وارتفاع المحصول الى ١٢٠٣٥٦ قنطار وقد تم رى هذه المساحة بواسطة ٦٥٩٠ ساقية .

وقد تم احصاء الغلات الزراعية والمساحة المزروعة لكل منها فى مديرية دنقلة وبربر فى عام ١٨٧٣ على النحو التالى :

الغلات الزراعية	المساحات المزروعة	الانتاج السنوى
القمح	٤٨٢٨٨ فدان	٧٥٣٢٦ أردب
الفلول	١٩٠٣	٨٨٠٧ ،،
البصل	١٣٠٣	٢٦٠٧٣ قنطار
الدخان	٢٨٨٣	٤٣٢٥ ،،
الشعير	١٥٠٠٠	٢٢٥٠٠ ،،
الشوفان	٢٠٠٠٠	٢٤٠٠٠ أردب

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٥٧) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٢ .

الغلات الزراعية	المساحة المزروعة	الاستاج السنوي
الترمس	١٨٠٠	٢٢٥٠ أردب
اللوبيا	٢٥٠٠	٣٧٥٠ ،،
الذرة	٥٤٧٥٤	٢٧٣٧٧٠ ،،

وقد أولى مدير دنقلة حسين بك خليفة المديرية اهتماما كبيرا ، ولم يكتف بالاهتمام بتوسيع الرقعة الزراعية وادخال حاصلات جديدة فيها ، وانما اهتم بتخفيض الضرائب في دنقلة فكتب في اكتوبر ١٨٧٣ الى القاهرة بضرورة تخفيض الضرائب لتشجيع الاهالى على الزراعة وخاصة الضرائب التى فرضت على النخيل فى مروي وسكوت (٥٨) .

وفى مجال الصناعة شهدت مديرية دنقلة اهتماما كبيرا بالصناعة وخاصة صناعة السفن ، شجع على ازدهارها توفر الاخشاب وخاصة خشب السنت بالإضافة الى توفر الايدى العاملة الرخيصة (٥٩) . ولقد استخدمت المراكب النيلية فى السودان قبل الفتح المصرى ولكنها كانت مراكب صغيرة الحجم ولكن بعد امتداد الادارة المصرية تم صناعة المراكب الكبيرة الحجم وخصصت بعض المراكب لحمل الركاب وبعضها الآخر للبضائع وكان لكل مركب رساله رجال مسلحون وبخارية ، ولما كانت العقبة الوحيدة فى الملاحة هى الشلالات ، فقد قرر محمد على بعد زيارته للسودان حفر قناة عميقة بين الشلالات فتزايدت السفن الواردة من أسوان الى دنقلة ، واقترح محو اقنذى حاكم دنقلة بناء مرسى للسفن فى بلاد الشايقية حيث يكثر خشب السنت فكتب انه بإمكانه بناء مرسى الى ٢٥ الى ٣٠ مركبا سنويا لحمل البضائع الى القاهرة (٦٠) وانشئت لأول مرة فى تاريخ السودان الترسانات لصناعة السفن فى سنار ودنقلة والخرطوم وبربر ، واحضرت الحكومة المصرية العمال المصريين المتخصصين فى هذه الصناعة ومنهم النجارون والحدادون والقلفاطية ، كما امدت ترسانة بولاق ترسانات السودان بحاجتها من المواد اللازمة لهذه الصناعة مثل مشاققة الكتان والبياض والزفت والماسير والمناشير

(٥٨) Douin, G: Histoire du regne du Khedive Ismail, Le Caire 1936(1863-1869) 1<sup>er</sup> Partie Tome III, P.24.  
(٥٩) بشير كوكو : المرجع السابق ص ١ .

Hill, R: Op.Cit., PP. 60-62.

(٦٠)

ثم بعد ذلك صناعة هذه الاشياء محليا وان تعتمد على موارد البلاد والمواد الخام دون الاستيراد من مصر فعندما كانت ترسانة دنقلة ترسل في طلب الحديد والكتان اللازم لصناعة السفن من ترسانة الاسكندرية كان الرد انه يجب ان تحصل على الحديد الذى تحتاج اليه مما يستخرج من مناجم كردفان أو دار فور أما الكتان فيستعاض عنه بالقطن المزروع في السودان (٦١) .

أولت الحكومة المصرية اهتماما كبيرا لصناعة السفن ولذلك اهتمت بكل ما يتعلق بهذه الصناعة من احتياجات ومواد خام ، كذلك حرصت على الافادة من تأسيس ترسانات السفن وخاصة فى دنقلة وشددت على ضرورة المحافظة على هذه السفن وعدم تعرضها للتلف . يتضح لنا من ذلك عندما نعلم أن حكومة القاهرة طلبت عند غرق السفن تقديم ما يوضح أسباب الغرق وامكانية اعادة الاستفادة من اخشاب السفن الغارقة ففي عام ١٢٩١ هـ ، ارسلت الحقانية الى حاكم دنقلة وبربر تستفسر عن غرق مركب محملة بالصبغ فتم سؤال عثمان اغا قبشود ان ترسانة دنقلة الذى أفاد ان المركب غرقت عند الشلالات ونفى أن يكون ريس المركب قد قصر فى واجباته أو أن الغرق كان بسبب جهله باصول الملاحة وكتب موضعا ذلك الى القاهرة (٦٢) وحتى فى حالة عدم صلاحية المركب للابحار مرة أخرى وضرورة اصلاحها وكان لابد من أن تتم هذه الخطوات فى حضور المأمور وناظر الترسانة ولابد من الكشف على الصواري والقلوع وكتابة تقرير واف عن تكاليف الاصلاح وتكلفة الاخشاب واقماش القلوع والحديد وكتابة تكلفة كل صنف على حدة ثم التكلفة الاجمالية للاصلاح (٦٣) .

ويرجع اهتمام محمد على ببناء السفن فى دنقلة ونقل الاخشاب منها الى مصر الى اهتمامه بمسألة ادخال الزوج فى سلك الجندية

---

(٦١) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٦٢) دار الوثائق القومية : وثائق السودان مديرية عموم دنقلة وبربر دفترة ٥٤٧٣ جامعة الابعادة الفترة من ٢٦ شعبان الى ١٢٦٠ الهى

٧ رمضان ١٢٦١ من الحقانية لحضرة باشا دنقلة وبربر رجب ١٢٦١ .

(٦٣) المصدر السابق امر من سعادة الشا مدير العموم فى ٥ رمضان الى حضرة باشا دنقلة وبربر ص ٧ . ١٢٦١

فأشياء لهم المعسكرات في اسنا واسوان وارسل الى مدير دنقلة بأن يقطع الاخشاب من مديريته ويرسلها مع سار النيل الى الصعيد لبناء الشكات للجنود كذلك عندما علم بهلاك عدد كبير من الزوج أمر بصنع نوع مخصوص من المراكب سمى نقورات لنقلهم الى اسوان (٦٤) .

وبالاضافة الى صناعة السفن ادخلت الادارة المصرية صناعة السواقي لتعمير البلاد ورغم أنها كانت موجودة في دنقلة من قبل الا ان استخدامها على نطاق واسع كان في عهد محمد علي (٦٥) وفي الواقع ان محمد علي أراد أن يصل بالسودان الى درجة الاكتفاء الذاتي ولذلك أهتم بتعليم السودانيين بعض الحرف فارسل الى دنقلة الفنيين وطلب من خورشيد باشا أن يصل بالسودان الى درجة الاكتفاء الذاتي من الفنيين في مجالات الصناعة (٦٦) كما ادخلت صناعة النيلة في دنقلة وتم تأسيس خمسة مصانع في كل من مروي ، حنك ، الحفير ، دنقلة العجوز ، دنقلة العرض (٦٧) واستعانت الادارة المصرية ببعض الفنيين المصريين ممن كانوا يعملون في مصانع النيلة بقلوب لتعليم السودانيين هذه الصناعة ، كما عينت احد الاوربيين ويدعى مفرديسج رئيسا لادارة مصانع النيلة بالسودان ، ثم حل محله السودانيون ، وقد أفاد السودانيون من تعلمهم صناعة النيلة وخاصة بعد أن أعلنت الحكومة حرية زراعتها والاتجار فيها بل لقد صدرت الاوامر لحكامها في دنقلة وبربر باعطاء الاهالي ما يلزمهم من الادوات لصناعتها لحسابهم الخاص بعد أن توقف العمل بها لحساب الحكومة ، وبلغ انتاج مصانع النيلة في دنقلة عام ١٨٣٣ ١٠.٠٠٠ أقدنة زادت عام ١٨٣٥ الى ٢١٥١٦ أقة ثم ارتفعت الى خمسين ألف أقة عام ١٨٣٧ (٦٨) .

ومن الصناعات التي تم ادخالها في دنقلة صناعة الاقمشة القطنية وان كانت أقل جودة عن مثلتها في مصر ولكن الادارة المصرية عملت على التوسع في زراعة القطن واقامت معامل الغزل والنسيج في دنقلة

(٦٤) مكي شيكة : تاريخ شعوب وادي النيل بمصر والسودان في القرن ١٩ بيروت ١٩٨٥ ص ٣٠ .

(٦٥) المرجع السابق ص ٤٧٥ .

(٦٦) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٣٩ .

(٦٧) بشير كوكو : المرجع السابق ص ١ .

(٦٨) نسيم مقار : المرجع السابق ص ١٣٥ .

وبربر والمحس ونجت هذه المعامل في سد احتياجات السوق المحلي (٦٩) كذلك ازدهرت صناعة دبغ الجلود وخاصة وان الاغنام متوفرة في دنقلة وأرسل الى السودان عمال من مصر لدبغ الجلود ، كذلك أرسلت عشرات من أصواف أغنام دنقلة الى محمد علي الذي رأى بأنها لا تصلح للملابس ولكن خورشيد باشا كتب اليه بأنه من الممكن تحسين سلالة الاغنام لانتاج صوف أفضل يستفاد منه في صناعة الاغطية (٧٠) فجلبت من مصر الكبشاش الممتازة لتحسين نسل الضأن (٧١) .

وقد اولت الادارة المصرية اهتماما كبيرا بالثروة الحيوانية وخاصة وان المراعى متوفرة في السودان وخاصة الأبل ، ولذلك اهتمت باقامة محطات لراحة الحيوانات وتقدم الاعلاف اللازمة لها على طسول الطرق الصحراوية ، ويذكر بالم ١٨٣٧/١٨٣٨ عدد الماشية التي كانت ترسل الى مصر من دنقلة وسنار وكردفان حوالى ١٢ ألف رأس وقد اتخذت الحكومة اجراءات لتأمين وصول الماشية فعينت مأمورين يتولوا نقلها (٧٢) .

وعندما نتحدث عن دنقلة في عهد محمد علي ، فلا بد لنا من ذكر رحلته الشهيرة الى السودان ، فقد سمع محمد علي أقوالا متضاربة عن ثروة السودان وخاصة الذهب وقدم اليه العلماء الأوروبيون تقاريرـ مختلفة ، فالبعض منهم أكد غنى السودان بالذهب ، والبعض الآخر ذكر أن تكاليف استخراجة لا تغطى التكلفة ، وخاصة لامبير فأراد محمد علي التأكد من امكانية الاستفادة بالذهب (٧٣) .

زار محمد علي السودان ولاقى المصاعب في رحلته (٧٤) وخاصة عند اجتيازه لمناطق الشلالات وقد وصل الى النوبة ومنها الى سكوت ودنقلة (٧٥)

(٦٩) المرجع السابق ص ١٢٣ .

Hill, R: Op.Cit., P. 50.

(٧٠) مكى شيكة : المرجع السابق ص ٤٠ .

(٧٢) نسيم مقار : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٧٣) شوقي الجمل : المرجع السابق ص ٥٣ .

(٧٤) زار محمد علي السودان في ١٥ أكتوبر ١٨٣٨ - ١٥ مارس ١٨٣٩ ففى عهد حكمدارية احمد باشا ابو ودان وقد عانى المصاعب في رحلته وقد رافقه الطبيب الفرنسى جتاني Jittani الذى ارسل رسالة الى كلوت بك من دنقلة في ٢٠ نوفمبر ١٨٣٨ اطلعته فيها على تفاصيل الرحلة حتى وصول السعثة الى دنقلة والمصاعب التى صادفتهم .

(٧٥) Driault, Edouard: Mohamed Aly au Soudan, Le

وقد اعتقد محمد على بوجود مناجم الذهب بكميات وفيرة فى السودان وخاصة فى النوبة ودنقلة وفازغولى ولذلك اصطب مع الخبراء للتقيب عنه ، ومن أهم هؤلاء روسجير الخير النمساوى ، وخص محمد على لكل منطقة خبير يعمل على التقيب فيها ، فاختص بورياتى بالتقيب فى النوبة ، وعمل روبل Ruppel فى كردفان ، وكل من جنسبـرج Ginsberg و بروشى Brocchi فى سنار ، ولنان فى البحر الاحمر وقد قدم روسجير تقريراً أوضح فيه أن العينات التى فحصها تحتاج الى مجهود كبير لاستخراج الذهب منها بالإضافة الى التكلفة الباهظة . ولذلك وجدت الادارة المصرية انه من الافضل التركيز على تطويع الصناعة فى السودان (٧٦) ويمكن القول ان محمد على أرسى دعائم الصناعة فى دنقلة واستمر هذا التطور الصناعى فى عهد خلفائه من بعده .

استتبع اهتمام الادارة المصرية بالزراعة والصناعة توجيهه الاهتمام الى التجارة أيضا فذل حافظ ابراهيم- افندى مدير دنقلة جهدا كبيرا من أجل تنمية التجارة فيها وتصدير منتجاتها وخاصة الصمغ الذى اشتهرت به المديرية وشجع توافد التجار عليها فبنسى لهم استراحة فيها (٧٧) وترك أمر حماية القوافل التجارية لشيخوخ القائل الذين حددت لهم مبالغ تؤخذ من القوافل بما لا يتجاوز ١٠ ٪ من البضائع (٧٨) . ولجذب انظار التجار الى المنطقة تم تعبيد الطرق وخاصة بين دنقلة والخرطوم من أجل سرعة الاتصال بين اجزاء السودان ، كما ارسلت السفن النهرية الى دنقلة فى مواعيد ثابتة (٧٩) واحتكرت الحكومة المنتجات السودانية مثل الصمغ وسن الفيل وريش النعام والجلود ، وفرضت أسعار معينة لشرائها والزم مندوبيها بتوريد المقادير اللازمة منها سنويا (٨٠) .

---

Hamont: L'Egypte sous Mohamed Aly, Paris 1845, (٧٦)  
tome II, PP. 554-575. (٧٧)

Hill, R.: Op.Cit., P.35. (٧٨) شوقى الحداد : المرجع السابق ص ٣٥

(٧٩) زاهر ريش : المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٨٠) نسيم مقار : المرجع السابق ص ١٨١ .

أما سعيد فقد اهتم بشئون السودان اهتماما كبيرا واتخذ عددا  
اجراءات لتشجيع التجارة فيه فتم تعبيد الطرق في دنقلة لتسهيل  
الاتصال بينها وبين الخرطوم وبينها وبين القاهرة واقامت فيهما محطات  
لتفجير الجمال كما بذلت محاولات لتيسير الملاحة في مناطق الشلالات (٨١)

وإذا كان سعيد قد اهتم بتطبيق القوانين في السودان والتشدد  
في العقوبات الا أنه لم ينجح في القضاء على تجارة الرقيق رغم  
تعليماته الى المسؤولين بمحاربتها فقد انتشرت في السودان أسواق  
الرقيق واتبع تجار الرقيق عدة مسالك للفرار من الرقابة الحكومية ،  
وكانت دنقلة احدى هذه الطرق (٨٢) وقد تورط في هذه التجارة كل من  
الوطنيين والاوربيين في النيل الابيض ودخل في خدمتهم عدد كبير من  
الاهالي فرارا من الضرائب وخاصة سكان دنقلة . وأنشأ الاوربيون  
الزرائب بمعونة الاهالي ، وفي عهد سعيد أهمل المديرون في السودان  
أوامره بمحاربة الرق ثم أن سعيد نفسه كان مسئولا عن هذا الاخفاق  
فقد شكل حرسا خاصا له من السود واتفق مع شركة السد موسى العقاد  
وهي من أكبر الشركات العربية في السودان على جلب الرقيق وكان من  
عوامل زيادة تجارة الرقيق فتح النيل الابيض للملاحة والتجارة واشتغال  
القناصل الاجانب بهذه التجارة (٨٣) .

ولا جدال ان مسألة الرقيق كانت متغلغلة في كيان السودان  
الاجتماعي والاقتصادي ولذلك لم تثمر محاولات سعيد لالغاء هذه التجارة  
فعندما زار الخرطوم اصدر تعليمات مشددة بمكافحة نجارة الرقيق  
ونصحه القنصل البريطاني في الخرطوم بشريك Petherick بضرورة  
انشاء بوليس نهري في النيل الابيض لمراقبة السفن ، وأشارت تقارير  
قناصل الدول الاوربية بأن الآمال معقودة على سعيد لحظس هذه  
التجارة (٨٤) .

ورغم تورط الاوربيين في هذه التجارة الا انهم في عام ١٨٦٠ أقاموا

Hill, R.: Op.Cit., P. 91. (٨١)

Douin, G.: Op.Cit., 1<sup>er</sup> Partie tome III, P.24. (٨٢)

(٨٣) ابراهيم شحاته : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٨٤) شوقي الجمل : المرجع السابق ص ٨٢ .

سبيع زراعتهم ومحطاتهم الى التجار العرب وانشأ العرب الشركات التجارية وكان أشهرها في الخرطوم العقاد وشركة موسى العقاد، البيملى محجوب السملى وغيرهم<sup>(٨٥)</sup> وفى عام ١٨٦١ أصدر سعد اوامره ان تعمل اربع بواخر لتنفيذ مشروع البولس النهرى لمراقبة السفن ولمنع تهريب الرقيق عن طريق النيل الابيض ولكن هذه البواخر لم تصل الخرطوم الا فى بداءة حكم اسماعيل<sup>(٨٦)</sup> واستمرت هذه التجارة واتخذ بعض التجار من دنقلة مركزا لنقل الرقيق الى القاهرة وارسل Natterer قنصل النمسا فى الخرطوم الى القنصل العام النمساوى فى ١٥ اغسطس ١٨٦٠ تقريراً عن تجارة الرقيق وتورط بعض الشيوخ فيها مثل الشيخ موسى العقاد واخيه دينى العقاد وان مراكب الشيخ موسى وصلت الى النيل الابيض وعليها اثنان وتسعون من الرقيق فى حالة سيئة عرايا تماماً وأن هؤلاء الشيوخ يتولون نقل الرقيق على مراكب فى النسل حتى القاهرة والبعض ينقل بواسطة الجمال ويتخذ تجار الرقيق من دنقلة مركزاً لهم لنقل الرقيق الى القاهرة وخاصة تاجر يدعى أحمد ، وأكد له أن الشيخ أحمد له نفوذ واسع فى دنقلة ، وان الادارة المصرية لا تريد اتخاذ أية اجراءات ضده ، ويعمل فى خدمة الشيخ أحمد عدده من القناصة يتولون مهمة اقتناص الرقيق الذين يتم تقييدهم وربطهم متجاورين بحيث يصعب عليهم الفرار وقد اخبر المسئولون المصريون فى دنقلة القنصل النمساوى بانهم لا يستطيعون اتخاذ أى اجراء ضد الشيخ أحمد ولكنهم فى الوقت نفسه ابدوا استعدادهم للقاء القبض على آخرين من تجار الرقيق اذا اخبرهم بهم ، وقد قام القنصل النمساوى بمقابلة الشيخ أحمد وأكد له انه يعمل فى تجارة العاج واحضر له عدة شهود من اتاعه شهدوا بأن الشيخ أحمد لا يعمل فى تجارة الرقيق وأنه يقوم بتخزين العاج فى منزله ولكن القنصل النمساوى أكد ان الشيخ أحمد يعمل فى تجارة الرقيق وأنه يتخذ من تجارة العاج ستاراً له وقد تم القبض على عدد من التجار ودمرت منازلهم وتم تحرير الرقيق الموجود لديهم ، وقد اسهب القنصل النمساوى فى وصف حال الرقيق والبؤس الذى يعانون منه ، ولم سكتف بارسال تقريره الى

(٨٥) محمد فواء شكرى : المرجع السابق ص ٨٥ .

(٨٦) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٨٢ .



قنصل العام النمساوى فى القاهرة وانما ارسل الى شريف باشا وزير خارجية فى ٢١ نوفمبر ١٨٦١ يلفت نظره لخطورة هذه التجارة وانتشرها فى النيل الأبيض (٨٧) .

وفى عهد اسماعيل ، تأسست فى السودان الشركات التجارية فى عام ١٨٦٣ لتنمية موارد السودان من الصمغ والقطن والجلود والاششاب والبن والحبوب وازدهرت حاصلات دنقلة وخاصة التمر والصمغ والاششاب والجلود ، ولعبت البيوت التجارية السودانية دورا كبيرا فى تصدير متاجر السودان الى مصر وأوربا أو فى جلب واردات مصر وأوربا الى السودان وكان لهذه البيوت شأن كبير حتى صار لكل منهم قوة مسلحة وعملت هذه البيوت فى تجارة الرقيق أيضا . ولما اعترز اسماعيل على منع هذه التجارة عهد الى ولاية السودان بالاتفاق مع أصحاب المشاريع على أن يتخلوا عنها للحكومة مقابل تعويضات تدفع لهم (٨٨) فكان من الصعب على هؤلاء التخلي عن تجارتهم وخاصة وأن كبار الشخصيات فى السودان عملت فى هذه التجارة فعلى سبيل المثال عمل فى دنقلة أقارب الزبير رحمت فى تجارة الرقيق وركزوا نشاطهم فى هذه المديرية (٨٩) ، وفى عام ١٨٦٣ اصدر اسماعيل تعليمات مشددة الى حاكم عام السودان موسى باشا حمدي يتعقب تجار الرقيق فزج بالكثيرين منهم فى السجن وقام تحرير الارقاء واطلاق سراحهم واعادهم الى بلادهم (٩٠) وقد حرر عدد كبير من أرقاء دنقلة ففضلوا العمل مع القوات المصرية فى المديرية (٩١) .

وقد فرضت الحكومة المصرية عام ١٨٦٥ برنامجا مفعلا لفرض رقابة على تصدير الاسلحة والبارود الى السودان ، وطلب معونة قناصل الدول الاوربية فى الخرطوم لاحكام الرقابة على نشاط النخاسين ورفع حمايتها

---

(٨٧) دار الوثائق القومية الارشيف الاجنبى - ارشيف محمد على ابراهيم وعباس وسعيد محافظة رقم ٢١ .

(٨٨) محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٢١ .

(٨٩) Douin, G.: Op.Cit. 2 Parite tome II, P. 164.

(٩٠) الياس الايوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ، القاهرة ١٩٢٣ المجلد الاول ص ١٣١ .

(٩١) Douin, G.: Op.Cit., 1<sup>er</sup> Partie tome 3, P. 108.

لهؤلاء التجار (٩٢) وقد وضع جوردون حكمдар عام السودان مشروعاً لالغاء الرق من تسعة بنود منها اعتراف الحكومة بتملك الرقيق الحالي لملكية ولكنها تمنح المملوك ورقة العتق اذا اثبت سوء معاملته ، وتسهلا لذلك يطلب من المالكين تسجيل رقيقهم في مديريتهم المختلفة بموجب تذكرة يحملونها في السودان ليصبح المملوك بعدها حراً غير ان هذه الاقتراحات لم تنفذ في الحال ولكنها ضمنت في مشروع كميـــــ بمعاهدة بين مصر وبريطانيا بشأن الرقيق (٩٣) .

وقد تم عقد المعاهدة في ٤ أغسطس ١٨٧٧ بين الخديوى اسماعيل وبريطانيا لمنع تجارة الرقيق على أن يتم تحديد مدة زمنية معينة لابطال هذه التجارة نهائيا في مصر والسودان وحددت العقوبات للاتجار في الرقيق على أن تنفذ في مصر خلال سبع سنوات ، ويحكم بالسجن على تجار الرقيق بالاشغال الشاقة لمدة أقلها خمسة أشهر وأكثرها خمس سنوات ويكون تنفيذ المعاهدة في السودان في حدود اثني عشر عاماً وتنتهى في عام ١٨٨٩ وقد نشر جوردون المعاهدة واخذ في مطاردة تجار الرقيق بعنف (٩٤) .

وقد اتخذت عدة اجراءات لمكافحة الرقيق ، منها مصادرة المراكب التى تحمل الرقيق وانشاء مراكز مسلحة على طول النيل للمراقبة ، وتشديد الرقابة على السفن وعلى دخول الاسلحة النارية السودان، ورغم أن تجارة الرقيق انتشرت في كردفان وبحر الغزال الا انها فى كثير من الأحيان مرت عبر دنقلة ولذلك تم تعقب هؤلاء التجار فى انحاء المديرية والقاء القبض عليهم (٩٥) .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من انشغال جوردون بالمناطق الجنوبية فى السودان وباتخاذ الاجراءات لمكافحة تجارة الرقيق ، الا أنه لم يهمل المناطق الشمالية من السودان ، فقام بعدة زيارات فيها لتفقد احوالها ، فنجده يزور دنقلة للتعرف على أوضاعها ، وقد أعجب جوردون بالتطور الذى حدث فى دنقلة ذلك التطور الذى شمل الزراعة والتجارة والصناعة (٩٦) .

(٩٢) ابراهيم حسن : المرجع السابق ص ١١٨ .

(٩٣) مكى شبكة : المرجع السابق ص ١١٤ .

(٩٤) ابراهيم حسن : المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٩٥) عبدالرحمن الرافعي: عصر اسماعيل دار المعارف ١٩٨٢ ص ١٥٧ .

أما عن النظام المالى فقد نمت التجارة عن طريق المبادلة وانتشر  
فى السودان الشرقى دولار ماريما تريزا النمساوى ، واعتمدت التجارة  
فى كثير من الجهات على المقايضة ، كذلك استخدمت العملات العثمانية  
والمصرية من القروش والبارة والتعريفة .

وقد فرضت الضرائب منذ عهد اسماعيل بن محمد على ، فبعد ان  
فتح دنقلة واتجه الى سنار لفتحها عمل رجاله على فرض الضرائب ،  
فسجلوا عدد القرى وفرضوا ضرائب باهظة لم يألفها الناس ففرضوا خمسة  
ريالات على الحيوانات ، وكان الهدف منها زيادة أموال الخزينة وترتب  
على ذلك تدمير السكان فعمل اسماعيل على تخفيضها الى ريالين فقط (٩٧) .

وقد عمل محمد على على تنظيم الضرائب وكان تنظيمها جزءاً من  
تنظيمها فى مصر ، وفرضت الضرائب على الاهالى والقائل ، وفرضت  
ضرائب على كل بهيمة ، وترك لروءساء القائل جمعها وتسليمها الى  
الحكومة ، والواقع أن الاهالى كانوا يرفضون فى كثير من الاحيان دفع  
الضرائب وبالتالي استخدمت القوة معهم (٩٨) ، وقد ترك جمع الضرائب  
للكشافين والجنود فى المدن الرئيسية ، وعهد الى جنود الشايقة الذين  
عملوا فى خدمة القوات المصرية بجمع الضرائب ، وفى دنقلة اتسبم  
الموقف بالهدوء ، واعتمد جباة الضرائب على انتشار السلم والأمن ،  
ولكن هذا لم يمنع من نشوب بعض الاضطرابات بسبب مغالاة الشايقية فى  
جمع الضرائب ، مثل ثورة الشيخ بخيت فى المحس عام ١٨٣٣ (٩٩) ، وقبـد  
اشتعلت هذه الثورة من المحس وحرك وامتدت حتى سكوت بسبب الضرائب (١٠٠)

وقد فرضت الضرائب على السواقي ، والنخيل ، وسعف النخيل ، وكذلك  
فرضت عوائد دخولية على البضائع عند نقلها من منطقة الى أخرى ، وفرضت  
ضرائب على المواشى ففرض على البقرة عشرين قرشا وعلى الخراف اربعة  
قروش (١٠١) ، وتدرجت الضرائب على الأرض الزراعية حسب خصوبة التربة ،

(٩٧) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٩٨) الشاطر بصيلى : المرجع السابق ، ص ٣٢ ،

(٩٩) بشير كوكو : المرجع السابق ، ص ٣ .

(١٠٠) Hill. R.: Op.Cit., P. 35.

(١٠١) بشير كوكو : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

أو-صعوبة ربيها ، ما بين خمسة عشر قرشا وثمانية وسبعين قرشا ، أما ضريبة السواقي ، فاختلغت حسب الاقاليم المروية ففي عام ١٨٢٧ فرضت ضريبة على السواقي في دنقلة مقدارها مائة واثنا وثلاثون قرشا -اضافة مائة وسعة عشر قرشا في حالة استمرار الري في الصيف على أساس ان الزراعة مكثفة في دنقلة واخلغت الضرائب على السواقي من منطقة الى أخرى (١٠٢) .

وجمعت الضرائب عينا في المناطق التي كان بقل فيها التبادل بالنقود بين الاهالي فكانت تأخذ احيانا من الذرة أو الاقمشة القطنية في بعض المناطق مثل دنقلة والمحس ، وقد سمح محمد على في عام ١٨٣٥ بجمع العبيد بدلا من النقود في حالة عجز الاهالي عن الدفع (١٠٣) ولكن في عام ١٨٤٣ ارسل الى أحمد باشا ابو ودان بمنع جمع العبيد بواسطة الحكومة (١٠٤) .

ورغم فرض الضرائب الا أنه كما ذكرنا كانت دنقلة المديرية الوحيدة التي اتسمت بعدم وجود عجز دائم في ميرانتها ، وقد أجرى هوسكنز اثناء سفره الى اثيوبيا مقارنة بين الاسعار في أسواق دنقلة عام ١٨٣٥ وبين الضرائب المفروضة على السلع فوجد ان دافعي الضرائب غير مغبونين وان الضرائب في حدود المعقول ، وجرى مقارنة بين أسعار السلع والضرائب المفروضة عليها (١٠٥) .

ولا جدال أن ترك الادارة مسألة جمع الضرائب للجهاز الاداري مسن جنود غير نظاميين وشيوخ قبائل وشيوخ المناطق ، كان له أسوأ الأثر على الاهالي لأن الادارة طالبت موظفيها بمبلغ محدد من المال فكان باستطاعة كل منهم أن يحتفظ بالمبلغ الرائد (١٠٦) .

تقرن عهد عباس في السودان بتزايد الضرائب فالادارة المصرية في السودان لم يكن لها خطة واضحة ، وترك تصريف أمور القرى والقبائل في أيدي المشايخ المحليين مما كان له أسوأ الأثر في البلاد وقد رفع

---

(١٠٢) Hill, R.: Op.Cit., P. 41.  
(١٠٣) مكي شبكة : المرجع السابق ص ٧٩.  
(١٠٤) Hill, R.: Op.Cit., P. 41.  
(١٠٥) Ibid, P.40.  
(١٠٦) جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

الدكتور هوجلين تقريراً الى حكومته فى عام ١٨٥٤ ذكر فيه أنه فرضت ضرائب ثقيلة على الاهالى كما حدث فى بربر واضطر الناس الى هجر أراضيهم هرباً من الضرائب فوقع على كاهل الذين بقوا دفع الضرائب المقررة عليهم وزاد الحال سوءاً ان المكلفين بتحصيلها من روءساء القبائل والزعماء والشيوخ الوطنيين انتهزوا فرصة جمع الضرائب للانتقام من أعدائهم أو استقلال ذلك لفائدتهم مما أدى فى نهاية الامر الى التدمير بين الاهالى واضطرت الحكومة الى ارسال بعض القوات العسكرية للقضاء على التدمير (١٠٧) وقد امتد السخط ايضا الى دنقلة واضطر الناس فيها الى ترك أراضيهم والهجرة منها بسبب ثقل الضرائب عليهم (١٠٨) .

وعندما زار سعيد السودان التقى بأعيان البلاد الذين قدموا له العرائض يشكون من فداحة الضرائب ومظالم الحكام فأمر باعفاء الاهالى من المتأخر عليهم من الاموال وخفض الضرائب لارضاء الاهالى (١٠٩) .

أمدر سعيد فى الخرطوم أربعة مراسيم فى بنابر ١٨٥٧ تعتبر بمثابة دستور السودان شملت الاصلاحات المالية والادارية الجديدة ونظمت عملية فرض الضرائب ، ومنعت السخرة ورفع جميع متأخرات الضرائب ودخل الشيوخ سلطات قضائية للبت فى القضايا والمنازعات كما منسجج حماية الضرائب بواسطة الجند (١١٠) . وقد حدد المرسوم الضرائب على الأرض الزراعية وعلى السواقي ، وقدرت الضرائب على الأرض التى تروى بالسواقي على اساس مائتى قرش على الساقية ، كما خفضت الضرائب على الأرض التى تعتمد على الطمبور فى ربيها فجعلها عشرين قرشاً للفدان ، أما أطيان الجزر فقدرت الضريبة بخمسة وعشرين قرشاً للفدان واعفيت اطيان التى تفرس بالاشجار المثمرة من الضرائب (١١١) واصبحت الضرائب تتبع عدد السواقي فى اطيان لان السواقي تبين مبلغ خصب الأرض ودرجة انتاجها . وقد تم تقدير الضرائب على الاراضى بالاتفاق مع الاعيان ، ووكل أمر جمعها للمشايخ ، وقسمت الى اقساط متساوية كل بسهل دفعها

---

(١٠٧) محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان - تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩ - القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٣ .

(١٠٨) Hill, R.: Op.Cit., P. 85.  
(١٠٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ج ١ ص ٤٥ .  
(١١٠) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٤ .  
(١١١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٧٣ .

وقد فرض على دنقلة ضريبة السواقي على اساس ان معظم اراضيها تروى بواسطة السواقي (١١٢) ولا جدال أن عملية تنظيم الضرائب وتقسيمها الى اقساط قد خفف الاعاء عن الاهالى وتناسب مع مقدرتهم على الدفع و شجعهم على العودة الى اراضيهم التي هجروها (١١٣) .

تزايدت الضرائب فى عهد اسماعيل وفرضت الضرائب على الاراضى والسواقي والسلع المختلفة ، ورسوم التمتع ، وكان لضريبة السواقي والارض فى دنقلة وبربر وضع مختلف عن باقى مديريات السودان فلم تؤخذ من المزارعين حسب مساحة حقولهم وانما كانت تفرض على اساس الآلات والادوات المستخدمة فى الانتاج ، ومن هنا فان الضرائب كانت تتباين ليس باختلاف الآلات فحسب بل بعدم تجانس انتاجية الارض ومن أجل ذلك فان السواقي هى التى تفرض عليها نسب مختلفة لان بعض الحقول خير من غيرها علما بأن مساحة كل ساقبة ثمانية افدنة وبذلك فرضت الضرائب فى دنقلة على النحو التالى :

مستوى الساقبة (١١٤)	بارة	قرش
الساقبة درجة أ	-	٥٠٠
الساقبة درجة ب	-	٤٠٠
الساقبة درجة ج	-	٣٠٠

ضريبة الارض المروية بالمتري (١١٥)

مستوى المتري	بارة	قرش
المتري درجة أ	-	٣٥٠
المتري درجة ب	-	٢٥٠
المتري درجة ج	-	١٧٥

(١١٢) زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٣٧ .

(١١٣) محمد فواء شكرى : المرجع السابق ص ٧٨ .

(١١٤) اراضى سواقي وهى البر الشاست على ضفتى النيل والجزائر التى لا يغمرها النيل .

(١١٥) الاراضى التى تروى بماء المتري وهى حفرة واسعة تحفر عند النيل فترشح مائه وترتكب عليها السواقي فتروى بها الارض وهذه الامتار لا توجد الا فى دنقلة وبربر حيث يقل سقوط الامطار .

ضريبة على الشادوف

قرش	بارة	الشادوف درجة اولى
٣٥٠	-	الشادوف درجة ثانية
٢٥٠	-	

ضريبة أرض الجزر

٦٠	-	فدان الدرجة الاولى
٦٠	-	فدان الدرجة الثانية
٥٢	-	فدان الدرجة الثالثة

أرض الجروف (١١٦)

٤٥	-	فدان الدرجة الاولى
٢٦	-	فدان الدرجة الثانية
٢٢	-	فدان الدرجة الثالثة

أرض الكرو (١١٧)

٥٦	٢٥	فدان الدرجة الاولى
٤٠	٣	فدان الدرجة الثانية
٤٨	١٠	فدان الدرجة الثالثة
٢٨	٥	فدان الدرجة الرابعة
(١١٨) ١٥	-	فدان الدرجة الخامسة

وبالاضافة الى الضرائب المفروضة على الاراضى الزراعية فرضت  
ضرائب على السلع فى دنقلة مثل لاقى مديريات السودان ومنها الخمر  
ففرض على كل أرباب يعتمر خمرا ستين قرشا ثم قامت الحكومة بالغناء  
الخمر استجابة لرغبة الاهالى (١١٩) .

(١١٦) جروف الجزائر وجرفا النيل شرقا وغربا ،

(١١٧) الارض البعيدة عن النيل وتروى بالامطار وهى منخفضة فى السور  
اشبه بالتبع يغمرها النيل ، وارض الجروف والكرو لا تحتاجان  
الى سقى

(١١٨) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨١ ،  
(١١٩) المرجع السابق : ص ٨١ .

وفرضت عوائد دخولية على الدخان وصدرت الاوامر بمصادرة الدخان المهرب لحساب الحكومة (١٢٠) . واحتكرت الحكومة وزن السلع وتقاضت على وزن القنطار من السلع سواء أكانت مستوردة أم محلية قرشين ، وعن قنطار الصمغ قرشا ، كما احتكرت المكاييل وفرضت على كل اردب عشرين بارة واحتكرت المعادن وشحن وتفريغ السلع في المواشي ولم يسلم الموظفون من فرض الضرائب فقد كان يخضع من رواتبهم مبلغا استقطاع الاحتياطي (١٢١) . وفرضت ضرائب الموظفين الراغبين في العمل فكان الموظف الذي يرغب في العمل في القبانة عليه دفع رسم سنوي للميرى من مائتين وخمسين قرشا على ألف قرش ، وكان على الموظف ان يقدم الاوراق والشهادات اللازمة للترخيص له بالعمل (١٢٢) . وفرضت ضريبة للمهن التجارية والمتاجرة وضريبة العتب أو ضرائب المنازل ومقدارها  $\frac{1}{12}$  من ايجار المنزل (١٢٣) .

كذلك فرضت رسوم تمغة على مضايط المجالس المحلية واصبحت اشمانا من ضمن ايرادات المجالس سنويا (١٢٤) وفرضت هذه الرسوم على كسل من يطلب الاطلاع على صور من احكام القضايا واصدرت الداخلية امرا بذلك (١٢٥) كما فرضت ايضا على المكاتبات التي يتم تحريرها من قبل الاعيان السى دواوين الحكومة ، وقد حددت الداخلية استخدام اوراق التمغة ، فلم تعد قاصرة على الامور الحسابية والميرية وانما اصبح استخدامها في ورق المضايط التي تقرر للمجالس المحلية كذلك جميع التقارير التي تقدم للمجالس أو للحكام والدواوين ، الذوات وغيرهم من الوجوه

- 
- (١٢٠) وثائق السودان دفتر ٣٤٣ / قيد الاوامر والمنشورات بمجلس مديرية دنقلة من ٨ رجب ١٢٨٦ هـ الى ٢١ رجب ١٢٩٦ هـ نمرة ٢٢ - امبر صادر من المجلس الخصوصى لمجلس الاحكام فى ٥ رجب ١٢٩٥ هـ .
- (١٢١) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨٢ .
- (١٢٢) دفتر قيد الاوامر والمنشورات المرجع السابق ص ٤٦ نمرة ٩ .
- (١٢٣) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨٢ .
- (١٢٤) دفتر رقم ٣٤٣ المصدر السابق افادة واردة من مالية عموم السودان الى مجلس دنقلة - غرة ربيع اول ١٢٩٥ هـ نمرة ١٧ ص ٩٢ .
- (١٢٥) المصدر السابق افادة من نظارة الحفانية الى رئيس استئناف عموم السودان لرئيس مجلس دنقلة - ١٥ رمضان ١٢٩٥ هـ - رقم ٢٤ - ص ١٠٣ .



والاعيان عليهم تقدير مطالبهم من بيع وشراء على أوراق تمغة (١٢٦) .

استفسر مجلس دنقلة عن فرض التمغة على مكاتبات الاجانب فكان رد الداخلية بان المكاتبات التى تصدر من مأمورين ووكلاء الدول الاجنبية الى الحكومة تعتبر مثل مكاتبات المصالح الاميرية فلا تفرض عليها رسوم تمغة ، " ولا يلزموا بتقديم مكاتباتهم على عرض حال أو تذكرة رسمية " ولكن اذا كان أحد الخواجات يقدم مكاتباته الى الحكومة فلا بد له من كتابتها على عرض حال أو تذكرة رسمية (١٢٧) .

ومن الضرائب التى فرضت فى عهد اسماعيل ضريبة الملح ، وقصد فرضت على كل فرد فى مقابل ما يفترض فى أن يفرض له من الملح سنوياً ، وقد الغيت فى اوائل عهد توفيق ونتج عن فرض هذه الضريبة تزايد حالات التهرب منها (١٢٨) .

والزم رؤساء المراكب باستخدام الاختام الحكومية ولم يسمح لهم بمرور مراكبهم ، ما لم تكن هذه الاختام موجودة ، كما طلبت الحكومة من موظفيها التشدد فى التفيش ، وضرورة التأكد من صحة الاختام ، وضرورة اثبات رؤساء المراكب لحجم حمولة سفنهم وذلك حسب اوامر صدرت من الحقانية بسبب تزايد محاولات تهريب السلع (١٢٩) .

وجدير بالذكر انه كان يتم اجراء ميزانية سنوية تشمل الإيرادات والمصروفات تقدم الى ديوان المالية للنظر فيها ثم ترسل للمجلس المخصوص بحيث يكون وصولها الى المالية من شتى مديريات السودان قبل انقضاء شهر توت باربعة شهور ومنها تقدم للمعية السنية قبل انقضاء العام بشهرين وتحتوى الميزانية الإيرادات والمصروفات موقع فيها جميع المقاولات والترميمات والانشاءات وبعد صدور الميزانية

---

(١٢٦) المصدر السابق ص ٣٢٢ .

(١٢٧) المصدر السابق ص ٣٢٢ شرح مدير دنقلة لحضرة مأمور ادارة دنقلة ١٤ ذى الحجة ١٢٨٨ هـ نمرة ١٤١ ص ٤ .

(١٢٨) المصدر السابق من وكيل استئناف عموم السودان الى مجلس دنقلة نمرة ٨ ص ٤٥ . ٢٨ رمضان ١٢٩٥ هـ .

(١٢٩) المصدر السابق من وكيل استئناف عموم السودان الى رئيس مجلس دنقلة نمرة ٥ ص ١٠٤ .

ينظر فى طلبات بعض الجهات التى تريد الاستئذان فى زيادتها (١٣٠) .

فيما يتعلق بالنظام الادارى فقد انقسم السودان اداريا فى عام ١٨٣٣ الى اربع مديريات ، كانت دنقلة مديرية رئيسية فى هذا التقسيم الذى ضم دنقلة - بربر - كردفان - الخرطوم (١٣١) واتسم النظام الادارى باللامركزية فى ادارة اقاليم السودان ، وكان على رأس كل مديرية مدير يخضع مباشرة للحاكم العام فى الخرطوم ، وفى يده السلطة المدنية والعسكرية والقضائية (١٣٢) .

وعندما زار محمد على السودان الذى منصب الحكمدار ، وجعل المديرين على اتصال مباشر بالقاهرة ، ولكنه وجد انهم استبدوا بالسلطة ، فاعاد منصب الحكمدار من جديد (١٣٣) . وقد تولى العمل فى دنقلة جهاز ادارى تكون من المدير وفى يده جميع السلطات ، والاشكاكات وكناشيتولى الشئون المالية وتقدير الضرائب ، وعمل حساب المديريات وجمع دفاتر الحسابات الاقسام التى تضمها المديرية ، وعمل حساب اجمالى لها فى دفتر خاص يصدق عليه المدير ، ويعاونه المراف الذى يتولى مراجعة الحسابات النقدية (١٣٤) وكان على كل مديرية من مديريات السودان ان تسد احتياجاتها ، وقد عانت مديريات السودان من العجز فى ميزانياتها باستثناء مديرية دنقلة (١٣٥) .

وضمت المديرية عددا من الاقسام والمراكز لكل منها حاكم يعرفه بالكاشف ، معه عدد من العساكر وكتابين للحسابات ومرافا ، وعلى كل قرية من القرى شيخ يختاره القرويون ليمثلهم ويكون مسئولا عنهم امام الكاشف ، كذلك كان على كل قسلة من قبائل البحر الرئيسية شيخ مسئول أمام حاكم المنطقة التى تعيش فيها القبيلة (١٣٦) .

- 
- (١٣٠) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٨٥ .  
(١٣١) فى اواخر عهد محمد على اصبح عدد مديريات السودان سبع - دنقلة - بربر - الخرطوم - كردفان - سنار - فارغول - التاكه .  
(١٣٢) ابراهيم شحاته : المرجع السابق ص ١٠٧ .  
(١٣٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٥ .  
(١٣٤) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٤٨ .  
(١٣٥) سمير منقصادى : تطور المركز الدولى للسودان . القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٨ .  
(١٣٦) نسيم مقار : المرجع السابق ص ٥٠ .

وقد اهتمت الحكومة المصرية بصرف المرتبات للمشايخ العاملين في المديرية نظير خدماتهم وكانت تخضع من ايراد المديرية، وإذا كان المشايخ قد تولوا الاشراف على الشئون الدينية وتوجيه التعليم في دنقلة ، فان المسيحيين عملوا فيها كتجار وكتاب ، ومعظم الاسماء المسجلة للموردين والكتاب من المسيحيين (١٣٧) .

والواقع ان التقسيم الادارى للسودان تعرض للتغيير ، باضافة بعض المديریات أو دمج البعض الآخر ، ففي عهد سعيد قسم السودان ١٨٥٧ الى خمس مديريات : التاكا ، كردفان ، دنقلة ، والتي اضيف اليها بربر - النيل الابيض وضمت سنار الى الخرطوم في مديرية واحدة (١٣٨) .

وقد ارجع سعيد سوء الادارة في السودان لانفراد حكماء السودان بالادارة فالفى هذا المنصب وجعل مديريات السودان الخمس تتبع نظارة الداخلية شأن مديريات القطر المصري ، ثم رأى سعيد ان المديرين جنحوا الى الاستقلال والاستبداد بالاهالى فالفى استقلالهم وتولى موسى اشاحمدى منصب حكماء السودان (١٣٩) .

والواقع ان زيارة سعيد للسودان كانت لتأمين حدوده الشرقية من ناحية الحبشة ، كذلك ازالة اسباب شكايات الاهالى وتذمرهم من كبار موظفي الحكومة ، والتي اتسمت ادارتهم بالاستبداد دون ان يردعهم رادع ، كذلك تمكين قواعد الحكم الذاتى في السودان على اعتبار ان ذلك يبعث على ادخال الطمأنينة الى النفوس ويساعد على نشر الامن والسلام ، ونوطيد سلطة الحكومة في الخرطوم (١٤٠) .

وفي عهد اسماعيل ادخل تعديل على التقسيم الادارى في السودان نتيجة لضم بلاد جديدة ، واصبح السودان مؤلفا من عدة مديريات (١٤١) ،

- (١٣٧) وثائق السودان دفتر رقم ٥٤٧٣ : المصدر السابق ، امر وقعه جفزة وكيل المديرية في رمضان ١٢٦١ هـ ص ١١ ،  
 (١٣٨) ابراهيم عبده : في السودان - القاهرة ١٩٣٦ ص ٤٤ .  
 (١٣٩) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ج ١ ص ٤٦ .  
 (١٤٠) محمد فواء شكرى : المرجع السابق ص ٧٩ ،  
 (١٤١) الخرطوم - سنار - فازغولى - بربر - دنقلة - كسلا - فاشوده - كردفان - الفاشر - دارة كسكية - بحر الغزال - خط الاستواء ،

وفد تم توزيع الجنود في مديريات السودان المختلفة فكانت دنقلة مركزا هاما من مراكز الجيش المصري (١٤٢) واهتم مدير دنقلة حسين بك خليفة بتنظيم القوات العسكرية فيها فعمل على استبعاد الجنود غير النظاميين وكون فرقة من مائة فارس كما عمل على الاستفادة من تلاميذ المدارس فاخذ منهم خمسة وخمسين تلميذا لتكوين قوة نظامية في دنقلة وتراوحت اعمار هؤلاء التلاميذ من عشرين الى ثلاثين عاما ، وصرفت لهم رواتب شهرية (١٤٣) .

حاول حسين بك خليفة حاكم دنقلة توسيع حدود المديرية فطالعب بضم منطقة وادي القمر الى مديريته وارسل الى القاهرة ١٨٦٩ يعرض عليه هذا ، مستندا على تقدم شيوخ وادي القمر بالشكوى له طالبين منه ضم منطقتهم الى دنقلة ، والواقع ان هذا المطلب جاء بناء على رغبة اهالي المنطقة للاستفادة من نقل المتاجر عبر دنقلة ، فكتب هؤلاء الشيوخ في شكاواهم بانهم اصابهم الضرر من جراء انفصالهم عن دنقلة وانضمامهم الى بربر واكدوا انهم يفضلون دنقلة لأن بربر فقيرة واهاليها انفسهم يهاجرون منها وقد جاء الرد من القاهرة بان منطقة وادي القمر كانت تابعة منذ فتحها لبربر وان سكانها لم يدفعوا الضرائب عنها . في دنقلة منذ فتحها . وفي عام ١٨٧١ اصبحت بربر ودنقلة مديرية واحدة وعين حسين بك خليفة مديرا عليها (١٤٤) والواقع انه يعتبر من أفضل من تولى ادارة مديرية دنقلة فقد حققت المديرية في عهده تقدما واضحا حتى توافد المهاجرون عليها ليس من المديريات المجاورة لها فحسب بل من خارج السودان ففي سبتمبر ١٨٧٢ وفد على دنقلة ١٤١ من اهالى مكة جاءوا للاستقرار فيها فعمل حسين بك خليفة على توزيع الاراضي عليهم لزراعتها وشجعهم على الإقامة فيها .

وقد لمس الاوربيون انفسهم مدى تقدم المديرية فذكر صمويل بيكر عندما زارها في عام ١٨٧٣ قادما من غندكرو ان الاحوال فيها في تحسن

(١٤٢) وزع الجيش المصري على مراكز دنقلة - بربر - الخرطوم - سنار - القلابات - الجيزة - القصارف - كسلا - اميديب - سنهيت - سواكن - كردفان - دارفور - بحر الغزال - خط الاستواء - مصوع - هرر - زيلع - بريزة .

مستمر وذلك بفضل جهود حكامها ومعاونة السكان لهم (١٤٥) .

أما عن القضاء فعلى الرغم من عدم وجود قوانين مالية واضحة وتلاعب الكتاب نجد ان محمد على كان حريصا على اقرار العدل فـسـى السودان بقدر الامكان فعندما وردت له بعض الاتهامات ضد حاكم دنقلة حافظ ابراهيم كتب اليه بطالبه بالبقاء فى مكانه حتى ينتهى التحقيق معه ، وكانت التهمة التى وجهت اليه هى استخدامه لمخازن الدولة لمصلحته الشخصية ، وكذلك عندما علم محمد على بانه ارتكب عدة جرائم اخرى ضد الاهالى منها قطع ايديهم واذانهم امر وزير الحربية باتخاذ اللازم معه فطلب منه الكف عن مثل هذه الاعمال ، وبصفة عامة بمكس القول ان الشكاوى المرسله الى القاهرة من مديريات السودان لقيت اهتماما كبيرا من قبل المسؤولين (١٤٦) .

وفى الوقت الذى اهتمت فيه الحكومة باقرار العدالة تشددت فى توقيع العقوبات وخاصة على المختلسين فكان يتم حصر ممتلكاتهم وبيعها لتسديد المبالغ التى اختلسوها فى عام ١٢٦١ هـ اختلس ثمانية اشخاص اموالا فى دنقلة وكانوا يعملون من قبل فى الوجه القبلى قبل قدومهم الى دنقلة فطالبت الحكومة من سليم باشا مدير الوجه القبلى حصر ممتلكاتهم من عقار تمهيدا لبيعها . وتم بالفعل مصادرة ممتلكاتهم وبيعها وصدر فى حقهم حكم بالسجن لمدة خمس سنوات (١٤٧) .

كذلك اهتمت الحكومة ببرد الاموال الى اصحابها ، فعندما شكا بعض التجار من عدم صرف مستحقاتهم من اعلاف تم توريدها الى دنقلة امر مدير عموم دنقلة بصرف الاموال المستحقة لهم ورد حقوقهم من ديون المالية وجرى خصم المبلغ بالاعادة ، كذلك تم دفع اجرة رئيس مركب يعمل على مراكب دنقلة وتباطا\* المسؤولون فى صرف مستحقاته فشكوا الى مدير دنقلة الذى امر بصرف مستحقاته (١٤٨) .

Douin, G.: Op.Cit. 2eme partie tome II, P.491. (١٤٥)

Hill, R.: Op.Cit. P. 44. (١٤٦)

(١٤٧) ورائق السودان مديرية عموم دنقلة . دفتر رقم ٥٤٧٣ المختصر السابق من مدير العموم الى مدير دنقلة رجب ١٢٦١ هـ ص ٤ ،

(١٤٨) المرجع السابق امر صادر من سعادة الباشا مدير عموم دنقلة وبربر فى ٢٤ رمضان ١٢٦٠ هـ ص ١٦ .

وإذا كانت اجراءات صرف المستحقات والرواتب تتم ببطء شديد فان انبات حالات التلف فى المنشآت الحكومية او المراكب كانت تتم وفقا لاجراءات روتينية معقدة عكان لابد من كتابة التقارير واحضار الشهود لاثبات التلف ، حتى بالنسبة لنفق بعض الحيوانات (١٤٩) كان لابد من ذكر الاسباب واحضار الشهود ثم توقيع قاضى المديرية (١٥٠) .

اهتم سعيد باقرار العدل فى مديريات السودان وتشديد العقوبات وخاصة فى جرائم القتل وصدر امر من الداخلية بضرورة توقيع عقوبة الاعدام على القتلة واهتمت الداخلية بتطبيق هذه العقوبة فى اقاليم السودان وفى عام ١٨٥٤ ارسل حاكم دنقلة الى القاهرة صورة من حكم صدر من قاضى دنقلة بحبس عبد لمدة خمسة عشر عاما لقتل سيده ولكن الداخلية اصرت على تطبيق عقوبة الاعدام رغم محاولات حاكم دنقلة التخفيف عنه وتغيير العقوبة (١٥١) .

لقى القضاء اهتماما كبيرا من جانب الادارة المصرية فى عهد اسماعيل وقد اعتمد القضاء فى احكامهم على الشريعة الاسلامية وفق مذهب مالک ، وانشئت المحاكم الشرعية بعد السيادة العثمانية فى المراكز والمديريات وكان معظم القضاة من السودانين الذين تلقوا تعليمهم فى الازهر الشريف ، وسواء اكان القاضى سودانيا أم مصريا يعينه قاضى عموم السودان ومفتى مجلس استئناف السودان وقد عين لكل خط قاضى يسمى نائب الشرع وانشئت فى كل مديرية محكمة وكان جهاز القضاء اشبه بهرم قاعدته محكمة الخط وقمته محكمة فى الخرطوم . وتم عزل القضاة عن طريق مجلس الاحكام وكان فضل القضاة يتم لعدم التزامهم بالاحكام ، فكان يشترط ان يكون القاضى نزيها وعند عزل او تعيين قاضى تولى لف لجنة من كبار علماء المديرية لتختار القاضى

---

(١٤٩) المرجع السابق امر وقعه حضرة وكيل المديرية فى رمضان ١٢٦١ هـ ص ١١ .

(١٥٠) نسوق مثال للاجراءات الروتينية المعقدة ، فى عام ١٢٦١ قسدم سويفى عبد العال وهو سايس خيول فى دنقلة بيانا بنفق حصان وعلل ذلك بكبر سنه وعجز بصره واحضر شهودا لاثبات ذلك من المشايخ واكد كل من الشيخ ابو توركى والشيخ عبد الله نصر امام محكمة الشرعية ان وفاة الحصان كانت طبيعية واقسموا باليمين الشرعى امام القاضى وختم قاضى المديرية بنفق الحصان .

(١٥١)

الجديد وترفع مذكرة الى مجلس الاحكام يبين فيها اسباب عزل القاضى وتعيين خلفه ، وخصمت الحكومة رواتب شهرية للقضاة تتراوح بين الخمسمائة والألف قرش مع اعفائهم من الضرائب والعوائد (١٥٢) .

وقد اعطى الحق لاهالى المديرىات لتقديم شكاواهم الى الخديو فقد تقدم سكان دنقلة بشكوى ضد احد القضاة الى الخديو اسماعيل لانه لم يحكم وفق الشريعة الاسلامية فطلب من الحكماء اختيار قاضى من مصر ورشح شيخ الازهر بعض العلماء وتم انتخاب قاض من بينهم ليتولس القضاء فى دنقلة (١٥٣) .

وقد اطلق على عملية التقاضى من تقديم العريضة بالشكوى حتى صدور الحكم كلمة المرافعة وليس المقصود مراعاة المحاكم فقد تولت الحكومة المرافعة عن المتوفين بان ينوب الحكماء و المديرون المرافعات الشرعية (١٥٤) . وكانت احكام القضاة حازمة ، وخاصة فى جرائم القتل التى كان لابد من تطبيق عقوبة الاعدام فيها او دفع الدية واذا كان ابن القتيل طفلا يحبس القاتل حتى يبلغ الطفل الرشد ليحدد بنفسه نوعية العقوبة (١٥٥) .

واذا كانت المحاكم الشرعية قد عالجت قضايا القتل والسرقة والديون والاحوال الشخصية الا انه ما لست الوضع ان تغير واحيلت القضايا الجنائية الى مديرى المديرىات ثم انشئت المجالس المختصة للنظر فى القضايا الجنائية والمدنية والاحوال الشخصية ، فلم تنطبق للمحاكم الشرعية الا قضايا الاحوال الشرعية والميراث (١٥٦) .

ورغم أن مذهب السكان فى السودان كان مذهب الامام مالمسك الا ان القضاة السودانيين اضطروا الى اصدار احكام وفقا للمذهب الحنفى حسب اوامر الحكومة وكانوا هم انفسهم لا يدينون به فخلق ذلك نوعا من التناقض فى نفوس القضاة (١٥٧) .

---

(١٥٢) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٤٤ ،

(١٥٣) المرجع السابق ص ٤٤ .

(١٥٤) المرجع السابق ص ٤٤ .

(١٥٥) دفتر رقم ٣٤٣٠ المصدر السابق امر من الداخلية الى الحكماءية جمادى الاولى ١٢٨٦ هـ رقم ٢٧ - ص ١٠ .

(١٥٦) بشير كوكو : المرجع السابق ص ٤٦ .

(١٥٧) المرجع السابق ص ٥٢ .

وإذا كانت قضايا الأحوال الشرعية من نصيب المحاكم الشرعية فإن البقية الباقية من قضايا الأهالي ، أسندت للاداريين بدلا من الحكماء فالمدبر فحكام الاقسام فحكام الاخطا واخيرا شيوخ القائل . وبهذا التنظيم - استطاع الاداريون ان يجمعوا بين السلطتين التنفيذية والقضائية واصبحوا بذلك الخصم والحكم مما ترتب عليه الحاق الظلم بالناس فاحيانا كان الاداريون يعذبون القاتل ، واحيانا يقومون باحتجاز زوجة واولاد المتهم في حالة هروبه ، ولكن لم يكن هناك قانون ينظم النيابة العامة الى أن صدر مجلس الاحكام اوامره بتنظيم عملية القضاء القبط على المهتمين (١٥٨) . وقد صدرت اوامر من الحقانية بضرورة اخذ اقوال مأموري الضبط قبل تقديم الاحكام والزامهم بالادلة باقوالهم (١٥٩)

ولما كان من عيوب القضاء تأخير القضايا فقد اصدر مجلس استئناف عموم السودان الى رئيس مجلس دنقلة استفسارا عن قضايا لبعض الاشخاص الذين تم ابقائهم في السجن عدة أشهر بتهمة القتل لحين حضور الورثة فطالب بعدم ابقائهم في السجن فترة طويلة (١٦٠) واصدر رئيس مجلس دنقلة اوامره بعدم سجن احد ما لم يكن صادر في حقه حكما من مجلس دنقلة (١٦١) .

اصدرت الداخلية تعليماتها لاقرار العدالة في مجالس السودان وحددت للداخلية مأمورية المجالس في اربعة وستين بنداً حولت ضرورة انعقاد المجلس للمفاوضة بشأن المصالح العامة في كل يوم عدا الجمعة والاعياد والا يسمح لاحد بالامتناع عن الحضور الى المجلس ما لم يكن هناك عذر شرعي كذلك عدم التفويض في الامور الهامة اذا تغيب اغلب الاعضاء بل يجب حضورهم كذلك نهت الى ضرورة استماع الاعضاء لآراء المتحدثين ونهت الى ضرورة ان يصدروا احكامهم بالحق ولا يخشون اية جهة والا يكون في المجلس احد يعميل الى التفرد بالرأي ، وان يكون

---

(١٥٨) المرجع السابق ص ٥٤ .

(١٥٩) دفتر ٣٤٣٥ المصدر السابق من الحقانية الى المجالس ١٢٩٤ هـ ص ٨٩ .

(١٦٠) المرجع السابق صورة شرح وارد من رئيس مجلس استئناف عموم السودان لرئيس مجلس دنقلة ٣ ذو الحجة ١٢٨٥ هـ نمرة ٢٧ - ص ٨٨ .

(١٦١) المصدر السابق امر من رئيس مجلس دنقلة الى مأموري الضبط نمرة ٥٤٩ .



التفاوض في جميع المصالح بين اعضاء المجلس بلا غرض ولا ميل عن طريق الحق كما حددت الداخلية شروط اشتراك بعض الاعضاء في النظر في الدعاوى فاذا كانت بينه وبين احد نسب او قرابة فعليه الاعتذار وكذلك نهت الداخلية الى ضرورة التفاوض سرا في المجلس ولا تعلق الاحكام قبل موعدها ، وحددت طريقة اجراء المحاكمة بالمجلس ودعت الى عدم استخدام العنف والتهديد وطالبت بحصر وتفنيد الشهود والمدعى عليهم وكتابة اسمائهم بدقة كذلك نظمت الداخلية القضايا ، ودعت الى عمل له فهرس خاص بكتابة الدعاوى ، وان تعطى كل قضية رقم مسلسل وان تنظر القضايا بالترتيب ، وعلى رئيس المجلس التمسك بهذا التسلسل . اما عن الاحكام فتكون بالاتفاق او اخذ الآراء او نصف آراء المجلس في حالة اختلاف الآراء ، كما جرى تنظيم المضابط على ان يتم قيدها حرفيا في دفتر المجلس ، وفي كل شهر تقدم مجالس التاكه وسرر وكردفان ودنقلة والخرطوم وسنار كشف الى مجلس استئناف الخرطوم موضح فيه القضايا التي وردت في كل شهر ، كذلك فندت الداخلية انواع العقوبات والمدد اللازمة للحبس في جرائم الرشوة والسرقه وغيرها من الجرائم (١٦٢) .

اما المنازعات التي تتم في الوحدات العسكرية من قتل وشغب فيقوم بالحكم فيها المجالس العسكرية ويرفع بها تقرير الى ناظر الجهادية في مصر وله الحق في تعديل الاحكام ففي رجب عام ١٢٨٩هـ قام ناظر الجهادية بتعديل حكم صدر من ملازم في آلاى السودان يدعى محمد نديم اصدر المجلس العسكري في دنقلة ضده قرارا بحرمانه من كافسة خدمات المديرية وذلك لقيامه بدخول خماره وتشاجره مع صاحبها وبعض الاوربيين ولكن ناظر الجهادية رأى ان الجزاء غير كاف ولا بد من توقيع عقوبة فعالة ضده ليكون عبرة لامثاله فاصدر امرا بتنزيله من رتبته الى رتبة جاويش وامر ان يلحق بالاورطة الموجودة بجبه قلع سواكين ومصروع (١٦٣) .

---

(١٦٢) المصدر السابق من مجلس الاحكام الى مجلس دنقلة ٢١ محرم ١٢٩٠ هـ  
ص ١٥  
(١٦٣) المصدر السابق امر من ناظر الجهادية الى مجلس دنقلة ٢٦ رجب

والواقع ان ناظر الجهادية كان ينظر فى القضايا التى تتعلق  
باخلال الامن ، اما اذا كان هناك نزاع بين شخصين احدهما عسكري  
والآخر مدنى او بين اثنين من العساكر فمن الممكن ان تنظر فيها  
المجالس المحلية ويكون الحكم فيها بالقوانين الملكية وما تقتضيه  
الشريعة (١٦٤) .

اما بالنسبة للقضاة فقد التزموا امام الحكومة بتأدية واجباتهم  
ومراعاة العدل وعدم تعطيل مصالح الاهالى وكان القاضى اذا اراد الحصول  
على اجازة لابد له من الحصول على تصريح مع تعهده بتوكيل من ينوب  
عنه خلال فترة غيابه (١٦٥) اما فى الجهات النائية والبعيدة اذا لم  
يجد القاضى من يحل محله ينوب عنه الكتاب . وكان لابد للقاضى من  
تقديم التماس لحصوله على اجازته مع توكيل من ينوب عنه ، ولا يبد  
من ابلاغ اسماء هؤلاء النواب لحكام ومديرية الجهات التابع لها (١٦٦)

اما الاجانب العاملون فى السودان فى دور الحكومة او من رجال  
الدين او من الرحالة المكشفين فكان عددهم قليلا ولكن مركزهم كان  
ممتازا وقد انتموا لمختلف الجنسيات من يونانية وفرنسية وبريطانية  
ونمساوية والمابية وقد تمتعوا بنفس الامتيازات داخل الامبراطورية  
العثمانية وفى عهد عباس سمحت حكومة القاهرة للقنصل فى الخرطوم  
بالنظر فى قضايا رعاياهم اما القضايا بين رعايا الحكومة ورعايا  
الاجانب عالجاها مجلس مشترك من الحكمدار والقنصل فضلا عن انها كانت  
فى بعض الاحيان ترفع الى مجلس الاحكام فى القاهرة . اما مجلس  
التجار فقد عمل للفصل فى الدعاوى التجارية فى الخرطوم واختير رئيس  
المجلس واعضائه من التجار واستمر تمثيل الاوربيين فيه طوال عهد  
اسماعيل (١٦٧) .

---

(١٦٤) المصدر السابق امر من الداخلية الى مجلس دنقلة فى ٢٠ ذى الحجة  
١٢٨٦ هـ ص ١١ .

(١٦٥) المصدر السابق افادة من رئيس مجلس استئناف عموم السودان  
لرئيس مجلس دنقلة شعبان ١٢٩٥ هـ نمرة ٢٥ ص ١٠٣ .

(١٦٦) المصدر السابق امر صادر من الداخلية لنظارة الحقانية ٦ رجب  
١٢٩٥ هـ نمرة ٧ .

(١٦٧) بشير كوكو: المرجع السابق ص ٢٥ .



وقد كلف المستر فولر بدراسة طبيعة الارض بين اسوان والخرطوم لمد خط سكة حديد ، فتجول فى وادى حلفا والنوبة ، وقد اعلن اسماعيل عند انعقاد مجلس الوزراء فى ٢٦ يناير ١٨٧٣ عن عزمه انشاء خط حديدى يربط مصر بالسودان (١٧٣) .

وفى عام ١٨٧٤ تم مد خط حديدى من اسوان الى الشلال الاول طوله تسعة اميال وسكة حديد من حلفا الى سرس طولها ثلاث وثلاثين ميلا وقد وصل الخط الحديدى حتى عكاشة ولكن الدوايش خربوه ، وبعد استرجاع السودان وصل الخط الحديدى الى مدن دنقلة مثل كوشة وابى قس ودلقو والكرمة (١٧٤) .

كذلك اهتمت الحكومة المصرية بمد اسلاك البرق وانشاء مكاتب للبرق فى كل مدينة وبندر فى السودان ، فتم انشاء مكاتب فى وادى حلفا ، ودنقلة وما بين دنقلة وبربر ، وكانت لغة التراسل هى اللغة العربية فى جنوب مصر اما فى الشمال فقد استخدمت العربية والفرنسية او الانجليزية والايطالية والتركية (١٧٥) .

وبلغت طول الخطوط التلغرافية التى انشئت فى السودان فى عام ١٨٧٥ ( ٢١١٠ كم ) ، وبلغ عدد مكاتب التلغراف فى مدن السودان ٢١ مكتبا ١٨٧٧ ، وقد ربطت هذه الخطوط بين مصر ودنقلة وبربر والخرطوم (١٧٦) . وقد تم التوسع فى مد خطوط البرق فى عهد جورنون باشا على يد الالماني كريستيان كريغليز Carl christian Griegler ومن اهم مدن دنقلة التى انتشرت بها خطوط البرق كل من كورتسى والدبة ودنقلة الجديدة (١٧٧) .

وقد تبع الاهتمام بمد خطوط البرق ضرورة انشاء مكاتب للبريد ، وقد كلف الخديوى اسماعيل الايطالى Licurgo Santoni ( ١٨٤٦ - ١٩١٨ ) بفتح مكاتب بريدية بين الخرطوم والمدن السودانية ، وبين

---

(١٧٣) الياس الايوبى : المرجع السابق ص ٩٩ .

(١٧٤) نعوم سقير : المرجع السابق ص ٢٠٩ .

(١٧٥) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(١٧٦) عبد الرحمن الراعى : المرجع السابق ص ١٦٨ .

(١٧٧) Santi, Paul: The European in the Sudan 1834-1878.

الخرطوم والقاهرة ، وقد افاد الخديوى من خبرة سانتونى وخاصة وانه عمل فى مكاتب البريد المصرى منذ عام ١٨٦٥ ، وقد قضى سانتونى فى اعلى مصر والنوبة ٣٣ عاما وكتب مذكراته عن النوبة ١٨٦٣ - ١٨٩٨ ونشرها فى روما ، وقد كتب يقول انه على الرغم من عمله فى مدن الوجه القبلى فى مصر الا انه لم يذهب ابعد من ذلك جنوبا الى وادى حلفا الا عندما كلف بانشاء مراكز جديدة فى السودان ، وقد وصل الى الخرطوم فى فترة تولى جوردون باشا ونجح فى انشاء مراكز للبريد فى السودان فى دنقلة وبربر وسواكن وزيلج ومصوع والقضارف وسنار وكركور - المسلمية - الابيض - الفاشر - فاشودة - الخرطوم ، وقد تم نقل البريد بواسطة القوافل البرية بالتعاون مع قبائل العبادية ، وكان يرافق القوافل حرس لحمايتها (١٧٨) . وبانتشار مكاتب البريد منذ عام ١٨٧٣ انضم البريد السودانى لاتحاد البريد العالمى ١٨٧٨ (١٧٩) .

وبالاضافة الى جهود سانتونى لانشاء مراكز للبريد فى عهد الخديوى اسماعيل الى مونت بك مدير مصلحة البريد المصرية بانشاء مكاتب منتظمة للبريد وانتشرت ادارة البريد العديد من المكاتب وقد بقيت هذه المكاتب البريدية تؤدى خدماتها الى ان تعطلت بعد نشوب الثورة المهدية (١٨٠) .

ولتيسير الاتصال بين القاهرة والسودان اهتمت الادارة المصرية بالنقل المائى فتم انشاء ترعة ملاحية لتحسين الملاحة وخاصة فى مناطق الجنادل ، كما بذلت محاولات لتحطيم الصخور وتشيد الجسور (١٨١) .

اولى الخديوى اسماعيل اهتمامه بمديريات السودان فى مختلف المجالات ، وفى مجال التعلم . اهتم بانشاء المدارس لتعليم الصبية ، وانتشرت المدارس فى المدن الهامة فى الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكه ، وعين لكل مدرسة مدرس اشترط ان يكون ملما بالتركية

---

(١٧٨) Santi, Paul: Op.Cit. PP. 209 - 219.

(١٧٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ١٢٨ .

(١٨٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ج ١ ص ١٦٨ .

(١٨١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ١٣٧ .

والنحو والمرف والخط بأنواعه (١٨٢) وقد ادت هذه المدارس النظامية خدمات لا مثيل لها للإدارة السودانية ، فمدتها بالكتاب والمحاسبين ، وعمال التلغراف وحدثت نهوضا ثقافيا ، بينما كان العلم مقصورا على خلاوى القرآن ، كذلك بعث اسماعيل بعدد من السودانيين لتعلم الصناعة وارسل خريجي المدارس لتعلم الطب والهندسة فى مصر (١٨٣) . وقد نالت المرأة السودانية نصيبها من التعليم وخاصة التعليم الدينى ومن اشهر الشخصيات خلال هذه الفترة آمنة بنت عبود وقد ذاع صيتها فى دنقلة وقد تحدث عنها رفاعة الطهطاوى فذكر انها كانت تقوم باقراء القرآن وإدارة مكتبتين احدهما للعلمان والثانية للبنات ، وكانت تنفق من كسبها بغزل القطن وتشغيله ، وكان منزلها كالتكية للفقراء والقاصدين بيت الله الحرام (١٨٤) .

تكون فى السودان فى عهد اسماعيل بداية لكوادر سودانية ، واعطيت الموظفين من المدير والفقهاء والكتاب رواتب صرفت نقدا او من الذرة الفترية التى كانت الحكومة تشتريها احيانا لسلما من الخرطوم وتوزعها على الاقاليم التى لم تزرع فيها مثل دنقلة وبربر ، وقد تأخرت المرتبات احيانا فى السنوات الاولى من عهد اسماعيل ، وشهدت مديريات السودان ازمات مالية حينما استفحلت الازمة المالية فى مصر فقد انعكس صداها فى السودان (١٨٥) .

وقد اهتمت الادارة المصرية باحماء عدد سكان السودان سنويا فى كل مديرية من مديرياته ، فكان الزاميا تقديم كشوف باسماء سكان كل مديرية خلال شهر من تاريخ الاعلان وكان يتم تحرير كشوف سنوية نظرا لزيادة أعمار الاطفال وقد تشددت الحكومة فى ضرورة تقديم تعداد او احصاء سكانى دقيق والتزام الدقة من جانب الموظفين الذين يعاونهم فى تأدية مهمتهم الشيوخ وقد وقعت عقوبات على المشايخ اذا اخطأوا فى التعداد او اخفوا ذكر بعض الاشخاص فكان يتم

- 
- ١٨٢ زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٤٨ .
  - ١٨٣ مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٧٤ .
  - ١٨٤ محمد سليمان : المرجع السابق ص ٩٦ .
  - ١٨٥ بشير كوكو : المرجع السابق ص ٨٨ .

ابعادهم الى موع وسواكن (١٨٦) واهتمت الحكومة بالصحة فارسلت  
الاطباء الى السودان وعملت على علاج المرضى فى مستشفيات حكومية وكان  
على كل مديرية تقديم احصاء بعدد المواليد والوفيات وعدد من تتم  
تطعيمهم من الاطفال ونضرب مثال بذلك احصاء تم خلال عامى ١٢٨٧ هـ -  
١٢٨٨ هـ فى دنقلة وضح عدد المواليد والوفيات فى دنقلة الآتى :

عام	عدد المواليد	عدد الوفيات	عدد من تم تطعيمهم	عدد المرضى الذين تم علاجهم فى مستشفيات الحكومة
١٢٨٧ هـ - ١٨٧٢ م	٦٥٣	٤٩٥	٧٠٩	١٥
١٢٨٨ هـ - ١٨٧٣ م	٦١٦	٥٢٤	٦٤٨	٥١ (١٨٧)

واخيرا لقد تطورت مديرية دنقلة تطورا كبيرا فى عهد محمد على  
فتم القضاء على المماليك فيها . كذلك تخلص السكان من اغارات  
الشايقية ، واصبحت المديرية مركزا من اهم مراكز الاتصال بين مصر  
والسودان ، كما شهدت تطورا زراعيا وصناعيا كبيرا وتم وضع اساس  
للادارة استكملت فى عهد كل من عباس وسعيد وجنت المديرية ثم  
الاصلاحات التى قام بها الأخير .

ثم جاء عهد اسماعيل لتشهد المديرية تقدما كبيرا فى مختلف  
المجالات . واذا كانت مديرية دنقلة لم تواجه عجزا دائما فى  
ميزانيتها شأن قلّة من مديريات السودان الا انها عانت مثل غيرها  
من المديريات من اخطاء الادارة المصرية وخاصة تزايد الضرائب فى  
عهد محمد على تولى الشايقية والجنود وروءاء القبائل جمع الضرائب  
واشتطوا فى معاملة الاهالى ، وفى عهد عباس اندفع الاوربيون للعمل  
فى السودان فتزايدت اعدادهم بصورة ملحوظة ، كما عانت المديرية  
فى عهد سعيد من استبداد المديرين وخاصة بعد الفاء وظيفة الحكمدار ،  
وكان للاجرامات الصارمة التى اتبعها جورلون فى عهد اسماعيل لمكافحة  
تجارة الرقيق اثرا كبيرا فى استياء وتذمر الاهالى .

(١٨٦) وثائق السودان دفتر رقم ٣٤٣٠ المصدر السابق امر فى المالية  
الى المجلس الخصوصى ١٤ رمضان ١٢٩٥ هـ نمرة ١٤ ص ٣٧ .

(١٨٧) Douin, G : Op.Cit., 2<sup>eme</sup> partie tome II, P.462.

ويمكن القول ان محاسن ومساوئ الادارة المصرية فى السودان  
انعكست على دنقلة وان كانت اسعد حالا من غيرها من مديريات  
السودان (١٨٨) .

\* \* \* \*



## المصادر والمراجع

### أولا : وثائق غير منشورة :

- (١) دار الوثائق القومية • الارشيف الاجنبى - ارشيف محمد على -  
وابراهيم وعباس وسعيد محفظة رقم ٢١ •
- (٢) وثائق السودان بمديرية عموم دنقلة وبربر بالسودان دفتر رقم  
٥٤٧٣ جامعة الابعادية الفترة من ٢٦ شعبان  
١٢٦٠ هـ الى ٧ رمضان ١٢٦١ هـ •
- (٣) دفتر رقم ٣٤٣٠ قيد الاوامر والمنشورات بمجلس مديرية دنقلة من  
١٢٨٨ هـ الى رجب ١٢٩٦ هـ •

### ثانيا : المراجع العربية :

- (١) ابراهيم شحاتة حسن : مصر والسودان • الاسكندرية - منشأة المعارف  
١٩٨٢ •
- (٢) ابراهيم عبده : فى السودان • القاهرة ١٩٣٦ •
- (٣) ادورد جون : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ترجمة محمد مسعود  
القاهرة ١٩٣١ •
- (٤) الشاطر بصلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل من  
القرن العاشر الى القرن التاسع عشر - القاهرة  
١٩٥٥ •
- (٥) الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل القاهرة  
١٩٢٣ ، المجلد الاول •
- (٦) بشير كوكو حميده : ملامح من تاريخ السودان فى عهد الخديوى  
اسماعيل ، مطبوعات كلية الدراسات العليا بحث  
رقم ( ١٠ ) جامعة الخرطوم - الطبعة الاولى ١٩٨٣
- (٧) جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية فى القرن  
التاسع عشر ، دار المعارف ١٩٦٧ •
- (٨) زاهر رياض : مصر وافريقيا - القاهرة ١٩٧٦ •
- (٩) سمير المنقبادى : تطور المركز الدولى للسودان - القاهرة  
١٩٥٨ •
- (١٠) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٦٩ ج ٢ •

(١١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والاخبار، القاهرة

١٨٨٠ ج ٤ .

(١٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، دار المعارف ١٩٨٢ .

(١٣) عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ، دار المعارف ١٩٨٢ ، ج ١ ،

ج ٢ .

(١٤) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان،

بيروت ١٩٦٧ الطبعة الثانية .

(١٥) محمد سليمان : دور الازهر في السودان ، القاهرة ١٩٨٥ .

(١٦) محمد صبرى : الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر

القاهرة ١٩٤٨ .

(١٧) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، القاهرة ١٩٥١ الطبعة الاولى.

(١٨) محمد فراءد شكرى : مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل

السياسة في القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ،

دار المعارف ١٩٦٣ .

(١٩) مكى شبكة : تاريخ شعوب وادى النيل ( مصر والسودان ) فى

القرن التاسع عشر الميلادى بيروت ١٩٨٥ .

(٢٠) نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر

والسودان - دراسة فى العلاقات الاقتصادية

المصرية السودانية ١٨٢١ - ١٨٤٨ ( القاهرة

١٩٨٥ .

(٢١) نعموم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته

القاهرة ١٩٠٣ ج ١ ، ج ٢ .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1- Burckhardt, John Lewis: Travels in Nubia  
London 1822.

2- Cocherries, Jules: Situation internationale  
de L'Egypte et du Soundan. Paris, 1903.

3- Deschamps, Hubert: Histoire generale de  
L'Afrique Noire Pairs 1971 tome II.

4- Douin, G: Histoire du Regne du Khedive Ismail  
Lere Parite (1863-1869) tome III Le Caire  
1936.

2eme Parie (1869-1873) tome II Le Caire 1938.

- 5 - Driault, Edouard: Mohamed Aly au Soudan Le Caire 1927.
- 6 - Gessi Pacha, Romolo: Seven years in the Sudan London, 1892.
- 7 - Grandin, Nicole: Le Soudan Nilotique et L'administration Britannique (1898-1956) Leiden 1982.
- 8 - Hamont: L'Egypte sous Mehemet Aly. Paris 1845 tome II.
- 9 - Hill, Richard: Egypt in the Sudan 1820-1881 New York.
- 10 - Junker, Wilhelm: Travels in Africa during the years 1875-1878, London, 1971.
- 11 - Macmichael, Sir Harold: The Anglo-Egyptian Sudan, London 1934.
- 12 - Nubie Par divers archeolgues et historians Cahiers d'histoire Egyptienne, Le Caire.
- 13 - Santi Paul, Hill R: The European in the Sudan 1834-1878 Oxford 1980.
- 14 - Weygand, Le General: Mohammed Aly et ses fils. Paris, 1936 Premier Volume

رابعا : دوائر المعارف :

- The Cambridge history of Africa from 1790 to 1870. edited by John Flint Cambridge 1876- Vol.5



## **التقارير والمراجعات وعرض الكتب**



## دار الوثائق المصرية

فى ثلاثين عاما

١٩٥٤ - ١٩٨٤

د. زين العابدين شمس الدين نجم

يتناول هذا التقرير دراسة واحدة من أخطر مؤسساتنا العلمية ألا وهي دار الوثائق القومية التى تعد المصدر الرئيسى لتاريخنا القومى .

ويرجع انشاء دار الوثائق القومية الى القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ الصادر فى ٢٤ يونيه ، والذى اشتمل على خمس عشرة مادة ، وحدد مهمتها على النحو التالى :

- أولاً : جمع الوثائق التى تعد مادة لتاريخ مصر وما تشمل به فى جميع العصور ،  
ثانياً : حفظ هذه الوثائق ،  
ثالثاً : تيسير دراستها ،  
رابعاً : العمل على نشرها .

ولما كان الهيكل الإدارى للدولة فى ذلك الوقت قاصراً على عدد محدود من الوزارات والمصالح فان القانون جعل نواة دار الوثائق مقتصرًا على الوزارات والمؤسسات الآتية :

- ١ - أقسام المحفوظات التاريخية فى القصر الجمهورى ،
- ٢ - دار المحفوظات بالقلعة ،
- ٣ - مجلس الوزراء ،
- ٤ - وزارة الخارجية .
- ٥ - وزارة العدل ،
- ٦ - وزارة الاوقاف ،
- ٧ - الأزهر .

ونص القانون على انشاء مجلس أعلى للدار واسد اليه عداد من الاختصاصات الفنية أهمها .

- تقرير ما يعتبر من الوثائق ذات القيمة التاريخية .
- تقرير نقل الوثائق الى الدار .
- وضع قواعد المحافظة على الوثائق .
- تحديد الوثائق التى تنشر وطريقة نشرها .
- وضع شروط الاطلاع على الوثائق وأخذ صور منها .
- ابداء الرأى فى اعدام الاوراق الخاصة بكل وزارة .
- وضع اللائحة الداخلية لسير العمل بالدار .
- للمجلس ان يضم الى الدار الوثائق التى يتقرر اعتبارها ذات قيمة تاريخية سواء اكانت لدى الوزارات أو المصالح الاخرى، أو لدى الافراد والهيئات ، ونظمت المواد ( ٥ ، ٦ ، ٧ ) من القانون كيفية الحصول على هذه الوثائق أو الاستيلاء عليها مقابل تعويض مادي يقدره المجلس ، وكيفية المعارضة فى قيمة هذا التعويض ، وكذلك حددت المادة ( ١٢ ) العقوبات المقررة فى هذا الصدد .

وحفاظا على الوثائق وحمايتها ألزم القانون دار الوثائق بأن تختتم هذه الوثائق بخاتم الدار بعد تسليمها اليها وابداعها بها ، وعدم نقلها من أقسامها أو استعمالها الا داخل الدار .

كما أجاز القانون أخذ صور من هذه الوثائق طبقا للقواعد التى يقررها المجلس الاعلى للدار ، وبين كيفية تأدية الرسوم المقررة لاستخراجها .

وألزم القانون الوزارات بإنشاء لجان دائمة للمحفوظات ، وبين اختصاصاتها ، وكيفية التخلص من الاوراق التى لديها وهلاتها بدار الوثائق ، ودور المجلس فى هذا الشأن .

وحفظ القانون الوثائق من الاتلاف والعبث والكشط والتخيط فيها بأى شكل غير شكلها الاصلى ، وحدد العقوبات الواجبة ازاء مخالفة ذلك، واعطى لوزير الارشاد القومى حق اصدار قرار بالعقوبات التى يقترحها المجلس الاعلى ،

وفيما يتعلق بالمخالفة لقواعد المحافظة على الوثائق وتنظيم الاطلاع عليها واستعمالها وحفظ النظام داخل الدار فقد اعطى القانون



لوزير الارشاد حق اصدار القرارات بالعقوبات التي يقترحها المجلس الاعلى ازاءها .

ومن مميزات هذا القانون انه أعطى الدار الحق فى الاحتفاظ بكل ما تجمعه من وثائق دون الزامها برد أى منها للجهة التى جمعتها منها .  
غير أن ما نأخذه عليه هو تحديده للجهات التى تعتمد عليها الدار فى جمع الوثائق منها والتى اقتصرت على عدد من الوزارات والمصالح ومؤسسات وشركات اخرى فى مرحلة تالية جعل بعض هذه الشركة تتمسك بهذا النص فى عدم سريان هذا القانون عليها .

وقد صدرت القرارات الوزارية الخاصة بتشكيل المجلس الاعلى لدار الوثائق القومية بعد نحو خمس سنوات من قانون انشائها فصدر القرار الوزارى رقم ٣٧ لسنة ١٩٥٩<sup>(١)</sup> والقرار رقم ٢٣٨ لسنة ١٩٦٠ والقرار رقم ٥٩ لسنة ١٩٦٣ بتشكيل المجلس . وقد تعدلت عضوية هذا المجلس طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٥٠ لسنة ١٩٦٦ بتنظيم دار الكتب والوثائق القومية وعُدل اسمه ليكون " المجلس الاعلى لدار الكتب والوثائق القومية " . وزيد عدد اعضاءه ليصبحوا ستة عشر عضوا بعد استبعاد بعض الاعضاء واحلال واضافة آخرين مكانهم منهم رئيس ادارة الفتوى والتشريع المختصة بمجلس الدولة وبعض وكلاء الوزارات واعضاء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على طلب وزير الثقافة .

اما اللائحة الداخلية لدار الوثائق فلم تصدر الا بعد نحو عشر سنوات من صدور قانون انشائها حيث صدرت فى ٥ فبراير ١٩٦٤ بالقرار الوزارى رقم ٨٤ لسنة ١٩٦٤ واشتملت على ثمان مواد تناولت مهام

---

(١) اشتمل هذا القرار الصادر فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٩ على تسع مواد ، وكانت رئاسة المجلس لوزير الثقافة والارشاد ، وعضوية كل من وكيل الوزارة ومدير دار الكتب ومدير دار الوثائق ( كسكرتير للمجلس ) ومدر المحفوظات العمومية ، وعضوا من علماء الازهر ، وثلاثة اعضاء من وزارات الخارجية والعدل والاقواف يختارهم وزراءهم ، وعضوان من وزارة الثقافة والارشاد يختارهما وزيرهما وثلاثة اعضاء من المهتمين باغراض دار الوثائق ز وحدد القرار موعد اجتماعات المجلس ، ووضح شروط صحة اجتماعاته وقراراته ، والتمديق عليها وتنفيذها ، ورئاسة جلساته ، واعداد جدول اعماله .

واختصاصات المجلس الاعلى لدار الوثائق القومية واللجان الفنية والادارات التى تشكل بها ، واختصاصات كل من المكتب التنفيذى ومدير الدار ووكيلها والاقسام التى تنشأ بالدار ، ومواعيد العمل بها ، وجرى محتوياتها :

وقد اضافت هذه اللائحة الى المجلس الاعلى بعض الاختصاصات مثل :

- اقرار التبرعات عن طريق الوصية أو الهبة وشروطها .
- رسم سياسة التبادل مع الهيئات العلمية والتوصية بانشاء الادارات ونظم العمل بها .

أما عن اللجان والاقسام التى تقرر انشاؤها فهى : (٢)

### أولا : اللجان :

أ - اللجنة المالية : وتختص ببحث مشروع ميزانية الدار قبل عرضها على المجلس الاعلى وما يحلها عليها من مسائل مالية .

ب - لجنة التزويد وتجميع الوثائق : وتقوم برسم سياسة تجميع الوثائق وصيانتها .

ج - لجنة وثائق الثورة : وتختص بتجميع وثائق الثورة مثل التشريعات والقوانين والقرارات التى صدرت منذ بدء الثورة ووضع نظم التعريف بها ونشر ما يتقرر نشره منها .

د - لجنة المسجلات السمعية والبصرية : وتقوم بتجميع نسخ من الاشرطة والافلام والاسطوانات والشرايح التى تعتبر مصادرة تاريخية وتتصل باغراض الدار وكذلك وضع نظم استخدامها وصيانتها .

هـ - لجنة النشر : وتختص بتحديد ما ينشر من الوثائق وطريقة النشر ،

### ثانيا : الاقسام :

أ - قسم الجمع والتسجيل : ويختص بالاشراف على الوثائق بالوزارات

(٢) انظر اللائحة الداخلية لدار الوثائق القومية .

والمصالح وتجميع الوثائق وتسجيلها وتقديم المقترحات بشأن التخلص من بعضها ، وضم ما يراه هاما منها ، واعداد المقترحات بشأن ما لدى الافراد من وثائق لعرضها على المجلس الاعلى .

ب - قسم الارشاد : ويقوم على خدمة الباحثين وارشادهم ويشرف على قاعات البحوث ، واعداد المراجع والمطلوبات والاشراف على المتحف ، والمكتبة والعلاقات العامة .

ج - قسم الوثائق العربية : ويتولى تنفيذ النظم الفنية لتسيير الاستفادة من فهرسة وتصنيف وتقديم المقترحات بشأن تجميعها .

د - قسم الوثائق التركية : ويختص بتنظيم الوثائق التركية من فهرسة وتصنيف وترجمة وتقديم مقترحات بشأن تجميعها .

هـ - قسم الوثائق الاجنبية : ويقوم بتنظيم وتجميع الوثائق الاجنبية التى تتصل بتاريخ مصر والمودعة بدور الوثائق الاجنبية من فهرسة وتصنيف وترجمة ما يتقرر ترجمته وتقديم مقترحات بشأن تجميعها .

و - قسم الامناء : وهو مسئول عن عهدة الدار وتنظيم المخازن ، وصيانة الوثائق ويعاونه قسم التصوير .

ز - قسم وثائق الثورة : ويختص بتنظيم الوثائق المتعلقة بشورة ٢٣ يوليو وتسجيلها وتصنيفها ونشر ما يتقرر نشره منها .

ح - قسم المسجلات السمعية والبصرية : ويقوم بحصر وتسجيل وتصنيف الاشرطة والاسطوانات والافلام التى تعد مادة للتاريخ .

ط - قسم التصوير : ويختص بتصوير الوثائق المطلوب تصويرها لدار وللباحثين بالرسوم المقررة .

ى - قسم الشؤون الادارية : ويتولى كافة الشؤون الادارية والمالية بالدار .

وبذلك تحددت معالم الهيكل التنظيمي لدار الوثائق القومية طبقا لما جاء بالقانون واللائحة الداخلية . وقد صدر فيما بعد قرارات

جمهوريةان يختتمان بالوثائق ااحدهما رقم ١٢١ لسنة ١٩٧٥ الصادر فى ١٣  
سبتمبر بشأن المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وتنظيم اسلوب  
نشرها ، والآخر رقم ٤٧٢ لسنة ١٩٧٩ فى ١٢ نوفمبر بشأن نظام المحافظة  
على الوثائق الرسمية للدولة واسلوب نشرها واستعمالها .

\* \* \*

هذا عن الجانب التنظيمى فاذا ما انتقلنا الى مجال التطبيق  
فان الامر يقتضى ضرورة العودة الى الوراء قليلا لمعرفة طبيعة العمل  
فى الوثائق القومية فى العصر الحديث قبل انشاء الدار .

ولقد كانت النواة الاولى لدار الوثائق القومية هى دار للمحفوظات  
التي انشاها محمد على سنة ١٨٢٩ لحفظ وثائق الدولة الخاصة بالدواوين  
والاقالسم ، ولامكان الرجوع اليها عند الحاجة نظرا لاحتفاظ بعض  
الكتاب بها . ويعتقد ان من اسباب اهتمامه بانشاءها هو وضع أو حفظ  
سجلات وارواق الدولة فى مكان امين بعد أن أتى حريق القلعة الذى وقع  
فى ١٨ يونيه سنة ١٨٢٥ على بعض الوثائق . وعلى حد قول الجبرتى (٣)  
فقد " أقاموا فى طفة النار يومين واحترق ناحية ديوان كتحدا بسلك  
ومجلس شريف بك وتلفت اشياء وامتعة ودفاتر ، حرقا ونهبها " وعن هذا  
الحريق جاء بأحد الدفاتر (٤) : فيما يتعلق بالاوامر الصادرة السى  
ديوان الخديوى " ان السنوات من سنة ١٢٢٠ هـ الى سنة ١٢٣٥ لم يوجد  
بها اوامر وعلم من المرجوم مصطفى افندى درويش الذى كان باشكاتب  
المصلحة حصول حريق بالقلعة وحرقت بها اوامر ودفاتر ديوان خديوى  
تلك السنوات وبالجملة قيودات الاوامر وعلم ذلك ايضا من بعض اوامر  
مقيدة بقيودات الاوامر سنة ١٢٣٥ " .

ولم تمر عدة شهور على انشاء دار المحفوظات حتى تم تنظيمها ،  
ووضعت نظم العمل بها (٥) ، وعلى ذلك فقد وضعت اللوائح التي نظمت

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار فى التراجم والاضار ، ج ٤ ،  
حوادث شهر رمضان سنة ١٢٣٥ هـ ٧ منه الموافق ١٨ يونيه سنة ١٨٢٥ م ،  
ص ٣٥٩ .

(٤) دفاتر حصر السجلات ، دفتر يتضمن السجلات التي كانت موجودة بدار  
المحفوظات العمومية وتوجد حاليا بدار الوثائق .

(٥) الوقائع المصرية ، العدد ١٠٩ ، فى ١٧ شعبان ١٢٤٥ هـ .

ايداع الدفاتر والاوراق التى ينتهى العمل فيها وتم تنفيذها ، وتم اعداد الموظفين الفنيين اللازمين والمساعدين لهم . وهذا ما لم يحدث بعد انشاء دار الوثائق القومية كما سنرى . وليس هناك متسعا للإضافة فيما يتعلق بدار المحفوظات سواء فيما يتعلق باللوائح التى نظمت ايداع السجلات والاوراق التى ينتهى العمل بها ، أو تبعيتها التى انتقلت كثيرا ما بين قلم الخزينة وديوان المالية ومحافظة مصر وديوان الداخلية واستقرارها النهائى ضمن مصالح وزارة المالية منذ سنة ١٩٠٥ .

ونظرا لاهتمام الملك فؤاد ، فى العشرينات من هذا القرن ، بتاريخ الاسرة العلوية ، واطهارا لامجادها ، فقد امر فى سنة ١٩٢٥ بتشكيل لجنة برئاسة الدكتور حسن نشأت وعضوية ادولف قطاوى سكرتير عام الجمعية الجغرافية واحمد تيمور والقبطان البحرى جورج دوان . وكانت آخر جلسات اللجنة فى يوليو من نفس العام وذلك لدراسة أمر المحفوظات التاريخية بهدف حصر الوثائق وتصنيفها وترجمتها . وقامت لجنة خاصة بترجمة الوثائق التركية اولا الى اللغة العربية ثم منها الى الفرنسية وفى اوائل سنة ١٩٢٦ استدعى الملك فؤاد المستشرق الفرنسى جان دينى Deny وعهد اليه بفحص الوثائق التركية بقصر عابدين ، وابداء الرأى بشأن تنظيمها ، وقدم دنى تقريرا فى ٢٤ مارس سنة ١٩٢٦ نوه فيه بضرورة دراسة الوثائق التركية جملة واحدة سواء ما كان فى عابدين او فى دار المحفوظات لان الوثائق بهما متممات لبعضهما .

ولما كان ذلك يتطلب دراسة الدفاتر المودعة بدار المحفوظات فقد كلف دينى بهذا العمل حيث قام بدراسة مستفيضة واعتبر العنصر عليها كشفا عظيما . وقد وضع مؤلفا قيما عنها بعنوان "Sommaire des Archives Tourques du Caire, Societe Royal de Geographie d'Egypte" (٦) بين فيه مجموعات الوثائق التركية التى صدرت عن مختلف الادارات فى عهد محمد على .

وقد نقلت هذه الوثائق من القلعة الى قصر عابدين ،ومعها الوثائق العربية عن الفترة من حكم محمد على الى بداية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ فى جناح مستقل من مبنى ملحق بالقصر ، واطلق عليه " قسم المحفوظات التاريخية " وعكف المترجمون على العمل بارشاد دقيق من كبار رجال القصر تحت الرعاية المباشرة للملك . ولم يكن الغرض من ذلك هو اقامة دار قومية للوثائق التاريخية ، بل كان جل الغرض اتاحة الفرصة لنفر من العلماء والمؤرخين الاجانب للكتابة والتأليف عن اسرة محمد على . وفى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٢ كتب رئيس الديوان الملكى الى رئيس مجلس الوزراء يخبره ان الملك قد عهد الى عدد من المؤرخين امثال هانوتو وجوجيه ، وفيت ، ودنسون روس ، ودوان ، وفيجان وغيرهم بوضع كتب عن تاريخ مصر وانه عهد الى دوان وساماركو بجمع ما حوت دور المحفوظات بايطاليا والنمسا وامريكا من وثائق تتمثل بتاريخ مصر الحديث . وقد احضر ساماركو مورا للوثائق من فينا وترجمت الى الفرنسية ورتبت ترتيبا زمنيا ، واحضر كذلك مورا من وثائق نابلس ومورا من ارشيف بعض القنصليات الايطالية فى انجلترا وفيينا . أما دوان فقد احضر مورا من الوثائق المودعة بوزارة الخارجية البريطانية Foreign Office ، والسحرة ، وكذلك مورا من وثائق الارشيد الفرنسى من عام ١٧٩٨ الى عام ١٨٧٩ ، وقد نقلت صور الوثائق السويدية والبولندية بواسطة بنيس " Benis " اما صور الوثائق الامريكينة فقد قامت السفارة المصرية باحضارها ، ولم تكن هناك خطة محددة لجمع هذه الصور من دور الوثائق الاجنبية .

ومنذ ذلك التاريخ ورغم مرور اكثر من خمسين عاما فانسه لـ يضاف جديدا الى هذه الارشيفات ، كما انه لم يتم ترجمة هذه الوثائق لأن فيما عدا بعض وثائق قليلة من الارشيف النمساوى منذ سنوات طويلة .

ولما كانت الدفاتر والوثائق التى تم نقلها من دار المحفوظات الى قسم المحفوظات التاريخية غير كاملة بعد نقل الكثير منها الى دار المحفوظات وظلت على حالها بذلك القسم دون عمل فهارس وتيسير الاطلاع والبحث فقد رأى رئيس الديوان الملكى نقل المحفوظات التاريخية من دار المحفوظات الى عابدين . وقد وافقت مصلحة الاموال المقررة التى كانت تتبعها دار المحفوظات فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢ على نقلها .

وفى ٧ يونيه سنة ١٩٣٣ طلب رئيس الديوان من رئيس مجلس الوزراء نقل سجلات الاوامر والمعية وقلم الشارسات وجزء من قلم المعية والدفاتر الخاصة بالسودن وكذلك الدفاتر والوشائق التى يرى الديوان فائدة من نقلها حتى سنة ١٨٨٠ م (٧) .

وكان اول ما نقل من دار المحفوظات الى الديوان الملكى عبارة عن ١٦٥٨٩ دفتر و ٣١٧٦ ملفا تشتمل على ٦٢٣٨١٧ ورقة واستمرت عمليات النقل ففى سنة ١٩٣٤ تم نقل ٣٥٩١ دفترا وملفا ، وقد بلغ اجمالى ما تم نقله الى قصر عابدين ٣٧٨٠٩ دفترا منها ٣١٥١ دفترا باللغة التركية و ١٥٩٢٠ باللغة العربية و ١٨٧٣٨ خاصة بالمديريات والمحافظة - سات بالاضافة الى ٣٧٨ محفظة باللغة التركية وغيرها من الوشائق (٨) .

ويلاحظ ان معظم هذه الدفاتر والوشائق اقتصرت على الفترة التاريخية من حكم محمد على الى آخر حكم اسماعيل ، كما انها تركزت حول وشائق المعية السنية والمجلس الملكى وشورى المعاونة وديوان الكتبخدا والديوان الخديوى وديوان المدارس وديوان الداخلية وديوان المالية وديوان الجهادية والجفالك والشارسات وغيرها .

أما تقويمنا لهذه الفترة التى سبقت انشاء الدار فانه بغض النظر عن الدوافع وراء انشاء قسم المحفوظات التاريخية بقصر عابدين الا انه يمكن القول ان الوشائق التى جمعت من القصر ومن دار المحفوظات ومن الارشيفات الاجنبية شكلت النواة الحقيقية لدار الوشائق القومية عند انشائها . وقد استعان القسم فى البداية بمجموعة من الاجانب المتخصصين والغنيين لدراسة هذه الوشائق ، وفى المراحل التالية استعان بالاجانب والمصريين للعمل فى هذه الوشائق من فهرسة وتصنيف وترجمة وكانت اهم هذه الاعمال :

• ترجمة العديد من الوشائق التركية مثل دفاتر المعية السنية وديوان خديوى وديوان كتخدا والمجلس الخصوصى ووشائق المالية وبحر

---

(٧) محمد احمد حسين ، المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٨) عن الارقام الخاصة بالدفاتر والاوراق لكل مجموعة على حدة والفترة التاريخية الخاصة بها . انظر الخطابات المتبادلة بين الديوان الملكى ومصلحة الاموال المقررة ودار المحفوظات ،

برا والحجاز ومجلس الملكية والمعاونة وغيرها .

• اعداد كشافات بموضوعات بعض المحافظ التي تم ترجمتها مثل  
المعنة والمعاونة وغيرها .

• تجميع الوثائق التركية بعد ترجمتها ووضعها في محافظـــــــ  
وتصنيفها وترتيبها ترتيبا تاريخيا وفهرستها وترقيمها وكذلك الوثائق  
العربية ، وقد اخذت هذه المحافظ جميعا ارقاما مسلسلة وان كانت بعض  
معالمها قد ضاعت الآن .

• تجميع الفرمانات الشاهانسة الصادرة من السلاطين العثمانيين  
لولاية مصر منذ ٢ صفر ١٠٠٦ هـ الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٥٩٧ حتى ٢ رجب  
١٣٢٢ هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٩١٤ م وتم تصويرها وجمعها في ثمانية  
مجلدات ، كما تم ترجمة هذه الفرمانات ايضا .

• اعداد محافظ اطلق عليها " محافظ الاحاث " عن اهم الموضوعات  
التي تتضمنها الوثائق الموجودة بالمجموعات الرئيسية بالقسم لتقديم  
خدمة سهلة للباحثين وقد اشتملت على وثائق اطلية وترجمات لوثائق  
الدفاتر والمحافظ ، ونسخ بعض الوثائق العربية ، وبها ايضا بعض  
المسودات ، وقد تميزت اعمال الترجمة في تلك الفترة بالمراجعة الدقيقة  
لها ، وتم تجميع هذه الاوراق وعونتها في موضوعات ، وتجميع كل موضوع  
على حده وترتيبه ترتيبا تاريخيا ، وبذلك تكون عدد ١٥٥ محفظة شملت  
عدد من الموضوعات الرئيسية الفرعية مثل :

السودان ، السكة الحديد ، الفلاح المصرى ، كريت ، التعليم ،  
الشام ، الحجاز ، تراجم الفرمانات ، تراجم الاوامر ، اوامر بالعربية  
وبعض الوثائق الاصلية وبعض التراجم والاوراق الخاصة بافراد الاسرة  
المالكة وغيرها من الموضوعات الكثيرة والمتنوعة . وهذه المحافظ  
اغنت الكثير من الباحثين عن الرجوع لاصول الوثائق . وحيدا لو استمرت  
العمل في اعداد مثل هذه المحافظ من المجموعات الاخرى بالدار .

• تم اعداد بطاقات فهرس بموضوعات متنوعة يبلغ عددها نحو عشرين  
الف بطاقة تضمنت مضمون الوثيقة وتاريخها ورقمها ومصدرها وجهــــة  
صدورها وجهة ورودها ، وهى ترجمات لوثائق تركية واخرى عربية ، وقد



بلغت موضوعات هذه البطاقات ١٥٣ موضوعا رئيسية وفرعية ، وهى مرتبة ترتيبا تاريخيا وهجائيا وقد اعتمد بعض الباحثين عليها اعتمــادا كبيرا فى ابحاثهم دون الرجوع الى الوثائق الاصلية ومن بين موضوعات هذه البطاقات :

أراضى ، املاك ، اوامر ، بريد ، بعثات ، تجارة ، رى ، زراعة ، صناعة ، لوائح وقوانين ٥٥٥. الخ .

وأهم ما يؤخذ على هذه الفترة هو انصراف الاهتمام الى ترجمة ونسخ وتلخيص مجموعات معينة من الدفاتر والوثائق وعدم العناية الكافية بباقي الوثائق والدفاتر .

وكان قسم الوثائق التاريخية من الناحية الادارية تابعا للخاصة الملكية ، وبالنسبة لنظام البحث فى القسم فكان لا يسمح لاحد بالاطلاع على الوثائق الا باذن خاص وفى اضيـق الحدود . وكان الفنيون والمترجمون فى خدمة الباحثين ، وقد وجه الاستاذ شفيق غربال تلاميذ وطلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بقسم التاريخ بجامعة فؤاد الاول الى الاستفادة من مادة هذه الوثائق حيث وقد عدد منهم لمبنى الوثائق الملحـق بقصر عابدين ، ولقوا من رياسة القلم التاريخي ومن المترجمين كل عناية وتشجيع ووضع بعضهم رسائل قيمة فى نواح متعددة من تاريخ محمد على فى التعليم وحالة الفلاح ، والمطبعة ، وحروب الوهابيين ٥٥٥. الخ وافادوا كثيرا مما اعده المترجمون من ملخصات أو تراجم (٩) . وقد تميزت هذه الدراسات والبحوث عن سابقتها تلك التى كانت تأريخا رسميا .

كما نلاحظ ان الاستاذ امين سامى فى كتابه تقويم النيل قد استفاد كثيرا من هذه التراجم ونقلها كما هى دون تحقيق لمصادر هذه الاوامر

---

(٩) محمد محمد توفيق : " الحلقة المفقودة فى تاريخ مصر الحديث " مجلة الهلال عدد مايو ويونيه ١٩٤١ فى ١٩٤١/٦/١ ص ٥٨٥ . وفى هذا المقال يوضح كاتبه الحالة التى كانت عليها وثائق روزنامه بدار المحفوظات من الاهمال والنسيان وكيف نظر الى الخط التى كتبت به هذه الوثائق ، خط القبرمة " على انه خطأ كـفريــما ، انظر ص ٥٩٠ ،

الوثائق (١٠) . وذكر الاستاذ / محمد خليل صبحى انه ترجم له وثيقة  
السياسة بناء على طلبه (١١) .

\*\*\*

فإذا ما انتقلنا الى الحديث عن دار الوثائق القومية بعد  
انشائها فاننا نجد ان الدار لم تنشأ فعلا الا فى سنة ١٩٥٦ م بعد  
صدور قرار انشائها بعامين ، ويبدو ان السنوات التى اعقبت صدورقانون  
انشائها كانت فترة اعداد فقط ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٨ .

وقد نقلت الوثائق من المبنى المخصص لها بالقصر الى مكان آخر  
مظلم وضيق وغير صالح على الاطلاق لحفظ الوثائق ، كما ان عملية النقل  
تمت بطريقة خاطئة للغاية دون تخطيط او تنسيق مما تسبب عنه تمزق بعض  
الدفاتر وتسرب الاوراق المفردة من محافظها وفقدان بعضها ، وكما ان  
السبب فى ذلك هو اخلال البوليس الحربى محل هذا القسم . وقد ظلت دار  
الوثائق بهذا المكان حتى تم نقلها الى مكانها الحالى بالقلعة سنة  
١٩٦٩ وهو مبنى قديم لم يعد يتسع لما بها من الوثائق او لاستقبال  
وثائق جديدة ، وقد بدىء فى اعداد مبنى خاص للدار على الكورنيش منذ  
اكثر من خمسة عشر عاما ولم يتم الانتهاء منه الآن .

اما عن تبعية دار الوثائق فانه بعد قيام الثورة اصبحت تابعة  
لدار الكتب التى كانت تتبع وزارة التربية والتعليم فى ذلك الوقت ،  
وبعد صدور قانون انشائها اصبحت تتبع وزارة الارشاد القومى وبذلك  
انفصلت عن دار الكتب غير انها اعيدت اليها مرة اخرى فى عام ١٩٦٦  
طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٤٩ لسنة ١٩٦٦ بتنظيم وزارة الثقافة حيث  
ضمت اليها كلا من دار الكتب والوثائق القومية . وفى نفس العام ضمت  
كلا من الدارين معا طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٥٠ لسنة ١٩٦٦ بتنظيم  
دار الكتب ودار الوثائق الثومية باسم " دار الكتب والوثائق القومية "

---

(١٠) امين سامى ، تقويم النيل وعصر محمد على ، دار الكتب المصرية ،  
القاهرة ١٩٣٦ .

(١١) محمد خليل صبحى ، تاريخ الحياة النيابية فى مصر ، ج ٤ ، دار  
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ١٣ .

ثم ضمت دار الكتب والوثائق الى الهيئة العامة للكتاب بعد انشائها وتبع ذلك فصل ادارة الدارين عن بعضهما . وقد أدى نقل الدار الى القلعة وتسعبتها للهيئة الى اهمالها والاضرار بها وبالوثائق القومية .

أما عن تنظيم العمل بدار الوثائق قبل صدور اللائحة الداخلية بها فاننا نجد ان العمل قد بدأ فى أول يوليو سنة ١٩٥٨ وقام به خمسة من المصريين المتخصصين فى غير اوقات العمل الرسمية واستمر العمل على هذا النحو حتى سنة ١٩٦١ حيث نقل الى الدار عدد آخر من الفنيين للعمل طول الوقت .

ويعد تحقيق ونشر الدفتر الاول من دفاتر المعية السنية فسى سنة ١٩٦٥ اهم انجازات هذه الفترة نظرا لما رأته الدار وقتئذ من ان المعية تمثل اهم المجموعات بها . وفى سنة ١٩٦١ بدى فى حصر وتسجيل محتويات الدار واستمر ذلك العمل حتى سنة ١٩٦٣ وفى سنة ١٩٦٢ نشرت الدار كتاب " مصر بين عهدين " فى الذكرى العاشرة لثورة يوليو ، وقد حوى الكتاب صورا للوثائق التى تصور ما كان عليه الحكم قبل الثورة مع مقابلة هذا بصورة مشرقة للاعمال المجيدة التى قامت بها الثورة بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولكن هذا الكتاب الذى طبع طباعة انيقة فاخرة اقبر بالدار لظهور بعض الاخطاء به .

كما بدى منذ ذلك التاريخ فى انشاء مكتبة متخصصة بالصدار ، وهى تضم بعض المجلدات القيمة التى تشكل مصدرا رئيسيا لتاريخ مصر الحديث ولكنها ليست غنية بالمراجع الحديثة وقد تم فى الفترة الاخيرة تزويدها ببعض الكتب لأول مرة منذ سنوات طويلة .

ولم تشهد دار الوثائق اى تنظيم لها قبل عام ١٩٦٢ حيث وضع اول تنظيم لها فى العام المذكور وكان على النحو التالى :

- المكتب الفنى ويشمل المكتبة ،
- ادارة التنظيم وتشمل : قسم الوثائق العربية .
- قسم الوثائق التركية .

وقام بالعمل فى هذه الادارة ثلاثة من الموظفين الفنيين المتدربين تحت اشراف مدير منتدب ايضا . وقامت الدار سندا بعض المتخصصين من

من خريجي المعهد العالي للوثائق - الذي انشئ سنة ١٩٥١ والفى منذ مدة طويلة - وقسم الوثائق والمكتبات للعمل فى الدار وتدريب غيرهم ، ومع زيادة عدد العاملين انشأت اقسام للوثائق الاجنبية الافريقية وقد اعد القسم الاخير دليلا بوثائق الحبشة وآخر عن الشئون القضائية والادارية فى السودان .

وفى سنة ١٩٦٥ اعيد تنظيم دار الوثائق طبقا للائحة الداخلية للدار الصادرة فى عام ١٩٦٤ غير اننا نلاحظ ان بعضا مما جاء بهذه اللائحة تأخر تنفيذه طويلا ، أو أن تنفيذه لم يكن على الوجه الاكمل وان بعضا مما نفذ لم يكتسبه الاستمرار ، فحتى الآن لا يمكننا القول بوجود لجنة للنشر على حين أن دولة عربية اخرى لا تملك ما تملكه مصر من وثائق تصدر دورية باسم " الوثيقة " كما انه لا يوجد ايضا قسم للمجلات السمعية والبصرية رغم أن دار الوثائق سبق ان تقدمت بخطة عمل فى هذا الصدد . وبالنسبة للتصوير فانه يوجد ماكينة تصوير ميكروفيلم بدأت عملها منذ اكثر من عشر سنوات وبعد مرور هذه السنوات فان ما تم تصويره ميكروفيلمبا من وثائق الدار لا يمثل الا القليل جدا مما تضمه الدار على حين ان وثائقها فى ازدياد مستمر ، وقد زودت الدار اخيرا بماكينة تصوير زبروكس بعد طول انتظار .

وفيما يتعلق بقسم وثائق الثورة واللجنة الخاصة بهذه الوثائق فان هذه اللجنة - فيما يبدو - لم تنعقد سوى مرة واحدة حتى نهاية عام ١٩٦٧ ، ويعتقد انها بدأت عملها بحماس بالغ اذ حاولت استصدار قانون يلزم بايداع صورة بالفتوتوستات او الميكروفيلم من الوثائق الهامة فى عهد الثورة ، ولكن هذا القانون لم يصدر حتى الآن . وقد انحصر نشاط اللجنة فى جمع بعض المجلدات من هيئة الاستعلامات مثل خطب وتصريحات رئيس الجمهورية ، والقليل من وثائق الجامعة العربية ، ولم تتمكن من جمع الاتفاقيات المعقودة بين الهيئة العامة لبند السد العالي والاتحاد السوفيتى ، ووثائق مؤتمرات القمة وذلك " لان هذه الوثائق تحمل صفة السرية ولا يمكن الحصول عليها " . كما قامت بجمع بعض كتب ومحاضر الاتحاد الاشتراكي ، وقام القسم بفهرسة هذه المجلدات والمطبوعات ، ويبدو أن القسم قد توقف نشاطه عند هذا الحد بعد احداث سنة ١٩٦٧ .

وقد تركز العمل فى الدار طوال تلك الفترة وحتى سنة ١٩٦٨ فى  
حصر السجلات والمحافظ وترتيبها ترتيبا تاريخيا .

وكانت قاعة البحث فى تلك الفترة تعمل لفترتين مما افاد كثيرا  
من الباحثين بعكس الحال عما هو عليه الآن .

أما عن العاملين بالدار خلال هذه الفترة فقد بدأ عددهم فى  
الازدياد حيث اصبح عددهم ١٣ بعد تعيين ٦ من خريجي الجامعات . وفى  
عام ١٩٦٤ ارتفع العدد الى ٢٦ شخصا بعد تعيين ١٣ موظفا عن طريق  
القوى العاملة وزادوا الى ٣١ فى عام ١٩٦٥ ، واستمر العدد فى الازدياد  
سنويا تدريجيا .

وقبل ان ننقل الى المرحلة الاخيرة من تنظيم الدار التى تمت  
سنة ١٩٦٩ فاننا نوجز بعضا من اعمال المجلس الاعلى لدار الوثائق  
القومية :

ففى جلسته الاولى فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٦١ التى حضرها الاستاذان  
عبد الرحمن الرافعى ومحمد شفيق غربال ناقش الاعضاء ضرورة العناية  
بدار الوثائق القومية وخاصة وشائق الاوقاف والمحاكم الشرعية وايجاد  
مبنى ملائم للدار وتوفير الفنيين اللازمين للعمل بها واسلوب ذلك ،  
وضرورة اشراف دار الوثائق على الارشيفات الحكومية ومنع اعدام أية  
اوراق دون الرجوع للدار ، وشراء اوراق الزعيم الوطنى مصطفى كامل  
وتقدير ثمن لها وتشكيل لجنة لوضع اللائحة الداخلية .

وفى الجلسة الثانية بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٩٦٣ والتى حضرها  
الدكتور احمد عزت عبد الكريم والدكتور محمد حمدي البكرى رئيس قسم  
الوثائق والمكتبات ناقش الاعضاء اللائحة الداخلية للدار ، وتشكيل  
اللجان ، والمكتب التنفيذى ، وميزانية الدار ، ووثائق الحملة  
الفرنسية الموجودة بقصر عابدين ، وتدريب طلبة قسم الوثائق بالدار .

وفى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٦٣ عقدت الجلسة الثالثة ، وكان أهم ما  
جاء بها هو تأجيل النظر فى مسألة الاستيلاء على مذكرات سعد زغلول  
وتشكيل لجنة لوضع قواعد الاطلاع بالدار ، ومسألة تصوير حجج الاوقاف  
والمحاكم الشرعية ، والتسجيل العلمى لوثائق الحملة الفرنسية تمهيدا

لنشرها بعد توفير الاعتمادات اللازمة في ميزانية ١٩٦٥/٦٤ ، والسعى لتصوير بعض الوثائق الأجنبية من الخارج .

وفى الجلسة الرابعة بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٦٤ ناقش المجلس مسألة مذكرات سعد زغلول وتفويض الاستاذ / محمد حسين وكيل الوزارة للاتصال بالدكتور بهى الدين بركات الحارس على المذكرات للوقوف على مسدى استعداده لتنفيذ حكم الحراسة وامكان نقل الحراسة لدار الوثائق ودراسة ما يتصل باستصدار قرار الاستيلاء بعد ذلك وتكوين لجنة من الدكاترة احمد عزت عبد الكريم ومحمد حمدي الكرى لوضع تقرير عن مذكرات عبد الرحمن فهمي ، واعداد دليل عن دار الوثائق القومية ، وعددا آخر من المسائل الهامة الخاصة بالحصول على مذكرات محمد كامل سليم وهدى شعراوي وعبد العزيز جاويز .

وفى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٦٤ عقدت الجلسة الخامسة ، وقد اعلن فيها تسلم دار الوثائق لمذكرات محمد فريد وعبد الرحمن فهمي ومحمد على علوية وسعد زغلول . وناقش المجلس ما يتعلق بمذكرات الزعماء والسياسيين المصريين ، وانشاء قسم للوثائق الافريقية بالدار وضم بعض الوثائق من وزارة الاقتصاد وتكوين لجنة لتقويم مذكرات محمد فريد وسعد زغلول ماديا .

وفى الجلسة السادسة فى ٢٤ مارس ١٩٦٥ ناقش المجلس ضم وثائق الحجج الشرعية من دار المحفوظات ، وضم وثائق صندوق الدين وغيرها من الوثائق ومشروع الميزانية والمبنى الجديد لدار الوثائق .

وفى الجلسة السابعة والاخيرة للمجلس - والذي توقف نشاطه - وكانت فى ٩ اغسطس عام ١٩٦٧ وحضرها الدكتور احمد عزت عبد الكريم والدكتور الشنيطى خير المكتبات بالامم المتحدة حينئذ قرر المجلس تشكيل لجان لدار الكتب والوثائق القومية واحالة مشروع خطة سنة ١٩٦٨/٦٧ م وما بعدها الى لجنة التخطيط والمتابعة . وهكذا انتهى دور المجلس الاعلى للوثائق الذي كانت دار الوثائق فى حاجة الى استمراره .

\* \* \*

وقد أعيد تنظيم دار الوثائق للمرة الاخيرة سنة ١٩٦٩ ، ويبدو

هذا فضلا عن ادارة جمع واعداد الوثائق والتي بدأت فى تنفيذ مواد القانون الخاصة بجمع الوثائق من الجهات المختلفة ، وانشاء اللجان بالوزارات والمؤسسات والمصالح مع التركيز على الجهات المنصوص عليها بالمادة الرابعة ، وقد قامت بضم المجموعات الخاصة بالثورة العربية وقناة السويس والازهر وصندوق الدين والحج الشرعية والتقايط ووثائق السودان ومجلس الاحكام ومجلس الاستئناف وغيرها من الوثائق الكثيرة والمتنوعة . وبلغت عدد لجاتها فى اوائل السبعينات ٨٦ لجنة منها ٢٤ بالوزارات ، ٢٣ لجنة بالمحافظات ، ٣٩ بالمؤسسات . أما الآن فيبلغ عدد اللجان نحو ٤٠٠ لجنة ، وقامت الادارة منذ انشائها باصدار المنشورات الى الجهات السابقة لتوضيح طرق تنظيم محفوظاتها واسلوب تشكيل لجان المحفوظات وكيفية الاستغناء عن الاوراق كوجود قاعة للبحث ومكتبة وقسم للشئون الادارية ومتحف وقسم لترميم الوثائق .



وعلى النحو السابق توزعت الدفاتر والوثائق الموجودة بالصدار على الادارات الغنية الخمس وبالتالي فقد أعد الدليل الموقت الذى أصدرته الدار سنة ١٩٧٠ متضمنا لهذه الادارات الخمس وما يندرج تحت كل ادارة من مجموعات الوثائق المختلفة . وان كنا نرى انه من الافضل - نظرا لوجود بعض الصعوبات فى هذا التقسيم - ان يتم تقسيم المجموعات الارشيفية والوحدات بالدار تبعا للمراحل الزمنية التى مر بها تاريخ مصر على مر العصور .

وبعد دراسة هذه الداليل فانه يمكن الخروج ببعض الملاحظات ومنها :

- ١ - عدم ذكر اعداد سجلات كل ديوان او مجموعة وثائقية .
- ٢ - عدم ذكر الفترة التاريخية سواء لسجلات هذه الدواوين أو للمجموعة بأكملها .
- ٣ - عدم ادراج المحافظ والوثائق المفردة الخاصة بهذه الدواوين والمجموعات .
- ٤ - عدم وجود دلائل للمحافظ بصفة عامة لاية مجموعات وثائقية اخرى باستثناء بعض الحجج الشرعية .

وشمة ملاحظات أخرى على عملية تصنيف هذه المجموعات حيث يلاحظ  
ان بعض سجلات الديوان الخديوى وجميع سجلات الديوان العالى السلطانى  
قد ادرجت جميعا ضمن مجموعة سجلات المعية السنية وقد تم تدارك ذلك  
قريبا .

وهناك ملاحظة أخرى هامة حيث تبين ان تصنيف بعض الدواوين  
المجموعات أو الوحدات الارشيفية غير دقيق ومن ثم فقد تطلب ذلك اعادة  
ترتيب وتصنيف هذه المجموعات . وفيما يتعلق بنظام حفظ الوثائق فانه  
يلاحظ عدم وضع الدفاتر والمحافظ ذات الموضوع الواحد فى مكان واحد  
معا . اما العمل فى الوثائق المفردة فيغلب عليه ترتيبها ترتيبا  
تاريخيا دون ترتيبها ترتيبا موضوعيا كلما امكن ذلك ويرجع ذلك الى  
صعوبة تصنيفها والى سياسة الكم التى تتبعها الدار .

وفيما يتعلق بالعملين بالدار فقد ازداد عددهم تدريجيا خلال  
تلك الفترة حتى بلغ احيانا نحو ٤٠ عاملا ولكن عددهم الآن فى تناقص  
مستمر حتى انه يزيد قليلا عن نصف العدد السابق مما يعطل تنفيذ الكثير  
من المهام والاعمال .

اما أبرز النشاطات العلمية والعملية خلال هذه الفترة ، فيما  
عدا اعمال جمع الوثائق وترتيبها وتصنيفها ، فنوجها فيما يلى :

- اعداد دليل مؤقت للدار سنة ١٩٢٠ .
- ارسال مبعوث الى ايطاليا لمدة أربعة أشهر فى عام ١٩٢١ ( الآن  
خارج الدار ) .
- فى سنة ١٩٢٢ قدمت الدار بعض المعلومات عن طبيعة العمل بها  
وامكانياتها للمؤتمر الدولى السابع للوثائق الذى عقد  
بموسكو .
- فى سنة ١٩٢٣ اشتركت الدار فى المؤتمر الذى عقده الفسرع  
الاقليمى العربى للوثائق ببغداد .
- فى سنة ١٩٢٤ اشتركت الدار فى الندوة الدولية لادارة وتنظيم  
المحفوظات العامة والتى عقدت بواشنطن .
- واشتركت ايضا فى مؤتمر عقد بطرابلس حيث تقدمت ببحث عن أبنية  
دور الوثائق ، واشتركت ايضا فى مؤتمر عقد بالسودان .



انه قد بدىء فى الاعداد لهذا التنظيم قبل هذه السنة حيث الغيست  
الاقسام السابقة التى ارتكزت على تقسم الوثائق تبعاً للغات المدونة  
بها ، واعتمد التنظيم الجديد على تقسم المجموعات الوثائقية الموجودة  
بالدار بما يتمشى مع الهيكل الادارى للدولة ، حتى لا يتم تفتيت وثائق  
المجموعة الواحدة وذلك على النحو التالى :

#### ١ - ادارة الوثائق السيادية :

وتشمل الوثائق الخاصة بالجهات الرئاسية والشئون السياسية  
والحربية للدولة وتضم مجموعات : المعية السنية ، ديوان  
خديوى ، ديوان الجهادية ، ديوان البحرية ، ديوان الدوننما  
الجمعية الحقانية ، مجلس الاحكام ، مجلس مصر ، مجلس  
استئناف مصر ، المجلس الخصوصى ، مجلس بلاط الملك ، مجلس  
الوزراء ، وثائق عابدين<sup>(١٢)</sup> ، شوراى المعاونة ، ديوان  
كتخدا ، وثائق الخارجية المصرية ... الخ .

#### ٢ - ادارة وثائق الخدمات :

وتشمل الوثائق التى لها صلة الخدمة مثل : التعليم والصحة  
وغيرها وتضم ديوان المدارس وديوان الاشغال ، ديوان المبانى  
بالاسكندرية ، مجلس عموم الصحة ، الاستبالية الملكية ، شورى  
الطب ، ديوان المرور والسكة ، البوستة الخديوية ، القناطر  
الخيرية ، الساحلخانه ، مصلحة خفر السواحل ، صحة مصر ،  
القومبانية العزيزية ، القومبانية المجيدية ، الدابرة  
البلدية ، تفتيش هندسة قبلى ، تفتيش عموم الاقاليم ، تفتيش  
الاقاليم البحرية ، تفتيش الاقاليم الوسطى ، تفتيش عموم  
قبلى ، الترسانة ، الويركو ، الاورناتو ، الترعة الاسماعيليه ،  
ليمان ريس ، ليمان رشيد ، ملفات البعثات العلمية ... الخ .

---

(١٢) توجد بدار الوثائق اكثر من مجموعة يطلق عليها عابدين مشمل :  
دفاتر عابدين علما بانه لا يوجد مجموعة ارشيفية بهذا الاسم ،  
ومحافظ عابدين وهى المحافظ القديمة التى نقلت الى قصر عابدين  
وتحمل كلها ارقاما مسلسل قديمة وتضم عدة موضوعات ، وتمييزا  
للوثائق المفردة التى وردت الى الدار من قصر عابدين وتشمل  
معظمها فترة الديوان الملكى فانه من الافضل تسمية هذه الوثائق  
" وثائق ديوان جلالة الملك " .

### ٣ - ادارة وشائق الانتاج :

وتشمل وشائق الوزارات والمؤسسات والشركات التى لها طابع الانتاج وتضم مجموعات : ديوان المالية ، ديوان الايرادات ، ديوان الاخشاب ، تجارة ولى النعم ، دائرة محمد سعيد ، ديوان مجلس تجارة مصر ، ديوان الجفالك ، الدائرة السنيسة ، دائرة الهامى ، ديوان التجارة والزراعة والمبيعات ، وشائق الشركات وغيرها .

### ٤ - ادارة الوثائق المحلية :

وتشمل الوثائق الخاصة بالوحدات المحلية فى الدولة من محافظات ومديريات وتضم ديوان الداخلية ، محافظة مصر ، ضبطة مصر ، محافظة الاسكندرية ، ضبطة الاسكندرية ، محافظات السويس والاسماعيلية وقنال السويس والعريش ودمياط ، مديريات الدقهلية والغربية وروضة البحرين ، المنوفية ، البحيرة ، الشرقية ، القليوبية ، اسنا ، الجيزة ، الفيوم ، بنسى سويف ، اسيوط وجرجا ، اسيوط ، الاقاليم الصعيدية ، وقد قامت الدار منذ سنوات قليلة بضم مجموعات اخرى عن دار المحفوظات متممة للمجموعات السابقة واخرى عن " تعداد السكان فى مصر .

### ٥ - ادارة الوثائق الخاصة :

وتشمل الوثائق التى لها طابع مميز أو التى ليس لها صفة الاستمرار مثل وشائق السودان ، الحجج الشرعية ، الثورة العربية ، وشائق الازهر الشريف ، التقاسيط العشورية ، السادة العسكرية ، ومشیخة الطرق الصوفية ، محافظ الاباحث ، الارشيفات الاجنبية ، وشائق قناة السويس ، وشائق الحملة الفرنسية ، مذكران الزعماء والسياسيين وهى : مذكرات احمد عرابى ، اوراق مصطفى كامل ، مذكرات وأوراق محمد فريد ، مذكرات سعد زغلول ، ذكريات محمد على علوياسة ، مذكرات عبد الرحمن فهمى ، اوراق محمد عبد المنعم ياور ، اوراق احمد زكى باشا ، وغيرها من الوثائق .

- فى سنة ١٩٧٦ قامت الدار بالتعاون مع لجنة تسجيل وشائق الثورة وأمدتها بآلاف البطاقات عن الموضوعات التى تم الاتفاق بين الدار واللجنة واستمر ذلك التعاون لعدة سنوات ..

- فى سنة ١٩٨١ قامت الدار باعداد بيليوغرافيا عن وشائق الثورة العربية من خلال الوثائق والمجموعات والدفاتر الخاصة بها وتقدمت بها الدار الى ندوة الثورة العربية التى اعدتها سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور مائة عام على احداث الثورة العربية ( ١٨٨١ - ١٩٨١ ) .

- قيام الدار سنويا باستقبال طلبة قسم الوثائق والمكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة حيث يتم تدريبهم على نظم العمل بالدار وكذا استقبال طلبة اقسام التاريخ بالكلية المختلفة وتزويدهم بالمعلومات اللازمة .

- امداد وتزويد الهيئات الرسمية بالدولة ومؤسساتها واجهزتها بالوثائق التى تتطلبها وكذلك الدول الاخرى والتى ترى الدار تزويدها بها .

- وفيما يتعلق باعداد الباحثين وجنساتهم خلال الفترة من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٨٤ فانه يلاحظ ان اعدادهم فى ازدياد مستمر كما يلاحظ تردد الكثير من الباحثين الاجانب على الدار وازديادهم تباعا .

أما عن مشكلات دار الوثائق واحتياجاتها فتتلخص اهم مشكلاتها فيما يلى :

- ١ - ضيق المكان الحالى بالقلعة وعدم قدرته على استيعاب الوثائق وتجهيزها للباحثين والعمل فيها .
- ٢ - قلة العاملين الفنيين بالدار ، والتى لا يوجد بها واحد على الاقل من خريجي قسم الوثائق مما تضرر معه ادارة الدار الى الاعتماد على العاملين من ذوى المؤهلات المتوسطة فى الاعمال الفنية المتخصصة ، مما يؤدى لأسوأ العواقب .
- ٣ - عدم وجود قسم أو مركز للمعلومات بالدار يقوم على توفير السياسات الكافية لاعمال البحث والباحثين .

- ٤ - توقف الدار عن الحصول على اصول المذكرات السياسية للزعماء والسياسيين المعاصرين .
  - ٥ - التردد بين الابقاء على التقسيمات السابقة أو التصنيفات التي تمت لكثير من الدفاتر والمحافظ ودواعى اعادة تقسيمها وتصنيفها.
  - ٦ - عدم توفر القيادة والادارة الفئسة .
  - ٧ - عدم وجود امناء مخازن بالدار .
  - ٨ - فصل وثائق المجموعة الواحدة عن بعضها عند اعمال التصنيف .
  - ٩ - عدم حفظ وثائق المجموعة الواحدة فى مكان واحد .
  - ١٠ - عدم الالمام بكل محتويات الدار .
  - ١١ - التركيز فى الانتاج على الكم دون الكيف وما يتسبب من مشاكل جمة اقلها اعادة العمل فيما سبق عمله .
  - ١٢ - عدم ختم الوثائق التى تدخل الى الدار طبقا للقانون .
- وفيما يتعلق باحتياجات الدار فان من أهمها :

- ١ - تبخير الوثائق بصفة دورية وقاية لها من الحشرات .
- ٢ - شفاطات اترية لازالة الاتربة التى تتراكم على الوثائق .
- ٣ - انشاء وحدة ترميم متكاملة مزودة بكافة الامكانيات لترميم ومعالجة الوثائق والسجلات حفاظا عليها .
- ٤ - تصوير الوثائق ميكروفيلما وذلك باستعمال معدات وأدوات قسم التصوير حتى يمكن اطلاق الباحثين على الميكروفيلم وخاصة بالنسبة للوثائق التى يوءدى كثرة تداولها الى تعرضها للتلف .
- ٥ - توفير اجهزة قراءة حديثة ( قارئ / طابع ) .
- ٦ - انشاء قسم للمسجلات السمعية والبصرية .
- ٧ - تعيين خريجين من قسم الوثائق للعمل بالدار .
- ٨ - تدريب العاملين الحاليين على طرق تنظيم الوثائق والاساليب الحديثة الخاصة بها وحفظها .
- ٩ - العمل على تعيين أو استداب عدد من المترجمين من ذوى الخبرات الجيدة فى اللغات التركية والانجليزية والفرنسية والالمانية والاسطالة لترجمة الوثائق المدونة بهذه اللغات بالدار افادة للباحثين .

- ١٠- حل مشاكل العاملين بالدار وذلك بجعلهم على كادرات الباحثين وتشجيعهم على استمرار العمل فى هذه المهمة الشاقة وخلق نظام للحوافز .
- ١١- تزويد الدار بصور من الارشيفات الاجنبية استكمالا لما سبق جمعه .
- ١٢- انشاء مركز للمعلومات بالدار يزود باحدث الاجهزة العلمية .
- ١٣- ضرورة التعاون الوثيق بين اساتذة التاريخ بالجامعات المصرية وكذلك اساتذة الوثائق بقسم الوثائق بجامعة القاهرة وبين دار الوثائق للبحث العلمى والنهوض بالدار لحاجة الدار لخبرتهم وجهودهم .
- ١٤- تحرير دار الوثائق من كافة القيود الروتينية والبيروقراطية وتحرير ادارتها من التبعية لاجهزة حكومية وذلك بالغاء تبعتها لهذه الاجهزة والتفكير فى استقلالها أو اشراف جهة رسمية أو رئاسية أو تشريعية عليها مثل رئاسة الجمهورية أو مجلس الوزراء أو مجلس الشعب .



١ - اضافات جديدة لدراسة تاريخ  
المستوطنات والتجمعات السكانية  
شمالي شرق الاردن

Beiträge Zur Siedlungs und Territorial-geschichte  
des Nördlichen Ostjordan Lnds von  
Siegfried Mittmann

عرض وتعليق د/ محمود ابراهيم حسين

تعد منطقة الاردن من المناطق التي تمتعت بموقع متوسط بين سوريا وبلاد الروم في الشمال وشرقا بالصحراء ومن الغرب للبحر الابيض المتوسط ، ومن الجنوب البحر الاحمر مصر ، ولشك أن الدور الذي لعبته هذه المنطقة في الفترات القديمة ، والفترات الاسلامية كان دورا مميزا سواء من الناحية الحضارية أو الاثرية . ولذلك فإن الدراسات الخاصة بهذه المنطقة دائما ذات اهمية خاصة في الكشف عن حضارة تلك المنطقة .

ومن هنا كان لدراسة الاستاذ الدكتور / Siegfried Mittmann اهمية خاصة لتناوله جزء من منطقة الاردن وهو الجزء الشمالي ، وكان هذا التناول في صورة مسح اثيرى ودراسة لتجمعات السكان من خلال الآثار الباقية للمساكن والادوات الحجرية والفخارية التي استعملها في تلك الفترات الزمنية .

ويقع هذا العمل الضخم في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط والواقع ان هذا الكتاب الذي نشر في مدينة Wiesbaden بالماسا الغربية سنة ١٩٧٠ ، هو في الاصل رسالة الدكتوراه الخاصة بالمؤلف Siegfried Mittmann " ميتنمان " والتي تقدم بها في شتاء ١٩٦٦ - ١٩٦٧ الى كلية الدراسات اللاهوتية الانجيلية بجامعة كارل ابرهارد بمدينة توبنجن ، والواقع ان هذه الرسالة الجامعية كانت ثمرة دراسات مدانية ومسوحات اثرية في منطقة الاردن في الفترة ما بين اغسطس ١٩٦٣ وحتى يناير ١٩٦٦ وخاصة في الجزء الشمالي من شرق الاردن من تسوك حتى اليرموك وحنو حتى حرض بيسان .

وقد قسم المؤلف عمله الى مقدمه وثلاثة اجزاء ، تعرض فلسفى الجزء الاول منها ، والذى قسمه الى مناطق الشمال والغرب والشرق والجنوب .

فتحت عنوان الشمال يتعرض المؤلف لدراسة لآثار التجمعات السكانية فى مناطق اليرموك ، ثم وادى العرب وتحت عنوان الغرب درس المؤلف مناطق وادى العرب ووادى اليبس ، ومابين وادى اليبس ووادى الفرنجة والمناطق الجبلية فى شمال وادى سوف ومنطقة وادى كفرنجة ، وتحت عنوان الجنوب قام المؤلف بدراسة المناطق فى وادى سوف ومنطقة حوض جرش ، وكذلك المنطقة الجبلية من حوض جرش ، وتحت عنوان الشرق درس المؤلف المناطق الجبلية فى شمال المدور والمفرق وسهل اربد ثم المناطق الجنوبية فى مدخل منطقة بيسان .

وأما الجزء الثانى من هذا البحث فقد حدد له المؤلف عنوان الشوارع فى العصور الرومانية والعصور الوسطى ، وفى هذا الجزء درس المؤلف الشوارع الرومانية حتى وادى الاردن وامتداد هذه الشوارع وعلامتها الحجرية ، ثم مجموعة النقوش التى عثر عليها بالمنطقة ، ثم دراسة للشوارع الرومانية فى الجزء الشرقى من وادى الاردن وتشمل امتداد الشوارع والعلامات الحجرية ، وكذلك مجموعات النقوش التى عثر عليها بها . ثم أعقب ذلك بدراسة وسائل قياس المسافات ونظم الشارع الرومانى وخاصة فى منطقة بيسان ، وكذلك دراسة للشوارع الممتدة بين بيلا وحتى جرش من خلال العلامات القياسية والنقوش الحجرية كما اشتمل هذا الجزء على معلومات هامة فيما يتعلق بنظام البريد المملوكى .

أما الجزء الثالث من الدراسة ، فكان عن تاريخ النقوش اللاتينية ، مع دراسة لعملية التوسع السكانى والنمو العمرانى حتى استيلاء الفرنجة ابان الحروب الصليبية على منطقة شمال شرق الاردن ، ثم أعقب ذلك دراسة لمجموعة من السجلات لاسماء المدن القديمة وانواع الفخار والخزف الذى عثر عليه بها .

والواقع ان الدراسة التى قام بها الاستاذ الدكتور / S. Mittmann رغم اهميتها الواضحة الا انها لم تكن



ودراسات تتعلق بالتجمعات السكانية وما تركته من آثار من قبل أكثر من ساحت ، واول هذه الدراسات ما قام به G.Schumacher وهو عبارة عن تسجيل لرحلته في المنطقة فيما بين سنة ١٨٨٥ - ١٩١٤ ، وقد اشتملت دراسته على كثير من الانشاءات الى بقايا اثرية في المنطقة ، وقد اسمعت دراسات شوماخر بالاضافة الى الخريطة التي استطاع رسمها للمنطقة في سد فراغ كبير يتعلق بهذا النوع من الدراسات ، وبعد نحو ربع قرن من دراسات شوماخر وعلى وجه التحديد في الفترة ما بين سنة ١٩٣٩ - سنة ١٩٤٠ ، وما بين سنة ١٩٤٢ - سنة ١٩٤٧ ظهرت دراسة جديدة للعالم N.Glück في اطار ابحاثه في مجال الاشجار والدراسات العمرانية ، وظهر كتاب له تحت عنوان "مسوحات اثرية في منطقة شرق فلسطين" وبعد ذلك ظهرت سلسلة من الدراسات انحصرت في دراسات اثرية للمنشآت العمرانية في منطقة عجلون على يد كلا من B.Bagatti, A.Augustinovie وقد كشفت هذه الدراسات عن بقايا لمجمعات سكانية في شمال وادي كفرجة .

واعتبارا من عام ١٩٦١ بدأت دراسات للمعهد الانجلي للدراسات القديمة في الاراضي المقدسة وقد كشفت هذه الدراسات عن بقايا مساكن في منطقة وادي كفرجة ، وكذلك عن بعض اللقى الاثرية في المنطقة نفسها .

وتعتبر دراسات N.Glück رائدة فيما يتعلق بالاعتماد على اللقى الفخارية والخزفية في تفسير وتاريخ البقايا المعمارية والاثار التي عثر عليها في هذه المناطق ، وقد اشتملت دراسته هذه على الاثار الموجودة ما بين خليج العقبة ومنطقة اليرموك .

والمواقع ان الدراسات التي اجراها Glück كانت ذات اهمية خاصة لمؤلف الدراسة S.Mittmann ولذا فعد الاستشهاد / Mittmann هوبا رئيسا وهو استكمال الابحاث التي اجراها Glück في المناطق الشمالية من الضفة الشرقية للاردن ، وقد ازداد عدد المناطق المسجلة من خلال مسوحات Glück وكانت قد بلغت مائتين ازيدات حتى اصبحت ثلاثمائة وثلاثين ، بالاضافة الى اعادة فحص المناطق التي سبق واكتشفها Glück والتحقق من وجودها حثي الان خاصة وأن الدراسات الخاصة بالفخار والخزف قد تقدمت واصبحت

تعتمد على كثير من العلوم والمساعدة الاخرى في تفسيرها ، وللسذا فيذكر المؤلف S.Mittmann أن الوقت لم يكن كاف حتى يمكن اخراج دراسة كاملة عن الفخار المعثور عليه في عمليات المسح الاثرى التى صحت هذه الدراسة .

وأشار المؤلف الى انه يعتبر الدراسة المقضية لمجموعة الفخار التى عثر عليها بمثابة دراسة ميدانية غير تفصيلية وان المجموعة الاكبر فما جمعه من قطع فخارية صغيرة موجودة بالمخازن الخاصة بالمعهد الالماني الانجلى للدراسات الاثرية بالقدس ، كما يوجد ايضا قطع قليلة منها بمجموعته الخاصة .

وأشار الى ان الاستاذ الدكتور / P.W.Lapp والذي كان يشغل حينذاك وظيفة مدير لمركز الاحاث الشرقية الأمريكى فى القدس - قد فحص المجموعة التى عثر عليها كلها .

وأضاف المؤلف بأن الاستاذ الدكتور / J.B.Hennessy مدير المدرسة البريطانية للأثار القدس قد قام بدراسة مجموعة الفخار التى ترجع الى ما قبل العصر البرونزى وكذلك فترة العصر البرونزى المبكر ، اما الأدوات الصوانية فقد قام بدراستها الدكتور P.Mortenser وهو يعمل بالمتحف الوطنى الدنماركى فى كوبنهاجن .

أما فيما يتعلق بالجزء الخاص بالشوارع الرومانية وأيضا فيما يتعلق بالعلامات القياسية الحجرية الخاصة بتلك الشوارع فانها ساهمت فى الكشف عن شوارع مجهولة ، وعلى اية حال فهى دراسة ضرورية خاصة وان كثير من العلامات القياسية الخاصة بالشوارع القديمة كانت قد بدأت تندثر نتيجة للتوسع العمرانى والسكانى فى العصر الحديث . كما ان معالم هذه الشوارع قد بدأت تتغير للسبب نفسه .

وقد قام المؤلف نفسه بنشر جزء من هذه اللقى الاثرية المتعلقة بالعلامات الحجرية وخاصة المتعلقة منها بالشارع الممتد من جرش حتى درعا فى مجلة الجمعية الفلسطينية سنة ١٩٦٤ .

كما اشار المؤلف الى ان مجموعة النقوش اليونانية واللاتينية التى جمعها فى هذه الدراسة لا ترجع الى المنطقة التى حددها لدراسته ميدانيا ، بل ترجع الى منطقة سهل حوران هذا بالإضافة الى ان حركة

انتقال البدو من مكان الى آخر فى وسط هذه المواقع الاثرية جعل  
امر جمع هذه المقتنيات دراستها امر ملحا .

أما الجزء الاخير من الكتاب فقد اشتمل على دراسة تفصيلية  
لطبوغرافية مناطق المدن الدراسية فى شمال شرق الاردن ، وهى دراسة  
استكمل فيها المؤلف ما بدأه كلا من G.Beyer, M.Noth ثم اعقب  
المؤلف ، وذلك الجزء الخاص باللوحات والرسوم والخرائط .



## ٢ - العرب في افريقيا " الجذور التاريخية والواقع المعاصر "

اشرف اود / روف عباس حامد

مراجعة / عبد الكريم مسدون

صدر عن دار الثقافة العربية ، كتاب العرب في افريقيا ، الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، والكتاب اصلا ندوة اقامها سمنار التاريخ لجامعة القاهرة ، ويتكون الكتاب من احدى وعشرين بحثا في ٦٨٧ صفحة .

لقد كان للممار التاريخي وضوحا من خلال البحوث المقدمة في هذا الكتاب بحيث كان التركيز على التحولات التي عرفتها العلاقات العربية الافريقية والتي حددتها اسس اختلفت باختلاف خصوصية كل فترة لتفنى عليها طابع الاستمرارية أو القطيعة ، وقد شكل الاسلام والتجارة نقطة البداية لايزان هذه العلاقات ، لتتحول فيما بعد الى وحدة هدف الشعبين وذلك في اطار مواجهتهما للاستعمار اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد طرحت البحوث مجموعة من الاشكاليات تمحورت حول مدى التعاون الموجود فيما بين العرب والافارقة ، ماهو الحوار الذي يوجد فيما بينهما لمواجهة المشاكل الراهنة ولتحدد الرؤى المستقبلية .

ويمكن تقسيم البحوث المقدمة في هذا الكتاب الى اربعة محاور:

- المحور الاول : دور الاسلام في تحديد البدايات الاولى للعرب في افريقيا .

- المحور الثاني : الامبريالية ودورها في تطبيق العلاقات العربية الافريقية .

- المحور الثالث : وضعية العلاقات العربية الافريقية بعد الاستقلال .

- المحور الرابع : الابعاد السياسية والاقتصادية للعلاقات العربية الافريقية رؤية مستقبلية .

لقد اتفقت جل المداخلات على وجود علاقات عربية افريقية على مر العصور التاريخية سواء كانت هذه العلاقات سياسية ، اقتصادية ، ثقافية أو اجتماعية لكن مامدى استمرارية هذه العلاقات أو انقطاعها خلال هذا المسار وماهو موقف الافارقة من العرب وبالتالي من الحضارة العربية ومامدى التفاعل الذي حدث فيما بين الحضارتين ؟ وكيف

ساعدت هذه العوامل على تحديد الحاضر ومواجهة المستقبل ؟

هذه التساؤلات تقاسمها جميع المتداخلين بحيث حاولوا الاجابة عليها وذلك صفة مباشرة أو غير مباشرة وان اختلفت مناهجهم وذلك باختلاف الزمنية التاريخية التي هم يصددها .

فمن خلال المحور الاول والمتمثل في دور الاسلام في تحديد البدايات الاولى للعرب في افريقيا عمل جميع السادة المتحدين على تبرير اتجاه واحد واساسي ، وهو اثبات وجود العرب في افريقيا ، سواء كان ذلك في اطار علاقات اقتصادية تجارية بالخصوص ، أو في اطار نشرهم الاسلام ، بل نراهم تجاوزوا هذه الخلفية للحديث عن مدى التأثير الاسلامي في الحياة الاجتماعية والثقافية والحضارية داخل الشعوب الافريقية ، وذلك كما جاء في بحث الدكتور سليمان المالكى الذى تحدث عن أثر العرب على الحياة الاجتماعية في شرق افريقيا ص (١٢ - ١٤٠) وكذلك في بحث الدكتور ايمن فؤاد سيد الذى تحدث عن الرحالة العرب الذين كتبوا عن افريقيا كالمسعودى والادريس وابن بطوطة ، وذلك من خلال تدخله الذى عنوانه " بوصف افريقيا في المصادر الاسلامية ص ٢٧ ، ٤٥ وقد أكد الدكتور شوقي عطالله الجمل ان للحضارة العربية الاسلامية أثر كبير في الحضارة الافريقية ويعلل قوله هذا بانتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمعاملات التجارية ، بالإضافة الى الأثر الفنى والمعماري والدينى المتمثل في انتشار الاسلام بمبادئه . هذا الى جانب ظهور حركات اصلاحية تبنت الاسلام بالخصوص في غرب افريقيا كحركة احمد بابا التيمبوكتي وعثمان بن فوديو والحاج عمر ص (١٤١ - ١٦٨) .

كل هذا يوضح لنا أن الاسلام قد ساد العلاقات العربية الافريقية ودراة انتشار الاسلام قد اصبحت تعنى دراة للعلاقات الثقافية والحضارية بين الشعبين . لكن رغم كل هذا يبقى السؤال المطروح والذي لم يحاول المتدخلون الاجابة عنه ، والذي طرح خلال النقاش ، والمتمثل في موقف الانفارقة من دخول العرب والاسلام وبالتالي الحضارة العربية الاسلامية لبلادهم ، وما مدى التفاعل الذى حدث بين الحضارتين؟ وقد ادى هذا الموضوع الى طرح مجموعة من النقاط كالتى أشارها الدكتور عبد الملك عودة حول رؤيتنا للعلاقات العربية الافريقية حيث قال انه يجب ان نحدد ماهو ايجابى في هذه العلاقات وماهو سلبى ، ونقسم

مثل الجانب الايجابي في الاسلام وانتشاره ، اما الجانب السلبي فقد حده في تجارة الرقيق . فكيف نربط فيما بين مبادئ الاسلام ودور العرب في تجارة الرقيق بافريقيا ؟

وقد يقال ان هذه الشائبة سياسة استعمارية جاءت لغرض قطعية فيما بين العرب والافارقة لكنها حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها . ومهما يكن من الامر فان الاستعمار حاول وبتمنيه لما سماه بالاسلام الاسود ان يضع حدا فاصلا فيما بين العرب والافارقة وهذا لا يعبر الا عن السياسة الاستعمارية التي حاولت من جهة فصل الاسلام الافريقي عن سياقة العالمى والتركيز عن افريقانيتها في افريقيا وتكييفه مع الاديان والقيم الافريقية من جهة ثانية .

اما المحور الثانى والمتمثل في دور الامبريالية في تطبيع العلاقات العربية الافريقية ، فلا مجال للشك بأن القادة العرب والافارقة كانوا يعلمون جيدا بالتهديد الاوربى سواء للقارة الافريقية أو للشرق الاوسط وهم كقادة ثوريين كانوا على اتصال بجميع المواقف والاهداف السائدة فيما بينهم ، ولكن بالرغم من وعيهم بازمتهم المشتركة ، وبالرغم من وجود قنوات الاتصال فان مختلف الدول سواء العربية أو الافريقية تعرضت للتهديد الاوربى دون أن يكون هناك موقف موحد للمواجهة .

والسلاطون أن البحوث التي قدمت في هذا المحور ركزت حديثها عن العلاقات دون الأخذ في هذه القضية .

لقد حاولت جل البحوث تبرير الوجود العربى في افريقيا وبالتالي عملت على ضحى مقولة ( الاستعمار العربى في افريقيا ) ، والتي تعتبر فكرة غريبة اتى بها الفكر الاستعماري ليزرعها في الافكار الافريقية والتي اصبحت تنظر الى العرب والاسلام والحضارة العربية الاسلامية بمثابة الدخيل الذى يجب مواجهته ، وقد تحدث الدكتور جمال زكريا عن هذه القطيعة الفكرية التي احدثتها الامبريالية بين العرب وافريقيا وذلك في معرض حديثه عن تاريخ العرب في افريقيا سبيل للتقارب أم للتباعد .

فالجانب التاريخى اذن سواء بابحاثه أو سلباته أكد وجود

علاقات عربية افريقية سواء كانت سياسية اقتصادية اجتماعية أو ثقافية ، وقد ركزت الندوة كما ظهر من خلال محورها الأول ، أو الثاني من الوجود العربي في افريقيا وعن مساهمات العرب الثقافية والحضارية في افريقيا ، وقد انتهت المداخلات أو اتفقت على وجود قطعة ساهمت في ابرازها الامبريالية لكن الى اي حشد استمرت العلاقات العربية الافريقية لمواجهة هذه القطيعة وكيف استفادت من مخططات الماضي لمواجهة الحاضر وتحديد المستقبل ، وهذا مظهر جليا بل حاول المحور الثالث والرابع الاجابة عنه .

فقد ركز المحور الثالث والمتمثل في " وضعية العلاقات العربية الافريقية بعد الاستقلال " ، على تدارس مجموعة من المواضيع يمكن أن نقول انها تبرز التطورات الحالية للعلاقات العربية الافريقية فبعد أن تمكنت سواء الدول العربية أو الدول الافريقية من تحقيق استقلالها طرحت امامها مجموعة من المشاكل ، كيف تحقق نمو ذاتيا خارج اطار الاستعمار الذي عايشته فترة طويلة ، كيف تطور اقتصادها وعلى اية اسر يتم ذلك ، ما هي افاقها المستقبلية وما هي نظرتها الى المشاكل التي لازالت تهدد القارة كنظام الابرطاي في جنوب افريقيا والاستيطان الصهيوني في فلسطين . وما هي بالتالي سبل التعاون وما هو الحوار الذي يوجد فيما بين العرب والافارقة لتحقيق اهدافهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؟

هناك اس ت جمع فيما بين العرب والافارقة تدفعهم الى تحقيق هذا التعاون :

- فجل الدول العربية والافريقية دول نامية بل نقول متخلفة اقتصاديا ترتبط اقتصاديا مع السوق الاجنبية وبصفة خاصة الدول المستعمرة سابقا .

- ان الزراعة تمثل عنصرا هاما من مكونات الدخل القومي في معظم الدول العربية والافريقية .

- الدول العربية والافريقية تدخل في نطاق الدول المتخلفة المستوردة للتكنولوجيا من اوربا وامريكا .

- ان الدول العربية والافريقية جميعها عضو في حركة عسدم



الانحياز اى انها جزء من دول العالم الثالث وهذا الانتماء يقرب العلاقة بين العرب وافريقيا لتنسيق الجهود والمواقف بما يخدم قضايا العرب وافريقيا سياسيا واقتصاديا .

كل هذه الاسس تدفع الى تحديد مفهوم الوحدة التى جاءت لتدافع من اجلها منظمة الوحدة الافريقية لكن هل حققت منظمة الوحدة اهدافها وهل استطاعت حل المشاكل التى واجهتها ؟ سواء ال مطروح على المنظمة الاجابة عليه . اذن يمكن ان نقول ان هناك فشل لكن الى ما يرجع ذلك ؟ لقد حاول الدكتور ابراهيم نصر الدين فى تدخله حول موضوع التعاون العربى الافريقى رؤية مستقبلية " ان يحدد اسباب فشل التعاون العربى الافريقى حيث قال : " ان اختلاف رؤية الطرفين العربى والافريقى للغرض من التعاون ، كان السبب فى تراجع التعاون العربى الافريقى فعلى حين استهدف الطرف العربى تحقيق اهداف سياسية ( عزل اسرائيل ) ، فان الطرف الافريقى استهدف تحقيق اهداف اقتصادية ( مساعدات ومعونات ) وعلى اية حال فان معظم النقد وجه الى الطرف العربى فى التعاون باعتباره قد اخل بالتزاماته المالية تجاه الدول الافريقية .

فهناك اذن بروز لمشكل موحد لكن المشكل الاساسى هو المتمثل فى السبيل الى حله فكيف عملت اذن منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية على حله وماهى الجهود المبذولة فى هذا الاطار وهل تجاوزت المشاكل التى عرضها الدكتور نصر الدين لتحقيق نشائج ايجابية يصبح من الضرورى الوصول اليها لتحقيق الحوار والتعاون الافريقى العربى وبالتالي التأكد على وحدة المسار وتجاوز السلبات التى تعرقله .

ماهى تطلعات الدول العربية والافريقية المستقبلية ؟ تلك كانت الاشكالية التى طرحها المحور الرابع والمتمثل فى الابعاد السياسية والاقتصادية للعلاقات العربية الافريقية ، رؤية مستقبلية وقد جاء هذا المحور فى اطار حلقات نقاش حاول المتحدثون خلالها طرح مجموعة من المواضيع كعمار لتحديد حاضر افريقيا ومستقبلها .

وقد كان موضوع حركة التحرير الاساسى بالنسبة لهذا المحور باعتبار حركة التحرر عملية بارزة فى افريقيا جاءت اثر تجمع ظروف

وملابسات تكتفت خلال اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وانبثقت منها تجمعات فى جل مناطق افريقيا التى دعت بوحدة مصيرها وبضرورة مواجهتها للاستعمار والامبريالية لتحقيق الاستقلال والتمتع بالحكم الذاتى ، وقد أكد ذلك السيد السفير البديوى الامين العام للجمعية الافريقية حيث قال :

" أن حركة التحرر الافريقية بدأت بفكرة الجامعة الافريقية وذلك فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وأن الفكرة جاءت من خارج افريقيا اشارها الزنوج الذين نقلوا من افريقيا الى اوربا والى امريكا والذين رأوا انه يجمعهم هدف واحد يتمثل فى مواجهة الاستعمار والعنصرية والظلم الاجتماعى الذى كان يسود المستعمرات الافريقية .. ويزيد السيد السفير قائلا :

ان الحركات الاستقلالية توجت بأنشاء منظمة الوحدة الافريقية فى سنة ١٩٦٣ وبالتالى انشأ الرؤساء الافارقة لجنة التنسيق لتحرير افريقيا وكان الهدف من هذه اللجنة هو تنسيق وتنظيم وتقديم المساعدات المختلفة لحركات التحرر الافريقية وزاد قائلا انه فى سنة ١٩٦٣ كانت هناك ١٨ حركة تمثل عشرة اقاليم افريقية ، وانه حاليا باستقلال الدول الافريقية اصبحت توجد ثلاثة حركات تحرر معترف بها من طرف منظمة الوحدة الافريقية وهى التى تناهض النظام العنصرى بجنوب افريقيا ٠٠٠" ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .

من هذا العرض التاريخى لتطور حركة التحرر يظهر لنا أن الدول الافريقية عملت فى اطار منظمات لتحقيق استقلالها ، لكن ما يظهر هو ان حركات التحرر هذه كانت تختلف من ناحية الاتجاه رغم انه كان لها هدف واحد ، وهذا قد يكون له أثر على مصير الدولة التى يرغب المواطنون فى انشائها فيما بعد فكيف واجه المواطنون هذه المسألة ؟

يقول الدكتور عبد الملك عودة : ان حركة التحرر الافريقسى لانشاء الدولة تعتبر الاصل السياسى لانها حققت اغراضها - تحقيق الاستقلال - لكن بعد هذا الاستقلال بدأت تظهر الازمة الشديدة فى بناء الدولة " ويرجع الدكتور عبد الملك ذلك الى مجموعة من الاسباب لخصها فى : " طبيعة تفكير الحركة الوطنية المتمثل فى التكبر الاساسى الذى سيطر على الحركة ، ويرى أن جل الحركات التى قامت

لتصفيه الاستعمار ولانشاء حكم وطنى قامت على اساس مفهوم فى الاصل اوربى وذلك بظهور حقيقة شبه عالمية هو ان الاستقلال لا يتم الا على اساس بناء الدولة الوطنية أو الدولة القومية أو الدولة الاممة ، ويرى كذلك ان هذه الحركات كانت من ناحية التركيب الاجتماعى تخص بالتأكيد العام لعملها ضد الاستعمار أو ضد السلطة الاجنبية وذلك لاسباب سياسية اقتصادية وثقافية خاصة بالكيان الذاتى والثقافى فى البلد لكن مجرد الاستقلال يقول الدكتور عودة يتبين أن التركيب الاجتماعى يصبح جد معقد . ص ٥٩٦ - ٥٩٨ .

وبهذا يمكن أن نلاحظ وجود قطيعة من المسار التاريخى فيما بين ما قبل الاستقلال وما بعده ، وقد حاول الدكتور طمى الشعراوى ابراز ذلك حيث يرى ان الاستعمار أوجد قطيعة فيما بين حركات التحرر التى كانت سائدة قبل الاستعمار والمتمثلة فى حركة الفلاحين وحركة الجهاد الاسلامى ، اذ يرى ان حركات التحرر الوطنى اخذت توجهات جديدة بدخول الاستعمار وهذا أثر على نماذج الدولة التى كانت سائدة سواء فى غرب افريقيا أو فى شرقها ، وبناء الدولة بذلك ، بالنسبة للدولة الافريقية ، حصلت بعد المرحلة الاستعمارية فى ظروف جديدة ، رغم أن تشكيلات الدولة لم تكن غائبة عند الروساء الافارقة ، ص ٦٠٠-٦٠٣ .

ومن هنا يمكن أن نلمس ان الاستعمار والتحولات التى حدثت فى افريقيا بسبب دخول الامبريالية والافكار الغربية كانت السبب الاساسى من جل التطورات التى عرفتها القارة الافريقية ، فالنسبة الاجتماعية والسياسة والثقافية لكل دولة من الدول الافريقية اختلفت باختلاف ظروفها التاريخية وباختلاف النخبة التى كانت تنافس من اجل الاستقلال وبالتالي اختلفت باختلاف الافكار والادبيولوجيات التى اتبعتها هذه النخبة لتحقيق مفهوم الدولة سواء القومية أو الوطنية بحيث قد لانجد مفهوما محليا نابع من داخل افريقيا فهى مجرد مفاهيم غربية تترجم الى عدد اللغات الموجودة فى افريقيا كل يستعملها حسب مفهومه الخاص . كيف اذن تتم الوحدة كيف اذن يحقق الهدف ما هو السبيل الى مواجهة ما يسمى بالاستعمار الجديد وكيف نخطط للمستقبل ؟

اسئلة مختلفة تحتاج الى جواب ، وقد حدد جانب منها باعتبار ان سبب الخلاف نابع من الارضة المشتركة التى تكونت فيها كل دولة

افريقية وتوجيهات كل منها لكن حين الحديث عن العرب وافريقيا ماذا  
يجب أن نضع امامنا ؟

نلاحظ اننا امام تشكيلتين اجتماعيتين مختلفتين التشكيلية  
العربية بمفهومها الواسع والتشكيلة الافريقية ، ونرى أن مقومات  
كل تشكيلة تختلف اختلافا جذريا عن الاخرى وهذا راجع الى طبيعة كل  
واحدة منهما هل يمكن ان نقول أن هذا من بين اسباب الفشل فى تحقيق  
الوحدة ؟ نحن هنا امام السحث عن مفهوم صعب لتكوين الوحدة العربية  
والافريقية فكيف نتجاوز جميع العراقيل لتحقيقها وما هو السبيل الى  
ذلك فقد يحدد فى الاقتصاد وقد يحدد فى التعاون فى مجالات مختلفة  
سياسة اجتماعية ثقافية لكن الى أى مدى يمكن لهذا التعاون أن يحقق  
اهدافه وماهى السبلات التي يمكن تجاوزها فى هذا الاطار .

وقد شكل الموضوع الذى تمحور حول " العرب والافارقة فئسى  
مواجهة المستقبل " مجالا لتحديد هذه النقاط بالخصوص فى المجال  
الاقتصادى بحكمة المتحكم فى جميع تطلعات المستقبل .

فماذا يحمل المستقبل على المعيد الاقتصادى بالنسبة للعرب  
والافارقة ذلك هو السوءال الذى افتتح به الدكتور جودة عبد الخالق  
حديثه عن هذا الموضوع حيث حدد المشاكل الاقتصادية التى يواجهها  
العرب والافارقة فى اربعة مجالات اساسية حاليا أو مستقبلا . ص ٦٥١-٦٥٣

ويقول ان هذه المشاكل تتمثل فى مجال الطاقة وفى مجال الغذاء  
والديون والبيئة ، فيرى انه بالنسبة للطاقة فى افريقيا فهى مشكلة  
خالية ومستقبلية أما بالنسبة للعرب فهى مشكلة مستقبلية ، أما فيما  
بخص الغذاء فيرى انه رغم الموارد الهائلة لدى كل من الطرفين  
فانهما يواجهان نفس المشاكل سواء فى الوضع الحالى أو بالنسبة  
للمستقبل ، فيما يتعلق بالديون فيرى ان العرب والافارقة يواجهون  
هذا المشكل ربما بدرجات مختلفة ومتفاوتة لكن المشكلة قائمة وأخيرا  
فيما يتعلق بالنسبة للبيئة فيقول ان كلاهما يعاني من التلوث والتصحر .

وانطلاقا من هذا يتساءل الدكتور فى ماهية التوقعات المستقبلية  
بالنسبة للطرفين ؟

يرى الدكتور جودة ان هناك عدة تطورات للمستقبل قامت بها الامم المتحدة بعضها يمتد حتى عام ٢٠٠٠ وبعضها قبل هذا التاريخ وبعضها بعده ويقول أن الاستنتاج الرئيسى الذى وصلت اليه هذه الدراسات بعد أن اعطت تطورات التطور فى مناطق العالم المختلفة هو انه لضمان التنمية فى الدول النامية ومنها الدول العربية والافريقية يلزم توافر شرطين رئيسيين : اولا حدوث تغيرات داخلية واسعة المدى فى هذه البلاد تمثل النواحي الاجتماعية والسياسية والمؤسسية والشرط الثانى حدوث تغيرات جوهرية فى النظام الاقتصادى العالمى . ويضيف قائلا ان افريقيا انتقلت خلال العشرين عاما الماضية من الاستقلال الوطنى الى المجاعة وبالتالي انتقلت من الوحدة الى التجزئة ، كما حدث ذلك فى عدة كيانات افريقية . وكذلك بالنسبة للعالم العربى الذى انتقل فى نفس الفترة من الاستقلال الى التبعية .

ويخلص الدكتور جودة فى آخر حديثه الى أن الوضع يتطلب اجراء تعديلات فى الانساق المتبعة فى كل من المنطقتين وتعديل فى العلاقات الموجودة بين الانساق الجزئية والنسق الامثل الا وهو النظام الاقتصادى العالمى .

وقد اكد ذلك الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله عند معرض حديثه عن الهجمة الامبريالية سواء فى اطارها القدم أو الحديث ، حيث قال أنها تعمل وفى اتجاهات مختلفة لتستحوذ على الاقتصاد العالمى باعتباره المحرك الاساسى لكل التغيرات التى يتعرض لها العالم حاليا . ويرى أن اضعف منطقة لمقاومة هذه الهجمة تتمثل فى الوطن العربى وفى افريقيا ، فأسيا يقول الدكتور صبرى حلت ازمتها الغذائية وكذلك امريكا الجنوبية . كالبرازيل مثلا التى حققت ميزانا تجاريا مهما .

ص ٦٧٣ - ٦٧٧ .

فالعرب والافارقة اذن جزء من هذا النظام العالمى والتى أدت الياته الى جعل هذين الشعبين يعيشان الوضعية التى تحدد لهما من طرف هذه الامبريالية العالمية .

ما السبيل اذن للخلاص ؟

يرى الدكتور صبرى أن السبيل الوحيد فى ذلك يكمن فى انه

لا يجب علينا ان ننتظر من النظام العالمى ان يقدم لنا المساعدات بل علينا أن نقوم بتنمية حقيقية وان ننظر لهذه التنمية باعتبارها معركة ضد القوى المهيمنة على هذا العالم سياسيا وعسكريا ، وانسه اذا كنا نريد أن نعنى بالحاجات الاساسية للمواطنين فيجب أن نعتد ايضا على قوانا الذاتية ، لانه اذا ماتمكنا ان نحول كل مواطن الى أن يعمل عملا منتجا فانه سينتج اكثر مما يستهلك ، ويرى أن فى هذا تحدى للنظام المسطر منذ عشرين سنة وهذا لايمكن أن يتحقق يقسول الدكتور صبرى الا بالاعتماد على النفس على مستوى القرية والاقليم وعلى مستوى الدولة ليكتمل فيما بعد فى اشكال مختلفة من التعاون بين دول متجاورة أو تربطها مصالح مشتركة .

وبهذا يمكن القول أن الصورة اكتملت من خلال هذه الندوة بالنسبة للعلاقات العربية الافريقية ، والتي لاحظنا من خلال جميع التداخلات ان هناك مواقف مشتركة بالنسبة للعرب والافارقة وفسى مجالات مختلفة ، سواء فى تلك التى اكدها التاريخ من خلال الصلات التى وجدت فيما بين الشعبين ، أو فى اطار وحدة المصير لمواجهة الاستعمار سواء قديمه أو حديثه ، مما أدى فى الاخير الى بروز مشاكل متشابهة تقتضى تحديدا موحدا لمواجهة المستقبل .

وقد خلى المشرف على هذا الكتاب الى مجموعة من التوصيات مثلها فيما يلى :

- دعوة الجهات والمؤسسات المعنية بالتعاون العربى الافريقى والعلاقات العربية الافريقية الى تيسير سبل نشر الوثائق والبيانات والوصول اليها حتى تتاح للباحثين على مختلف اجيالهم .

- الدعوة الى اعادة دراسة وتقييم الاسس والجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية وصولا الى ارساء العلاقات الراهنة على اسس متينة من الفهم المتبادل مع توضيح ابعاد القضايا المثارة على الساحتين العربية والافريقية .

- دعم الدراسات الاكاديمية الافريقية العربية من خلال عرض وتحليل وجهات النظر الافريقية فى التحديات والمشكلات التى تواجهه البلاد الافريقية والعربية فى واقعها المعاصر مع العمل على ادراج

ونشر وجهات النظر العربية للرأى العام الافريقى بهدف الوصول الى  
ارضية مشتركة للفهم المتبادل .

- الدعوة لارساء الخطوات القادمة من سيل ومستويات التعاون  
العربى الافريقى على اساس المصالح المشتركة وارتباط الامن العربى  
بالامن الافريقى .

- دعوة المنظمات القومية والاقليمية فى الوطن العربى والقارة  
الافريقية الى تبنى ميثاق عربى افريقى يهدف الى وقف الصراعات  
الاقليمية فى القارة وتحديد استراتيجية مشتركة لتحرير الوطنى  
والتنمية .

ويعتبر بذلك هذا الكتاب جمعا لافكار وأديولوجيات مختلفة  
حاولت كل منها دراسة هذا الموضوع من وجهة نظرها الخاصة .

لكن ورغم هذا الاختلاف ورغم هذه الخصوصيات تبقى النتيجة  
واحدة والمتمثلة فى التحديد المفاهيمى وبالتالي طرق تحديد  
الوحدة الافروعربية ، هذا الاتجاه الذى برز من خلال البحوث وكذا  
من خلال التوصيات التى خرجت بها الندوة .





## دليل الرسائل الجامعية



## اولا : رسائل الآثار الاسلامية

اعداد : محمد حمزة اسماعيل

١ - قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك

رسالة ماجستير للباحث : محمد حمزة اسماعيل

اهتمت الابحاث الاشارية بدراسة المنشآت المعمارية الباقية بالقرافة دراسة اشارية معمارية وفنية ، ولم يتعرض اى من هذه الابحاث لدراسة نشأة القرافة والعوامل المختلفة التى كانت وراء اختيار سفح جبل المقطم قرافة للمسلمين فى مصر منذ الفتح العربى الاسلامى لها وحتى نهاية العصر المملوكى ، بل وحتى يومنا هذا ، ولم تتعرض هذه الابحاث ايضا لدراسة التطور العمرانى للقرافة ومسدى ارتباطه باتساع وامتداد عواصم مصر الاسلامية ( الفسطاط ، العسكر ، القطائع ، القاهرة ) وما صاحب ذلك من نشاط انسانى فى مختلف المجالات الدينية والاجتماعية وبعض الجوانب المرتبطة بالاحداث السياسية وغيرها .

وتقع الرسالة فى مجلدين : الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية فى حين يضم المجلد الثانى الخرائط والاشكال واللوحات .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقد تناول الباحث فى المقدمة اهمية دراسة الموضوع وأنساب اختياره واهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها ،بالاضافة الى المنهج المتبع فى الدراسة .

وفى الفصل الاول تناول الباحث نشأة القرافة والمسميات المختلفة التى اطلقت على اماكن دفن الموتى ، وتفسير مدلول لفظ القرافة الذى اصبح علما على تلك الاماكن فى مصر دون غيرها من البلاد الاسلامية ، كما تناول الباحث فى هذا الفصل ايضا موقع القرافة الذى ارتبط بسفح جبل المقطم منذ الفتح العربى الاسلامى لمصر حتى نهاية العصر المملوكى ، وتناول هذا الفصل ايضا القرافة الكبرى وازدهار العمران بها حتى نهاية العصر الفاطمى ، كما تناول القرافة المعرى فى العصر الايوبي .

وقام الباحث فى الفصل الثانى بدراسة التطور العمرانى للقرافة فى العصر المملوكى ، سواء القرافة الواقعة جنوب القلعة أو الواقعة شمال القلعة ، وتناول هذا الفصل ايضا المسميات المختلفة التى اطلقت على القرافة بالإضافة الى تفسير مدلول لفظ التربة فى العصر المملوكى الذى لم يعد يقصد به المقبرة أو المدفن ذى القبة فقط ، وانما تطور مدلوله واتسع معناه فصار يقصد به المنشأة الدينية بصفة عامة والخانقاه بصفة خاصة التى تحتوى فيما تحتوى من مكونات معمارية على المقبرة أو المدفن ذى القبة .

وفى الفصل الثالث تناول الباحث مظاهر النشاط الانسانى فى القرافة سواء أكان نشاطا دينيا أم اجتماعيا ، وقام الباحث ايضا فى هذا الفصل بمناقشة ظاهرة سكنى القرافة وهل هى ظاهرة قديمة أم حديثة ؟ كما تناول هذا الفصل ايضا الامن فى القرافة والدور الذى لعبته القرافة فى الاحداث المرتبطة بالجوانب السياسية .

وقد خصص الباحث الفصل الرابع لدراسة المدفن ذى القبة فى القرافة ومقارنته بمثيله فى المدينة نفسها ، ولقد اشتمل هذا الفصل على دراسة المسميات المختلفة للمدافن أو القبور الاسلامية وآراء الفقهاء فيما يخص البناء فوقها ، هذا بالإضافة الى الدراسات الآشورية المعمارية لمكونات المدفن ذى القبة وتطورها والتأثيرات المختلفة التى طرأت عليها سواء اكان هذا المدفن مستقلا بذاته أم كان ملحقا بأحد المنشآت الدينية .

وأفرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة .

أما المجلد الثانى فهو يشمل كما سبق القول الخرائط والاشكال واللوحات الخاصة بموضوع الدراسة .

هذا وتقوم مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة بنشر وطبع هذه الرسالة فى كتابين يحمل الاول منها اسم " قرافة القاهرة " "من الفتح العربى حتى نهاية العصر المملوكى " والثانى دراسات فى العمارة الاسلامية بمدينة القاهرة " المدفن ذى القبة حتى نهاية العصر المملوكى " .

وسوف يصدر الكتابان قريبا بمشيئة الله تعالى .

## ٢ - صور مخطوطات الشاهنامه المحفوظة بدار الكتب المصرية دراسة آثارية فنيــــــــــــــــة رسالة دكتوراه للباحث / أبو الحمد محمود فرغلي

كان لكتاب الشاهنامه للشاعر الايراني الكبير الفردوسي تأثيرا قويا على الايرانيين أنفسهم بمختلف طبقاتهم من حكام ومحكومين ، فبالإضافة الى انهم تغنوا باشعارها في المناسبات المختلفة ، قام الفنانون من خطاطين ومذهبيين ومصورين بنسخ مخطوطات عديدة من هذا الكتاب مصورة بالالوان التي تشرح موضوعاتها وقصصها ، كذلك اهتم الخزافون بنقل بعض قصص الشاهنامه على منتجاتهم الخزفية التي انتجوها منذ ق ٦ هـ / ١٢ م ، وزينت ايضا المنسوجات الصوفية بالعديد من رسوم قصص الشاهنامه .

هذا وتحفظ دار الكتب المصرية بست مخطوطات فارسية نسخت من كتاب الشاهنامه وجميعها مزوقة بالصور الملونة ومنها خمسة مخطوطات تكون مجموعة متكاملة ، حيث انها تنتمي بحسب اساليبها الفنية الى المدارس التصويرية التي ازدهرت في ايران خلال العصور الاسلامية .

وتشتمل هذه المخطوطات الخمس على مايقرب من (٣٧٨) صورة تحكى ماورد بالمتن من قصص وحكايات وحوادث تاريخية مختلفة .  
وقد وقع اختيار الباحث على دراسة صور هذه المخطوطات الفارسية الخمس من الشاهنامه لانها في جملتها توضح مدى ماوصل اليه التصوير في ايران من تطور وازدهار خلال العصور الاسلامية التي تنتمي اليهما هذه المخطوطات .

وتقع الرسالة في مجلدين : الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية في حين يضم الثانى اللوحات والاشكال الخاصة بموضوع الدراسة .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على تمهيد ومقدمة وثلاثــــــــــــــــة ابواب وخاتمة .

وقد تناول الباحث في التمهيد اهمية دراسة الموضوع وأسباب اختياره وأهم الدراسات العربية والاجنبية التي اعتمد عليها

بالإضافة الى المنهج المتبع فى الدراسة .

وقام الباحث فى المقدمة بالتعريف بالفردوسى وكتابة الشاهنامه ومدى اهمية هذا الكتاب من الناحية التاريخية والادبية ، كما قام بالقاء الضوء على مدى اهتمام الايرانيين بنسخ هذا الكتاب وتزيينه بالتصاوير التى تشرح وتوضح موضوعاته وقصصه .

وفى الباب الاول عالج الباحث الحالة التاريخية للعصر الاسلامى فى ايران والتى تنتمى اليها المخطوطات موضوع الدراسة ، وبذلك استطاع ان يلقى الضوء على الاحوال السياسية والتاريخية التى مرت بها كل مخطوطة وقت نسخها ، والظروف التى احاطت بانجازها .

وينقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول : الاول عن نهاية المظفرين والصراع على السيادة ابان العصر التيمورى ، والثانى عن عصر الصفويين ، والثالث عن عصر القاجاريين .

اما الباب الثانى فهو يشتمل على الدراسة الوصفية للمخطوطات الخمس - موضوع الدراسة - وينقسم هذا الباب الى خمسة فصول يختص كل فصل منها بوصف شامل لمخطوطة من المخطوطات الخمس ، وقد راعى الباحث فى ذلك الترتيب التاريخى لهذه المخطوطات ، وذلك على النحو التالى الشاهنامه رقم ٧٣ تاريخ فارسى مؤرخه ٧٩٦ هـ / ١٢٩٣ م ، الشاهنامه رقم ٥٩ تاريخ فارسى ، مؤرخه ٨٤٤ هـ / ١٤٤١ م ، الشاهنامه رقم ٦٠ تاريخ فارسى مؤرخه ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م ، الشاهنامه رقم ٥٣ فارسى مؤرخه ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٦ م ، الشاهنامه رقم ٧١ تاريخ فارسى طلعت مؤرخه ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م .

وفى الباب الثالث والاخير قام الباحث بدراسة تحليلية للعناصر الزخرفية ، وينقسم هذا الباب الى خمسة فصول : تناول فى الفصل الاول الاسلوب الفنى والخطط اللونية ، وفى الفصل الثانى رسوم الكائنات الحية ، وفى الفصل الثالث الزخارف النباتية والهندسية والكتابية ، وفى الفصل الرابع اشكال الازياء والاطلحة والآلات الموسيقية وفى الفصل الخامس رسوم الخلفيات المعمارية والاشات .

وافرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة . اما المجلد الثانى فهو يشتمل كما سبق القول اللوحات والاشكال ويبلغ عدد اللوحات نحو (١٢٦) صورة من مخطوطات الشاهنامه موضوع البحث ، اما الاشكال الخاصة بالرسوم والعناصر الزخرفية فتبلغ نحو (٢٠)

### ٣ - مساجد الامراء في عصر السلطان جقمق رسالة دكتوراه للباحث : حسن سيد جودة القصاص

ولى جقمق عرش السلطنة المملوكية فيما بين عامى ٨٤٢ - ٨٥٧هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٤م وقد اتم مهده بالهدوء النسبى فلم نسمع الا عن ثورتين نجح في القضاء عليها ، وفي مجال التشييد والبناء عنى السلطان جقمق عناية خاصة باصلاح وتجديد العماثر المختلفة سواء في مصر أو في غيرها من الممالك الاسلامية ، وكان السلطان جقمق يرى ان اصلاح مايشرف على الهدم اولى من الابتكار ولذلك لم يبتكر مدرسة ولا تربة على حد قول السخاوى في الضوء اللامع .

وقد اقبل الامراء على تشييد العماثر المختلفة ومنهم الامير قراقبا الحسنى والامير زين الدين يحيى ، والجمالى يوسف ، ولاجين السيفى ، وتغرى بردى وجوهر القنقبائى وغيرهم .

هذا وقد وقع اختيار الباحث على موضوع " مساجد الامراء فى عصر السلطان جقمق ، ولاسيما كل من الامير قراقبا الحسنى ، الجمالى يوسف ، لاجين السيفى ، والواقع ان منشآت هؤلاء الامراء الثلاثة تمثل نماذج مختلفة للتخطيط المعمارى رغم انها بنيت فى فترة حكم سلطان واحد .

وتقع الرسالة فى مجلدين الاول يحوى الدراسة والمادة العلمية فى حين يضم المجلد الثانى اللوحات الخاصة بموضوع الدراسة .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على مقدمة وقسمين - يحوى كل قسم منها ثلاثة ابواب - وخاتمة .

وقد تناول الباحث فى المقدمة التعريف بالسلطان جقمق وملامح عصره وازدهار العمارة خلال هذا العصر .

والقسم الاول خصه الباحث للدراسة التاريخية والوصفية ويشتمل هذا القسم على ثلاثة ابواب يتناول كل باب منها مسجد امير من الامراء الثلاثة موضوع الدراسة ، فالباب الاول عن مسجد الامير قراقبا الحسنى ٨٤٥هـ / ١٤٤١م والثانى عن مدرسة الامير الجمالى يوسف حوالى ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م والثالث عن مسجد الامير لاجين السيفى ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م ، وكل

بأب من هذه الابواب الثلاثة ينقسم الى اربعة فصول يتناول الفصل الاول منها حياة المنشئ<sup>١</sup> واهتماماته الفنية ، والفصل الثانى موقع وتاريخ المنشأة ، والثالث : الوصف التفصيلى للعناصر المعمارية والرابع الكتابات الاثرية ، اما القسم الثانى فقد خصه الباحث للدراسة التحليلية ويشتمل هذا القسم ايضا على ثلاثة ابواب ، الباب الاول عن التخطيط وينقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول ، الاول عن تخطيط مسجد قراقجا الحسى ، والثانى عن تخطيط مدرسة الجمالسى يوسف والثالث عن تخطيط مسجد لاجين السيفى .

ويتناول الباب الثانى الوحدات والعناصر المعمارية وينقسم هذا الباب الى فصلين الاول عن الوحدات المعمارية والثانى عن العناصر المعمارية ويتناول الباب الثالث العناصر الزخرفية وينقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول الاول عن الزخارف النباتية والثانى عن الزخارف الهندسية والثالث عن الزخارف الكتابية .

وأفرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها الدراسة وبالإضافة الى ماسبق يشتمل هذا المجلد على ثلاثة ملاحق يتضمن الملحق الاول نشر وثيقة قراقجا الحسى والثانى وثيقة الجمالى يوسف ، أما الثالث فيحتوى على شرح لاهم المصطلحات التى وردت فى شياى الوثيقتين ويحتوى هذا المجلد ايضا على الاشكال والتعريفات الخاصة بموضوع الدراسة ويبلغ عددها ( ٦٨ شكل ) .

اما المجلد الثانى فحتوى على اللوحات الخاصة بموضوع الدراسة ويبلغ عددها ( ١٢٤ لوحة ) وتتضمن هذه اللوحات الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية والكتابية بالإضافة الى نشر مقتطفات من وثيقتى قراقجا الحسى والجمالى يوسف .



#### ٤ - العمارة الاسلامية فى الغرب الاسلامى " معاصر الموحدين الدينية فى المغرب " دراسة اثارية معمارية

رسالة دكتوراه للباحث /  
محمد محمد الكلاوى

شغل خلفاء العصر الموحدى وبخاصة الخلفاء الاربعة العظام  
عبد المؤمن بن على وأبو يعقوب يوسف ويعقوب المنصور وابنه الناصر  
-البناء ولوعوا بالتعمير فقد ازدانت بلاد المغرب والاندلس على  
عهدهم بعمائر شامخة متنوعة الطراز مابين عمائر دينية ومدنية  
وحرية ، وقد اشاد المؤرخون بعظمة تلك العمائر وروعتها ، من  
ذلك ماذكره المقرئ من ان مسجد مراكش الذى بناه الخليفة المنصور  
ليس بعد جامع قرطبة مثله ، كما ذكر ان صوامع مساجدهم ليس فى بلاد  
الاسلام اعظم منها ، وذكر صاحب الاستيعار أن القيسارية التى بناها  
يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام اعظم منها .

ونظرا لتنوع عمائر الموحدين وقع اختيار الباحث على العمار  
الدينية منها لدراستها سواء اكانت مندرجة أم لاتزال باقية حتى  
الآن .

وتقع الرسالة فى ثلاثة مجلدات ، الاول يحوى الدراسة والمادة  
العلمية ، فى حين يضم المجلد الثانى اللوحات المصورة ، أما المجلد  
الثالث فيشتمل على الرسوم والاشكال الهندسية والتفريغات الفنية .

اما عن المجلد الاول فهو يشتمل على مقدمة وتمهيد وستة ابواب  
وخاتمة .

وتناول الباحث فى المقدمة التعريف بموضوع الدراسة واهميته  
واسباب اختياره وأهم الصعوبات التى واجهته .

وفى التمهيد قام الباحث بدراسة اهم مصادر البحث العربية  
والاجنبية ، بالإضافة الى نبذة تاريخية عن نشأة الدولة الموحدة  
واهم مظاهرها الحضارية .

وقد خصص الباحث الباب الاول لدراسة عمائر الموحدين الدينية  
التي اندثرت وأصبحت اثرا بعد عين ، وينقسم هذا الباب الى ثلاثة

فصول ، تناول الفصل الاول منها المساجد التي انشاها مؤسس الدولة محمد بن تومرت ، وكذلك بعض المساجد التي انشاها خلفاؤه ، وتناول الفصل الثاني المدارس والمكاتب ، وتناول الفصل الثالث العمارة الجنائزية وبخاصة القباب التي اقيمت على قبور الموحدين وقد اعتمد الباحث في دراسة هذا الباب على المصادر والمخطوطات التي كانت محبسة على تلك العماثر .

أما الابواب من الثاني الى الرابع فقد خصصها الباحث لدراسة المساجد الموحدية الباقية في المدن المختلفة ومنها مدينتي تازي وتنمل في الباب الثاني ، مدينة مراکش في الباب الثالث ، مدينتي الرباط وفاس في الباب الرابع ، وقد تناول الباحث في فصول هذه الابواب الثلاثة تاريخ كل مدينة من هذه المدن ، بالاضافة الى تاريخ مسجدها والوصف المعماري والملاحق والزيادات التي اضيفت على هذا المسجد في العصر المريني ، ومن المساجد التي درسها في هذه الفصول مسجد تازي ، مسجد تنمل ، مسجد الكتبية الثاني ، مسجد القصبة ، مسجد حسان ، مسجد قصبة الوادية ، مسجد الاندلس .

وقام الباحث في الباب الخامس بدراسة تحليلية لعمارة المسجد في العصر الموحدي وينقسم هذا الباب الى اربعة فصول تناول الفصل الاول تطور عمارة المسجد ، والفصل الثاني طراز عمارة المسجد في العصر الموحدي ، والفصل الثالث ملاحق المسجد في العصر الموحدي ، والفصل الرابع أاثاث المسجد في العصر الموحدي .

وقام الباحث في الباب السادس والاخير بدراسة تحليلية فنية للعناصر المعمارية والزخرفية في المساجد الموحدية ، وينقسم هذا الباب الى اربعة فصول : تناول الفصل الاول العناصر المعمارية ، والثاني العناصر الزخرفية النباتية ، والثالث العناصر الزخرفية الهندسية ، والرابع العناصر الزخرفية الكتابية .

وافرد الباحث الخاتمة لعرض أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

وبالاضافة الى ماسبق يشتمل هذا المجلد على ملحق واحد أورد فيه الباحث ثبت بأهم المصطلحات الفنية الاشارية بالغرب الاسلامي

والتي ورد معظمها في ثنايا الدراسة .

اما المجلدان الآخران للرسالة وهما الثاني والثالث ، ويشتمل المجلد الثاني على اللوحات المصورة ويبلغ عددها (٤٠٤) لوحة عن المساجد الموحدية وعناصرها وملاحقها .

اما المجلد الثالث فيشتمل على الرسوم والاشكال الهندسية والتفريغات الفنية ويبلغ عددها (١١٣) شكل .

- - -

## ٥ - تطور اساليب التكوين في الزخارف الجدارية بمساجد القاهرة في عصر المماليك البحرية رسالة دكتوراه للباحث / عصام عرفه محمود

ازدانت مدينة القاهرة خلال عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ /  
١٢٥٠ - ١٥١٧م) بأجمل واروع المنشآت المعمارية التي تنوعت طرزها  
وتباينت وظائفها .

هذا وقد التزم تكوين وتصميم العناصر الزخرفية الاسلامية -  
خاصة الجدارية منها - على العماثر المختلفة ببعض القيم والاسس  
الهندسية ، وبالابداع والتجديد كما التزم بأساليب متنوعة انطلقت  
بالتكوين والتصميم الزخرفى الى مستويات ابداعيه لم تصل اليها  
فنون بعض الحضارات الاخرى . ويمكن القول بأن التكوينات والتصميمات  
الزخرفية الاسلامية لها طابعها الخاص الذى انفردت به كما ان لها  
اسسها وقواعدها التشكيلية التى كانت قائمة على التطوير والتنويع  
المستمرين .

وقد استطاع الفنان المسلم ان يبدع فى عمل هذه التكوينات  
ذات السمات المتميزة التى تعكس سمو الفكر الفنى لهذا الفنان، هذا  
الفكر الذى ترجمه الى قيم تشكيلية ضمتها تكوينات وتصميمات ووحدات  
هذه الفنون الزخرفية الجدارية .

وتقع الرسالة فى مجلد واحد يشتمل على تمهيد ومقدمة وأربعة  
ابواب وخاتمة بالاضافة الى الاشكال واللوحات الخاصة بموضوع الدراسة .  
وقد تناول الباحث فى التمهيد اسباب اختيار هذا الموضوع  
وأهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها بالاضافة الى المنهج المتبع  
فى الدراسة وخصى الباحث المقدمة للحديث عن النهضة الفنية التى  
شهدها عصر المماليك البحرية والعوامل المختلفة التى اشرت فى فكر  
ووجدان الفنان ومن ثم انعاش ونمو الحياة الفنية خلال هذا العصر  
وتشخيص هذه العوامل فى البيئة ورعاية الحكام والقيم الدينية  
والفنون والعلوم السابقة .

وتناول الباحث فى الباب الاول العوامل الهندسية والفنية التى  
اشرت فى تشكيل التكوينات الزخرفية الاسلامية ، وينقسم هذا الباب الى

فصلين الاول منهما عن العوامل الهندسية والثانى عن العوامل الفنية .  
وتعرض الباحث فى الباب الثانى بالدراسة والتحليل لاساليب  
البناء التشكيلى فى التكوين الزخرفى الهندسى وينقسم هذا الباب الى  
ستة فصول اختص الفصل الاول منها بالتكوين الزخرفى والهندسى على  
الحجر واختص الفصل الثانى بالتكوين الزخرفى الهندسى على الرخام  
والفصل الثالث بالتكوين الزخرفى الهندسى على الجص والفصل الرابع  
فقد تناول فيه تطور اساليب التكوين فى التكوينات الزخرفية الهندسية  
وفى الفصل الخامس تناول اللون فى التكوينات الزخرفية الهندسية  
واختص الفصل السادس بشكل التكوين الزخرفى الهندسى واساليب تكوينه .

وفى الباب الثالث تناول الباحث اساليب البناء التشكيلى فى  
التكوين الزخرفى البنائى وينقسم هذا الباب الى ستة فصول تعرض  
الباحث بالدراسة والتحليل فى الفصل الاول منها لمقومات التكوين  
الزخرفى البنائى وفى الفصل الثانى للتكوين الزخرفى البنائى على  
الحجر وفى الفصل الثالث للتكوين على الرخام وفى الفصل الرابع  
للتكوين البنائى على الجص وفى الفصل الخامس لتطور اساليب التكوين  
فى التكوينات الزخرفية البنائية .

وفى الفصل السادس لشكل التكوين الزخرفى البنائى واساليب  
تشكيله .

وتناول الباحث فى الباب الرابع اساليب البناء التشكيلى فى  
التكوين الزخرفى الكتابى وينقسم الى اربعة فصول تعرض الباحث  
بالدراسة والتحليل فى الفصل الاول منها لمراحل تكوين الزخارف  
الكتابية فيما قبل ( عصر المماليك البحرية ) وفى الفصل الثانى  
( للتكوين الزخرفى الكتابى النسخى ) وفى الفصل الثالث للتكوين  
الزخرفى الكتابى الكوفى وفى الفصل الرابع لشكل التكوين الزخرفى  
الكتابى واساليب تكوينه .

وأفرد الباحث الخاتمة لعرض النتائج التى توصلت اليها  
الدراسة وقد ضمن الباحث الرسالة بعدد كبير من اللوحات والاشكال  
يبلغ حوالى ( ٥٢٢ لوحة ) و ( ٢١٢ شكل ) .

## منطقة الدرب الاحمر - دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى - دراسة اثرية تسجيلية

٦- رسالة ماجستير للباحث / محمد حسام الدين اسماعيل عبد الفتاح

تنقسم الرسالة الى مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة .

استعرض الباحث فى المقدمة نشأة مدينة القاهرة الفاطمية وبنائها على يد القائد جوهر الصقلى سنة ٩٣٥هـ/٩٦٩م وكيف امتدت بعد ذلك شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وركز على الظاهر الجنوبى الذى كان يربط القاهرة الفاطمية بالعواصم الاسلامية السابقة - الفسطاط والعسكر والقطائع وابرز القسم الثالث منه - موضوع البحث - وعرض كيف بدأ العمران به على يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨هـ/٦٧٦ - ١٢٦٠/١٢٧٧م . حيث بنى بيوتا لامرأته بجوار قلعة الجبل خشية احتكاكهم بطبقات الشعب المختلفة .

وتناول الباحث فى الباب الاول المسح لاهذه المنطقة حيث عرض لتسعة وسبعين خطا وحارة ودرب وعطفة وزقاق وسويقة فبدأ بما ذكره المقرئى فى خطه ، ثم ماجاء بغيره من المصادر التاريخية ، التى ترجع الى العصر المملوكى بالوثائق المملوكية ، ثم ماجاء بالوثائق التى ترجع الى العصر العثمانى ، حيث حدد بداية ونهاية كل خط وتطوره حتى القرن ١٩م مستعينا بخريطة الحملة الفرنسية لمدينة القاهرة والخرائط الحديثة ، حتى وصلت اليها شوارع هذه المنطقة فى الوقت الحاضر - شارع الدرب الاحمر ، شارع التبانة ، منطقة السيدة فاطمة النبوية ( حارة بئر المش ، حارة سعد الله ، حارة النبوية ، درب شغلان ، والتى كانت تعرف بسوق الغنم ، وشوارع باب الوزير وسكة المحجر ، وشارع سوق السلاح يدابة من ميدان قلعة صلاح الدين عند مدرسة السلطان حسن وحتى التقائه بشارع التبانة .

وخصص الباحث الباب الثانى للحياة السياسية والاجتماعية فى منطقة الدراسة ، فحدد مسار مواكب السلاطين فى العصرين الايوبيين والمملوكى وحتى نهاية القرن ١٩م حيث انتقل مقر الحكم من قلعة الجبل الى قصر عابدين ، فأثبت كيف كان مسار الموكب بداية من باب

النصر حتى القلعة - المسار الرئيسي - كما حدد خطوط السير الجانبية الاخرى داخل مدينة القاهرة ، واثبت ذلك على خريطة الحملة الفرنسية لمدينة القاهرة . وحدد الباحث مسار موكب المحمل بمنطقة الدراسة في العصر العثماني ، وموكب الجنائز خلال العصرين المملوكي والعثماني وكيف كان يتفادى باب زويلة من مرور الجنائز من خلاله ، واعتمد في ذلك على المصادر التاريخية ووثائق العصرين المملوكي والعثماني . وخص القسم الثاني من هذا الباب للحياة السياسية في منطقة الدراسة والتي اثرت على العمران بهذه المنطقة ، حيث كان بهذه المنطقة بيوت الامراء اصحاب النفوذ بالدولة وكيف نشبت المعارك العسكرية بهذه المنطقة للاستيلاء على الحكم أو للنزاع بين الامراء بعضهم مع بعض خلال العصرين المملوكي والعثماني . وكيف اشر ذلك على ترك سكن هذه المنطقة من جانب اصحاب النفوذ وتهدم مباني كثيرة أو اجزاء منها كمدرسة السلطان حسن التي تعرضت للتخريب اكثر من مرة وغيرها .

وتعريف الباحث في الباب الثالث للعناصر بمنطقة الدرب الاحمر الدارس منها والقائم حيث تعرف لدراسة العماثر على مختلف انماطها الدينية والمدنية والحربية وعماثر الخدمة الاجتماعية وتضمنت دراسة العماثر الدارة :

- ١ - ٥٨ مبنى ديني مابين مسجد ومدرسة وزاوية ورباط ومطبخ وضريح .
- ٢ - ٢٢٥ مبنى مدني مابين منزل وربيع وقيسارية ووكالة ومنشأة صناعية ( فرن - طاحون - جبابة - مدق .... الخ ) .
- ٣ - ١٧ مبنى من مباني الرعاية الاجتماعية مابين حمام وسبيل وكتاب وحرف لسقى الدواب .

#### المباني القائمة :

- ١ - ١٠ مساجد جامعة - ١٢ مدرسة وخانقاه - ٥٦ زاوية ورباط وضريح .
- ٢ - ١٨ مبنى مدني مابين بيت وربيع وفرن وقاعة لصناعة الحصر .
- ٣ - دراسة احوار القاهرة وابوابها والخوخ التي فتحت في هذه الاسوار مع تحديد موقع خوخة الارلى لاول مرة والتي كانت تصل بين حارة الباطلية داخل القاهرة الفاطمية وسوق

الفنم ظاهر القاهرة .

٤ - ١٨ مبنى من مباني الرعاية الاجتماعية من مارستانان -  
المويدة - حمام وسيل وكتاب وحوض لسقى الدواب .

وقد اعتمد الباحث في دراسة هذه المباني على المصادر التاريخية والوثائق التي ترجع الى العصرين المملوكي والعثماني وحتى نهايته القرن ١٩م ، حيث اثبتت هذه الدراسة التاريخ الاصلى لعدد من المباني المسجل منها ضمن الاثار وغير المسجل ، كما ساعدت على تصحيح بعض تواريخ هذه المباني كقبة ابراهيم خليفة جنديان - اثر رقم ٥٨٦ - وغيره ، وتتبع الباحث الاوقاف المختلفة للمبنى الواحد لتأصيل الاضافات والتجديدات التي حدثت عليه عبر العصور ، كما عثر الباحث على وثيقة مؤرخة بسنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م ووثيقة اخرى مؤرخة بسنة ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م لبنت منجك السلحدار - الذي يرجع الى القرن ٨هـ / ١٤م كما قام الباحث بنشر ١١٥ وثيقة من ارشيف وزارة الاوقاف ، ودار الوثائق القومية والشهر العقاري يخص هذه المنطقة .

وعرض الباحث في الخاتمة تقييما شاملا لاثر هذه المنطقة الممتدة من باب زويلة وحتى قلعة الجبل ( شارع الدرب الاحمر ، شارع التبانة ، منطقة سوق الفنم ، شارع باب الوزير ، سكة المحجر ، شارع سوق السلاح ) في الحياة السياسية والاجتماعية لقاهرة العصور الوسطى والحديثة ، وكيف كانت جزءا متكاملا من المدينة الاصلية حيث احتوت المنطقة على كل نوعيات مباني الخدمات والرعاية الاجتماعية التي تحتاج اليها أى مدينة كاملة ، وكان لها طابعها الخاص في الحياة السياسية .



## ثانيا : رسائل التاريخ

اعداد : محمد نجيب الوسيمى

١ - علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أسيرة

كومنين ( ١٠٨١ - ١١٨٥ م )

رسالة ماجستير للباحث /محمد نجيب الوسيمى

تحتوى الرسالة على تمهيد ، ومقدمة عن اهم مصادر البحث ،  
واربعة فصول وخاتمة ، فضلا عن عدد من الملاحق والخرائط وقائمة  
بالمصادر والمراجع .

تناول الفصل الاول موضوع موقف الدولة البيزنطية من التوغل  
السلجوقى فى آسيا الصغرى فيما بين سنتى ١٠٧١ - ١٠٨٠م ، فعرض  
ارهاصات التوغل السلجوقى فى آسيا الصغرى على حساب الدولة البيزنطية  
والنتائج المترتبة على معركة منازكرد سنة ١٠٧١هـ/١٠٧١م بالنسبة  
للجانبيين البيزنطى والسلجوقى .

وتعرض الفصل لدراسة موضوع انغماس سلاجقة الروم فى احسوال  
بيزنطة الداخلية بعد هزيمة البيزنطيين فى معركة منازكرد ، واختتم  
الفصل بتحليل موقف الدولة البيزنطية من قيام سلطنة سلاجقة الروم  
فى آسيا الصغرى فى الربع الاخير من القرن الحادى عشر الميلادى، مع  
الكشف عن طبيعة العلاقات البيزنطية - السلجوقية خلال تلك الفترة من  
الزمن .

وتناول الفصل الثانى بالدراسة موضوع سياسية كل من الكيوس  
الاول كومنين وحنا الثانى كومنين تجاه سلطنة سلاجقة الروم فى الفترة  
الواقعة بين سنتى ١٠٨١ - ١١٤٣م - والقى البحث الكثير من الضوء على  
الاتفاق الذى تم سنة ١٠٨١م بين السلاجقة والبيزنطيين ومدى استفادة  
الامبراطور الكيوس كومنين من السلاجقة فى صد خطر النورمان فى  
الفترة ما بين ١٠٨١ - ١٠٨٥م ، وفى سنة ١١٠٧م . وناقش الفصل بعد  
ذلك أثر قيام الحملة الصليبية الاولى على العلاقات بين سلاجقة الروم  
والبيزنطيين ، وعلاقة الامبراطور الكيوس كومنين بكل من السلطان  
ملكشاه بن قلق ارسلان وأخوه مسعود . ويبحث الفصل الثانى ايضا موضوع  
العلاقات البيزنطية - السلجوقية فى عهد الامبراطور حنا الثانى

كومنين فيما بين عامي ١١١٨ و ١١٤٣ م" وركز بصفة خاصة على موقف سيزنطة من التركمان الرحل في غربي آسيا الصغرى ، ودور هذه العلاقات في اشارة الفتن والانقسامات الداخلية في الاسرة الحاكمة السلجوقية من ابناء السلطان قلق أرسلان .

ودرس الفصل الثالث علاقة البيزنطيين سلاجقة قونية ١١٤٣-١١٨٥م وألقى هذا الفصل بعض الضوء على حملة الامبراطور مانويل كومنين على قونية سنة ١١٤٦م والنتائج المترتبة عليها . وكذلك تحالف سلاجقة الروم مع البيزنطيين ضد كل من الصليبيين والارمن ، مع بيان دوافعه والآثار الناجمة عنه . ومن الموضوعات الهامة التي عالجه الفصل الثالث أيضا ، ريادة السلطان قلق أرسلان الثاني لمدينة القسطنطينية سنة ١١٦١-١١٦٢م ، مع الكشف عن دوافعها وماتمخضت عنه من نتائج . واحتوى هذا الفصل كذلك على دراسة تحليلية عن معركة ميريوكيفالون التي جرت بين سلاجقة الروم والبيزنطيين سنة ١١٧٢هـ/١١٧٦م ونتائجها باعتبارها من المعارك الحاسمة في تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة وتاريخ السلاجقة بصفة خاصة . وقد تم التركيز بصفة خاصة على أهم نتائجها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أما الفصل الرابع والآخر فقد تناول بالبحث موضوع تأثير العلاقات البيزنطية - السلجوقية على انتشار الاسلام والحضارة الاسلامية في آسيا الصغرى ، فتحدث الباحث عن جهود السلاطين في هذا الشأن عن طريق تشييد المساجد والزوايا والمدارس في المدن، وبالإضافة إلى تعيين القضاة ، والمعلمين ، والأئمة ، والكشاة ، والمؤذنين في هذه المدن . كما تحدث عن دور التركمان الرحل في بناء المجتمع السلجوقي المسلم في اقاليم آسيا الصغرى ومدى تأثيرهم على تفكير وانسحاب بنيان المجتمع البيزنطي في آسيا الصغرى واقامة مجتمع آخر جديد هو المجتمع السلجوقي الاسلامي . كما عرض الفصل لمظاهر التمازج الديني الذي اتبعه سلاجقة الروم تجاه سكان آسيا الصغرى الاصليين من البيزنطيين ، والارمن والسرمان وأثر ذلك على انتشار الاسلام والحضارة الاسلامية في آسيا الصغرى . كما بحث هذا الفصل أيضا موضوع زيجات المصاهرة التي تمت بين سلاجقة الروم والبيزنطيين والنتائج الديموجرافية التي ترتبت على ذلك . واختتم الفصل بالحديث عن استعانة سلاجقة الروم بخدمات البيزنطيين في مختلف شؤون السلطنة السلجوقية وتأثير ذلك على اعتناق بعضهم الدين الاسلامي .

## ٢- الاقباط في العصر العثماني

١٥١٧ - ١٧٩٨م

رسالة دكتوراه للباحث / محمد عفيفي

ان دراسة تاريخ الاقباط في العصر العثماني تأتي على قدر كبير من الاهمية ، فقد عادت مصر من جديد مجرد ولاية تابعة لدولة كبرى . وقد أثر هذا التحول على مصر بصفة عامة وعلى الاقباط بصفة خاصة بوصفهم الاقلية الدينية الاولى في البلاد بصفة خاصة .

كما شهد العصر العثماني بعض التحولات والمتغيرات في حياة الاقباط لعل اهمها محاولات التبشير الكاثوليكي وماحدثته من صدع في صفوف الاقباط ، فضلا عن كونه تحديا تاريخيا كان ولا بد ان يلقي الاستجابة والا تلاشى الاقباط ودارت عليهم دائرة التاريخ . وفي رأينا ان بذور النهضة القبطية في القرن التاسع عشر يصعب فهمها دون استيعاب لتاريخ الاقباط في العصر العثماني .

ولذلك وقع اختيارنا على " الاقباط في العصر العثماني " موضوعا لرسالة الدكتوراه . وقد انقسمت الدراسة الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . حاول الباحث في المقدمة رسم صورة لوضع الاقباط في العصر الاسلامي لتكون مدخلا لدراسة اوضاعهم في العصر العثماني .

واهتم الباحث في الفصل الاول باستعراض العلاقة بين الدولة والاقباط . والمقصود بالدولة هنا السلطة بالمفهوم العام سواء في استنبول أو حتى السلطة المحلية في القاهرة والتي لعبت الدور المؤثر في هذا الشأن . من خلال استعراض بعض النقاط الهامة مثل الجزية ، والقيود المفروضة على الاقباط مثل اللباس وركوب الخيل واقتناء الجوارى وغيرها ، وايضا اوضاع الكنائس . وانتهى البحث بمحاولة دراسة دور الدولة كحكم بين الرعية .

واستعرض الباحث في الفصل الثاني دور الاقباط في الادارة المالية وماترتب على ذلك من نشوء فئة اجتماعية متميزة في صفوف الاقباط ونقصد بها المباشرين والكتبة ، ومحاولة التعرف عليهم عن قسرب ، واستعراض اثر مكانتهم المتميزة على علاقاتهم بالاقباط والكنيسة .

وخصى الغمل الثالث لدراسة النشاط الاقتصادي للاقباط في شتى صوره . ودراسة اوضاع الاقباط في طوائف الحرف ، واستثمارات الاقباط في مجال العقارات .

واستعرض الباحث في الفصل الرابع الحياة الاجتماعية للاقباط من خلال التركيز على بعض مظاهر الخصوصية في الحياة الاجتماعية للاقباط مثل الاحياء القبطية في القاهرة والاقالم ، والاحوال الشخصية للاقباط والمؤثرات الاسلامية عليها . الى جانب دراسة الثقافة والتعليم عند الاقباط .

وخصى الغمل الاخير لدراسة الكنيسة كمؤسسة دينية والسدور الاجتماعى لها . والتعرف على العلاقات الخارجية للكنيسة مع التركيز على مدى استقلالية الكنيسة أو تبعيتها للخارج .

وانتهت الدراسة الى أن العصر العثمانى يمثل الفصل الاخير من تطبيق عهد الذمة على الاقباط وهى نقطة فى غابة الاهمية والحساسية ويفسر هذا ميل بعض الاقباط الى التحالف مع الاحتلال الفرنسى اثناء الحملة الفرنسية املا فى تحقيق المساواة مع المسلمين . ويفسر ايضا ماوصلت اليه العلاقات بين المسلمين والاقباط - فى نهاية العصر العثمانى - من تدهور بلغ حد الصدام .

واعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والوثائق . يأتى فى مقدمة ذلك الوثائق والمصادر القبطية المحفوظة ببطريركية الاقباط الارثوذكس القديمة بكلوتك ، والمتحف القبطى بمصر القديمة ودار الكتب المصرية ، ومجلات المحاكم الشرعية الخاص منها بالقاهرة والمحفوظ بأرشيف الشهر العقارى بالقاهرة ، أو المتعلق منها بالاقاليم ( المنصورة - دمياط - اسنا ) والمحفوظ بدار الوثائق القومية ، وايضا دفاتر الرزق المحفوظة بنفس الارشيف .

واعتمد الباحث ايضا على المخطوطات والمصادر الفقهية والتاريخية الاسلامية . وايضا المخطوطات المحفوظة بدير الابسيس الفرنسيكان بالموسكى .

ومن المصادر الاجنبية التى اطلع عليها الباحث بعض الوثائق الفرنسية من الارشيف الوطنى بباريس ، فضلا عن كتابات القناصل والرحالة الاجانب المعاصرين بالاضافة الى المراجع العربية والاجنبية . وعلى الله قمد السبيل .

### ٣ - علاقة القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط بالمغرب

الاسلامى فى القرنين السادس والسابع للهجرة

٥١٧هـ - ٧١٦هـ = ١١٢٣ - ١٣١٦م

رسالة دكتوراه للباحث / مصطفى محمد عبد الخالق

تحتوى الرسالة على مقدمة وخمسة فصول وعدد من الملاحق والخرائط ، وقد عالج الفصل الاول الغزو النورمانى للمدن والجزر الافريقية . فعرض لهجماتهم على الجزر الواقعة بين المهدية وصقلية ، كما تعرض الفصل لآثر الغزوة الهلالية على بلاد المغرب . كما تناول مدى حاجة الصليبيين الى السيطرة على بلاد المغرب لتأمين طرق المواصلات بين الصليبيين فى بلاد الشام والغرب الاوربي . وعالج الفصل أيضا تتابع الهجمات الصليبية على بلاد المغرب بدءاً من جزيرة قوصرة وافريقية ، وجربه وطرابلس وذلك فيما بين سنتي ٥١٧هـ - ١١٢٣م الى ٥٣٧هـ - ١١٤٢م . كما تعرض لغزو النورمان لقابس والمهدية سنة ٥٤٢/٥٤٣هـ - ١١٤٧ - ١١٤٨م ، واستيلائهم على سوسة وسفاس سنة ٥٤٣هـ - ١١٤٨م وهجومهم على بونه سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م .

تناول الفصل الثانى بالدراسة المواجهة بين النورمان والموحدين ، فعرض لقسام دولة الموحدين بالمغرب الاقصى ، واستنجد اهل افريقية بهم ضد الصليبيين وخروج عدد المؤمنين بن على الكومى أمير الموحدين لتحرير افريقية من غاصبها وطرده النورمان من الاماكن التى سيطروا عليها . وما ترتب على الفتوحات التى حققها هذا الامير من اتحاد بلاد المغرب والاندلس تحت لوائه واسرته وآثار ذلك . كذلك تناول الفصل العلاقة السياسية بين صلاح الدين الايوبي والموحدين

وتناول الفصل الثالث الحديث عن الصليبيين والمغرب العربى حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى . فعرض لاستمرار الغزو الصليبي ومهاجمة البلاد الاسلامية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط مثل الاندلس وجربة ، وسبته ، وبجاية . وتعرض لآثار الصراع التجارى بين جنوة والبندقية فى توجيه مسار الاحداث السياسية فى بلاد المغرب ، كما عالج دور المماليك فى الانتصار على الصليبيين فى شرقى البحر المتوسط وما ترتب على طردهم من بلاد الشام من توجههم صوب بلاد المغرب .

وبحث الفصل الرابع حملة لويس التاسع الصليبية على تونس سنة ٦٦٨هـ - ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م ، فعرض لدوافعها وكيفية الاستعداد لها حتى خروجها الى تونس وحصار قرطاجنه في آخر ذى القعدة عام ٦٦٨هـ / ١٧تموز عام ١٢٧٠م . والمشاكل التي واجهت الصليبيين في بلاد المغرب ، ثم فشل الحملة في تحقيق اهدافها وما ترتب على ذلك من نتائج .

أما الفصل الخامس والاخير فقد عالج التأثيرات الحضارية للحروب الصليبية . فتناول التأثير الاجتماعي ، والاقتصادي لهذه الحروب على الجانبين الاسلامي والصليبي بعد تفاعلها معا على مدى قرنين مسن الزمان .

رقم الايداع : ٨٨ / ٧٣١٧

الترقيم الدولي ٩-٠٢٦-٢٣٨-٩٧٧



THE EGYPTIAN HISTORIAN  
Historical Studies & Researchs

---

Second Issue

July, 1988

---

Chief Editor: Prof. Dr. Raouf Abbas Hamed

Managing Editor: Dr. Mahmoud Arafa Mahmoud

---

All correspondence to be directed to:

Prof. Dr. Raouf Abbas Hamed, The Chief  
Editor, Cairo University, Faculty of Arts.  
A.R.E.





**Cairo University**  
**Faculty of Arts**



# **The Egyptian Historian**

## **Historical Studies & Researches**

**2**

**July**  
**1988**

**Issued By**  
**Histroy Department**





جامعة القاهرة  
كلية الآداب



# المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية

٢

يوليو ١٩٨٨

يصدرها قسم التاريخ

## محتوى العدد

٧	افتتاحية العدد رئيس التحرير البحوث والدراسات
١١	• تصفية المقاومة الأموية في العراق ومصر والشام د. راضى عبد الله عبد الحليم
	• أضواء على تاريخ العمارة الدينية فى عصر بنى رسول باليمن .
٢٧	د. مصطفى عيد الله شحبة
	• دينار فاطمى نادر ضرب فى زبيد عام ٤٤٧ هـ
٦٣	د. سهام محمد المهدي
	• الارشيف الألماني وكتابة تاريخ مصر المعاصر
٦٩	د. وجيه عبد الصادق عتيق
	• الرقيق الافريقى بالحجاز خلال النصف الأول من القرن العشرين
٩٣	د. عبد العليم ابو هيكل
	• محمد مندور وفكره السياسى والاجتماعى
١١٩	د. اسماعيل زين الدين
	• مديرية دنقلة فى ظل الحكم المصرى
١٥٣	د. الهام محمد ذهنى
	التقارير والمراجعات وعرض الكتب
	• دار الوثائق المصرية فى ثلاثين عاما
٢٠١	د. زين العابدين شمس الدين نجم
	• اضافات جديدة لدراسة تاريخ المستوطنات
٢٢٥	د. محمود ابراهيم حسين
	• العرب فى افريقيا
٢٣١	عبد الكريم مدون
	دليل الرسائل الجامعية
	• رسائل الآثار
٢٤٥	اعداد : محمد حمزة اسماعيل
	• رسائل التاريخ
٢٥٩	اعداد : محمد نجيب الوسىمى